

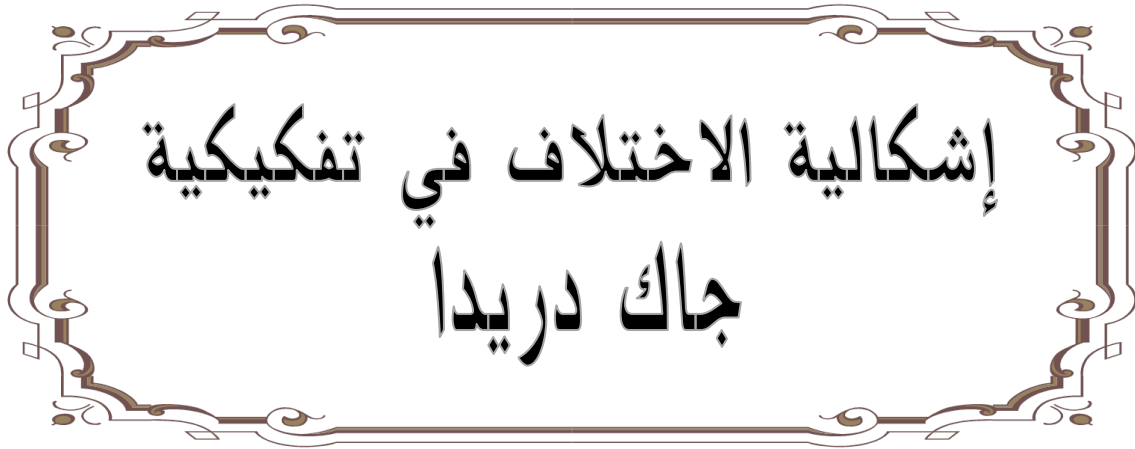
الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة العربي بن مهيدي " أم البواقي "

مدرسة الدكتوراه في النقد  
والدراسات الأدبية و اللغوية  
تخصص : النقد و المناهج  
قطب التكوين : جامعة أم البواقي

كلية : الآداب واللغات الإجتماعية و الانسانية

قسم : اللغة العربية و آدابها

عنوان البحث



مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في النقد و المناهج

الأستاذ المشرف  
الدكتور عمر عيلان

إعداد الطالبة  
حنان خطاب

لجنة المناقشة :

الإسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
د. العلمي لراوي	أستاذ محاضر أ	أم البواقي	رئيسا
د. عمر عيلان	أستاذ محاضر أ	خنشلة	مشرفا ومقررا
د. رشيد رايس	أستاذ محاضر أ	تبسة	عضوا مناقشا
د. يوسف لطرش	أستاذ محاضر أ	خنشلة	عضوا مناقشا

# شكر وتقدير

قال تعالى " ربّي أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ و على والديّ و أن أعمل صالحاً ترضاه  
و أدخلني برحمتك في عبادك الصالحين "

الآية 19 سورة النمل .

رضاك خير من الدنيا وما فيها \*\*\*\*\* يا ملك النفس قاصيها ودانيها  
فليس للروح آمان تحققها سوى \*\*\*\*\* رضاك هذا أمانينا  
فنظرة منك بسؤالني وبأملني \*\*\*\*\* خير لي من الدنيا وما فيها

إلى كل أساتذتي فائق شكري و عرفاني على دعمهم و ثقتهم بي  
إلى الأستاذ المشرف الدكتور "عمر عيلان" الذي تابع مراحل البحث بالنقد  
و التوجيه والاشراف..

إلى كل الأساتذة الأفاضل بقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة :  
عباس لغرور - خنشلة - فرحات عباس - سطيف - العربي بن مهدي  
- أم البواقي -

هذي السطور مدينة بثنائكم \*\* شكر الجميل يقره الثقلان  
إن كان فيها روعة نسبت لكم \*\* كالرسم يحكي روعة الفنان  
أنت الذي أزكى العزيمة في دمي \*\* وأنا الذي وصف الجمان بناني  
يا رائد الجيل النجيب جهودكم \*\* قد أثمرت بمعونة الرحمن  
لو كان مثلك في الجزائر خيبة \*\* لتعززت منظومة الانسان  
كامل الجمال من البحور الكامل \*\* وكمالكم في خدمة الأوطان

شكرا لكم جميعا

# الضاد

لو لم تكن أم اللغات هي المنى  
لكسرت أقلامي وعفت مدادي  
لغة إذا وقعت على أسماعنا  
كانت لنا بردا على الأكباد  
ستظل رابطة تؤلف بيننا  
فهي الرجاء لناطق الضاد

حّية برائحة الأريج المبعثر شذا زكيا على أرواح كل المناضلين من أجل لغة الضاد  
حّية أعطر من نسيم الصباح ، وأحن من سحابة ليل هادئ  
حّية حب لكل الأحبة الذين تغلفت قلوبهم بالأمل والطموح  
وساروا في الدرب بخطى ثابتة ورؤوس شامخة  
إلى أعظم قلب في الدنيا ، وأحن صدر في الوجود "أمي الحبيبة"  
إلى رجل المواقف، صاحب الكبرياء ورمز العطاء "أبي الغالي"  
إلى نبع الحب والحنان رمز الطيبة والعنفوان  
إلى الغائر في ثنايا الروح إلى أكثر الناس دعما / حبا / ووصيرا/على جنوني المعرفي  
زوجي عنتر حديدي .... روحا/ورواحا

إلى حضان السلام،عائلتي الموقرة(زهير، رابح، فاروق،فواز،وهيبة، سليمة)  
إلى من أحب وأحترم (أمي زينب،وأبي علي)  
إلى كل الأحبة (حورية، فريدة،لامية نسيم،نعيمه،نادية، شهرة، صبرينة،)  
(كمال،رشيد،عبد الملك،فاتح، فارس، وليد،عبد الرزاق،رياض،نجم الدين)

إلى كل الأصدقاء ، خاصة طلبة مدرسة الدكتوراه دفعة 2008.

## مقدمة:

انطلاقاً من الإيمان بضرورة تكسير نسق الحدود الفاصلة بين الأجناس الأدبية والمعرفية، واقتحام كل الميادين المعرفية والثقافية المتنوعة، وتقديم رؤى معمقة تسهم في إثراء الفضاء النقدي، وبلورة الحلول لبعض الإشكالات المعاصرة، راح النقد الأدبي المعاصر يحتضن قضايا الفلسفة ومعطياتها متداخلاً معها، محتكماً لحكمتها، ومتأثراً بأسئلتها المعرفية التي لا تنتهي .

فإذا كانت الفلسفة تعني البحث الدائم عن الحقيقة، فهي أيضاً إبداع للمفاهيم وبحث أركيولوجي في أنظمة المعرفة، وتأسيس لإستراتيجية " السؤال الدائم" عن الكون الوجود واللغة، إنها لا تنفك تبحث في عالم القيم والأشياء والأخلاق والدين والموجودات والإنسانيات واللغويات، سعياً لفهم الكائن في هذا الوجود، والكشف عن طبيعة العلاقة بين الكائن والكينونة عبر وسيط الكائن اللغوي، وهو الأمر الذي ربط بينهما وبين النقد وجعلها تشترك معه في تحقيق الأهداف الكبرى للإنسانية، فظهرت إبداعات فلسفية انطلقت من طرح جمالي، وأصبحت هذه الإبداعات ذات أهمية خاصة في دراسة النقد الأدبي المعاصر، كما تمثلت الطروحات النقدية / الفلسفية في معطيات ما بعد البنيوية سعياً للكشف عن جوهر العملية النقدية بوصفها مسؤولة عن إبراز ملامح النضج الفني والإبداعي، واختلط النقد بالفلسفة والفلسفة بالنقد، واتضح التأثير والتأثير فيما بينهما وولدت العديد من الاتجاهات النقدية بوصفها حتمية للجدل التاريخي وانعكاساً طبيعياً للاتجاهات الفلسفية.

وقد وجد النقد في الفلسفة مادة دسمة وغنية بالتصورات العقلانية، والمقاربات المنطقية بدءاً من أرسطو وأفلاطون، مروراً بهيغل ونييتشه وكانط وصولاً إلى الفلاسفة النقاد والنقاد الفلاسفة أمثال هيدغر، جيل دولوز، بارت وديدا... فإذا كانت الفلسفة صانعة للأفكار، صائغة للأسئلة فإن النقد صانع للأراء، صائغ للتنظير الأدبي، مرتبط دوماً

بالفلسفة وهذا الارتباط الذي لا يلغي مبدأ الاختلاف بينهما، وخصوصية كل منهما ونهجه في البحث والكشف عن الحقيقة.

إن هذا التداخل الفلسفي / النقدي يتضح من خلال العديد من المناهج النقدية المعاصرة التي تدخل ضمن " ما بعد البنيوية، لا سيما ما تعلق بالتفكيك، مع صاحبه جاك دريدا.

فالتفكيك بوصفه تجربة ما بعد حداثة تشكل أهم حدث فكري في النصف الثاني من القرن العشرين، زرع الثوابت الفكرية الراسخة و شكل ثورة مفهومية، أرضيتها فلسفية ومراميها نقدية، وأبعادها مترامية في شتى الميادين. وزرع الفضول المعرفي والحيرة الفكرية لدى الناقد والفيلسوف على السواء .

فالتفكيك عمل على قراءة النص الفلسفي والنقدي والمعرفي والثقافي وحتى السياسي وإخضاعه لعمليات معقدة يحكمها منطق المحاور ومبدأ الاختلاف والمغايرة.

غير أن المكانة العالية والشهرة الواسعة والسمعة المعرفية التي يحظى بها التفكيك في مجمل التيارات الفكرية المعاصرة، تضاف إليها أصوات الازدراء والسخرية التي تتعالى هنا وهناك ، مخلفة لدى القارئ جملة من الأسئلة والاستفسارات، هي الدافع المحرض والعلة التي شرعت انطلاقاً منها لإنجاز هذا البحث، لاسيما أن التفكيك تجاوز كل الحدود المعرفية تحت غطاء واحد هو " الاختلاف " أو " التأسيس للمختلف " .

- فما هو الاختلاف في منظومة التفكيك الدريدي، هل هو معطى نقدي أم مقولة فلسفية أم هو فكر ومساءلة ثقافية ؟ ما أصوله ؟ ما غاياته؟

- وهل تمكن هذا " المختلف " من أن يكون كذلك حقاً؟

- هل تمكن دريدا من خلال " اختلافيته " تحقيق أهدافه المعلنة المتمثلة في القضاء

على المركزية الغربية بكل أشكالها وتنويعاتها؟

- هل يمكن التسليم بوجود خطاب الهامش، في مقابل الخطاب المركزي؟ وإذا كان ذلك ممكناً أو صحيحاً فعلى أي أساس تشكلت هذه المفارقة؟

- هل يمكن التأسيس لثقافة وفكر " الاختلاف " في ظل هيمنة ثقافة الائتلاف والمطابقة؟

- ثم كيف أستقبل هذا الاختلاف ، وما انعكاساته في الثقافتين العربية والغربية؟

- كيف يمكن النظر لجدل " الأنا والآخر " انطلاقاً من مبدأ الاختلاف، وهل هي علاقة خضوع أم علاقة اختلاف وانفتاح؟

هي ، إذن، أسئلة كثيرة جعلتني أفتح على هذه المغامرة الدريدية التي وجدت نفسها منقادة منذ البدء تحت وطأة الاختلاف، إيماناً منها بأن هذا البحث النقدي/ الفلسفي/ الفكري يحتاج من أجل الخوض فيه والترحل عبر فجواته إلى منهج حوارى، لا يؤمن بالجاهزية ولا يقر بالأفضلية المسبقة، ولا التزمّت لحساب رأي دون آخر. بقدر ما يعرض المسارات التاريخية والأسس الفلسفية، والآراء النقدية، ويقف عن حدود المصطلحات والمفاهيم المعرفية، بغية الوصول إلى حقيقة طبيعة هذه الاختلافية الغائرة في عمق التفكير.

ومن منطلق أن مشروع هذا البحث ينتمي للدراسات التي تطمح إلى فتح حوار معرفي مغر وممتع مع نصوص دريدا ونصوص قراء دريدا ، فإن إشكالية هذا البحث لا تكتسب شرعيتها وجدواها إلا انطلاقاً من خطة معتمدة، تم التوسل فيها بمقدمة، ومدخل، وثلاثة فصول ثم خاتمة.

\* أما المقدمة فكانت افتتاحية تبرز العلاقة الحميمة بين النقد والفلسفة والتي ولدت - ضمن الاتجاهات والتيارات النقدية المعاصرة - تيارات ما بعد البنيوية، وأبرزها التفكير بما أحدثه من معطيات ومقولات ومفاهيم وحتى مصطلحات جديدة.

\* يليها مدخل عنوانته ب: **النموذج النقدي من البنيوية إلى التفكير** وتتاول المعالم الكبرى للبنيوية ثم البدائل التي اقترحها فيما بعد التفكير بوصفه مرحلة بعدية مختلفة .

\* ثم الفصل الأول، وجاء بعنوان « المرجعيات الفلسفية والأصول التاريخية »

وهو فصل يرصد الأصول التاريخية والمرجعيات الفلسفية لكل من التفكير والاختلاف، وقد قسمته إلى ثلاثة مباحث، الأول يدور حول التفكير ماهية، ثم من حيث فعالية قراءته الإبداعية ثم أخيرا المرجعيات الفلسفية التي ساهمت في تشكيله.

... أما المبحث الثاني فقد خصص للتأثير الفكري والفلسفي الذي خلفته كل من الظاهرانية عند هوسرل والهرمينوطيقا عند هيدغر على فلسفة التفكير وعلى صاحب التفكير ومسيرته الاختلافية .

فيما خصص المبحث الثالث للانتقال والتحول الذي حصل داخل الفلسفة الغربية جراء المخطط التفكيكي، حيث تناول هذا المبحث الاختلاف بين فلسفة الحضور الميتافيزيقي، والتأسيس للاختلاف عنها .

وهذا الفصل الأول تم فيه التركيز على الأصول الفلسفية وتأثيرها على وجود التفكير في الساحة النقدية / الفلسفية، ومدى مساهمتها في بلورة مفهوم الاختلاف.

\* ليأتي بعدها الفصل الثاني، وهو فصل نقدي، عنوانه بـ: " التمثل النقدي للاختلاف عند دريدا"، وقسم بدوره إلى ثلاثة مباحث:

الأول تعلق بالتفكير بوصفه تأسيسا للمختلف، ومن خلاله توقفت عند نقطتين محورتين هما: التفكير اختلافا، ونص الاختلاف يليه المبحث الثاني، الذي خصص للحديث عن الاختلاف بوصفه مقولة نقدية تفكيكية، وبيان مفهومه وخصائصه، وكذا علاقته بباقي مقولات التفكير عن دريدا، ليأتي بعدها المبحث الثالث وهو ما يتعلق بعلاقة الاختلاف بتداخل النصوص والتأسيس لمبدأ الحوارية.

ليختتم هذا البحث بفصل أخير جاء بعنوان: "أثر التفكير في النقد الحديث" خصص للحديث عن تأثير وتلقي التفكير في النقد الحديث الغربي والعربي، وقسم هو الآخر إلى ثلاثة مباحث :

تناول الأول الاختلاف بين الأنا والآخر من منظور ثقافي، فيما ذهب المبحث الثاني للحديث عن التفكيك وأثره في النقد الغربي ممثلاً في الولايات المتحدة الأمريكية (جماعة بيل)، مع عرض لأبرز الاختلافات أو الاعتراضات والانتقادات الموجهة لمشروع التفكيك.

أما المبحث الثالث، فتناول أثر التفكيك في النقد العربي وشمل جملة من الإسهامات العربية الممثلة في نماذج عن النقاد العرب من أمثال: عبد الله الغدامي، عبد الكبير الخطيبي، علي حرب، عبد الوهاب المسيري، عبد العزيز حمودة، بختي بن عودة...  
.... لنخلص في النهاية عند خاتمة تضمنت جملة من النتائج التي أفقت بها رحلة البحث داخل الخطاب التفكيكي / المختلف بكل معطياته ومقولاته.

وقد توصلنا في إنجاز هذا البحث بالتأكيد بمجموعة من المصادر والمراجع نذكر منها:

- كتب دريدا المترجمة مثل: "الكتابة والاختلاف"، أحادية الآخر اللغوية"، "الصوت والظاهرة"، "علم الكتابة"، "صيدلية أفلاطون"، "استراتيجيات التفكيك"
- وكتب أخرى لقراء ونقاد دريدا مثل: (التفكيكية بين النظرية والتطبيق) لصاحبها كريستوفر نوريس، (التفكيكية) بيير - ف- زيماء، (نصيات بين الهرمينوطيقا والتفكيك) هيو.ج.سلفرمان، (دليل تمهيدي إلى ما بعد البنيوية) مادان ساروب التفكيكية (إرادة الاختلاف وسلطة العقل) لعادل عبد الله، (الاختلاف الثقافي وثقافة الاختلاف) سعد البازعي، وجملة من الكتب لعبد الله إبراهيم: (المركزية الغربية إشكالية التكون والتمركز حول الذات، المركزية الإسلامية صورة الآخر في المخيال الإسلامي خلال القرون الوسطى، معرفة الآخر،..)، وعدد من كتب علي حرب (الممنوع والممتنع، نقد الحقيقة، أسئلة الحقيقة ورهانات الفكر، التأويل و الحقيقة...)، (إشكالية المصطلح): يوسف وغليسي، (دريدا عربياً) أحمد محمد البنكي، وغيرها من المراجع التي تمت الاستعانة بها طيلة رحلة البحث.

\* وفي الأخير لا يسعني سوى أن أشكر الله عز وجل على توفيقه، كما أن الشكر موصول إلى الدكتور المشرف" عمر عيلان"، على رعايته لهذا البحث، وتابع بالسؤال والنقد والتوجيه والحوار مراحل إنجازته حتى صار على ما هو عليه الآن، فكان خير مرشد و معين، كما أتوجه بالشكر لكل الأساتذة الأفاضل بالمركز الجامعي - عباس لغرور - خنشلة، وإلى كل من مد لي يد العون من أساتذة جامعة فرحات عباس - سطيف.-.

وفي الختام أسأل الله النجاح والتوفيق، وإن يكن هذا البحث قد أصاب أهدافه المنشودة وبلغ قيمته المرجوة، فله الفضل والمنة. وإن يكن قد قصر عن ذلك فيكفيه شرف المحاولة والصدق والإخلاص في العمل، وتبقى خطوة متواضعة على بداية الطريق إن شاء الله.

والله ولي التوفيق

مسيلة : 2011/03/16.

# مدخل

النموذج النقدي من البنيوية إلى التفكيك

تعود جذور التيارات النقدية لأصول غربية ، وجدها النقاد العرب جاهزة فكان منهم من تبناها ومنهم من وقف ساخطا عليها، مبينا بطريقة أو بأخرى عجزه عن بلوغها وكغيرها من القضايا الفكرية التي شغلت المفكرين و النقاد برزت الحداثة بشكل لافت ومحير بين تأييد و معارضة، فهي بكل ما تحمل من عمق و غموض " تدخل ضمن المفاهيم المستعصية على التعريف و التحديد الراضة لكل نمذجة والمصنفة بعدم القابلية و القدرة على قبض مفهوم ناجز وجاهز لها"<sup>1</sup>، ما شكل حيرة معرفية في الأوساط النقدية والفكرية . فقد "حققت الحداثة، إذن ، صدمة لجميع الأمم التي كانت خارج إطار مشروعها التاريخي مما حتم عليها أن تتأثر بصداها المتمثل في أفكارها و إنجازاتها التقنية و العلمية ، إلا أن الصدى لم يقتصر على المجتمعات العربية فحسب ، بل شمل المجتمع الغربي نفسه في إطار مساءلته الدائمة و تجديده المستمر لمشروعه الحداثي " .<sup>2</sup>

الحداثة بكل ما تحمل من معان تتراوح بين الانفتاح و الإنسلاخ تظل سؤالنا المتجدد " نبحث عنها ، نحن إليها ، أو نغلق دونها الأبواب ، نحاكم المرتدين بجريمة الانتماء إليها فنتحول الحداثة في منظورنا العام إلى أفق آخر نبتغيه أو يهددنا ، نصالحه أو يدمرنا مرة نرى إلى هذا الجسد الغريب في كليته و مرة نسرق منه أدوات حمايتها والكل متورط في الحداثة معها أو ضدها ، يختارها كبديل لموروث الشرق أو جدارا حديديا يترك الشرق يتيما لا شرق و لاغرب له"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - رضوان جودت زيادة : صدى الحداثة (مابعد الحداثة في زمنها القادم)، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ط1 ، 2003، ص 17 .

<sup>2</sup> - المرجع نفسه ، ص 08.

<sup>3</sup> - محمد بنيس :حداثة السؤال (بخصوص الحداثة العربية في الشعر الثقافة )،المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط2 ، 1998، ص 109.

و لما كانت الحداثة Modernité مصطلح يغطي حقولا معرفية كثيرة تتجاوز الجانب الاقتصادي و الاجتماعي و الفكري و الأدبي، فهي مع كل هذه الشمولية تبقى من نوع المفاهيم المتمردة المستعصية البعيدة عن الفهم وعن التحديد ، كثيرا ما تفسر تفسيراً مؤدلجا يعكس توجهات المفكر و يبتعد به عن الموضوعية ، وهذا منذر عياشي يقول : " إن مصطلح الحداثة ولادة من غير أبوة لغوية ، ولا أمومة ...إنها حضور بلا تاريخ ووجود بلا ذاكرة"<sup>1</sup>، تفرض نفسها كدافع قوي ، جاء، يقضي على الظلام ليحقق الاستنارة و يهز الجمود و يعصف بالماضي . و على عمق الحداثة و مطايطتها لا تتفك تأخذ بنا في عمق الفلسفة الغربية و الروح الأوروبية ، " فهي من غير شك تحتفظ بالكثير من قوتها و ألقها بسبب ارتباطها بشعور معاصر متميز يعني أننا نعيش في أزمنة جديدة بالكامل ،" فالحداثة " هي وعي جديد ، شرط تمكن الغرب من تحقيقه وإنجازه ، و أحيانا تفاعل ضده من أجل تقويضه و إلغائه"<sup>2</sup>.

غير أن الحداثة التي تسلط علينا فضولا معرفيا و مميذا هي الحداثة النقدية ،التي ظهرت في القرن العشرين مع البنيوية ، رغم أن بوادرها الأولى تقودنا إلى المناهج ما قبل البنيوية.

تلمع ، إذن ، الحداثة ، بشكل باهر ، في منتصف القرن العشرين بعد ظهور المد البنيوي، وبعدها سطع نجم الدراسات اللغوية مع سويسر بثنائياته الشهيرة ، و عده اللغة نظاما علاماتيا، وكذا التفريق بين اللغة/الكلام .فكان عملها " الاقتراب من الظواهر المعقدة في

<sup>2</sup> - عبد المجيد زراقات: الحداثة في النقد الادبي المعاصر ، دار الحرف العربي ، بيروت ، ط1 ، 1991 ، ص15

<sup>3</sup> - رضوان جودت زيادة : صدى الحداثة ، ص ص 32،33.

اللغات و الانثروبولوجيا و دراسة ما فيها من علاقات مبنية على الاختلاف والائتلاف لإدراك النسق الأصيل الذي تصنعه هذه العلاقات "1.

و تبعا لهذا شهد القرن العشرين ثورة نقدية عنيفة مرتبطة أساسا بالرغبة في تفسير ما أنتجته الساحة الأدبية آنذاك ، وكان لزاما على هذه الثورة أن تعصف بالعديد من المفاهيم و التصورات و الأسس و القواعد التي أرستها المناهج السياقية السابقة (الاجتماعي، النفسي ، التاريخي )، ولعل أبرز تمثيل للبنيوية تركز مع (رولان بارت ترفيتان تودوروف، جيرار جينيت ، ألتوسير....) الذين رفضوا النظر إلى خارج النص بمعنى آخر ، إنها لم تعد في حاجة إلى الإستعانة بأدوات ومناهج مأخوذة من علوم لا تنتمي إلى الأدب أصلا ، هكذا قام نقد حدائثي يتماشى مع الطريقة الحدائثية التي تتعامل مع النص لا من الخارج بمفهوم النقد السياقي (التاريخ ،السيرة الذاتية....) بل بالتعامل معه من الداخل حسب المفهوم البنيوي وتعميق القطيعة مع المؤثرات الخارجية ، وقد دعت البنيوية الى التمرکز حول النص ، واعتباره محور الإهتمام والحد من فاعلية القارئ، كما جاءت بموت المؤلف وإن كان رمزيا ، هذا وركزت على استنتاج النص واستنفاد طاقاته الكامنة " فبمجرد أن يزال المؤلف فإن الرأي القائل بإمكان تفسير النص وحل شفرته يصبح رأيا متهافتا ذلك أن إعطاء النص مؤلفا محددًا يعني فرض محدودية على النص أو ربطه بمدلول نهائي لا يتغير ، أو بمعنى آخر قفل النص " 2.

1 - يوسف أنور عوض : نظرية النقد الأدبي ، دار الأمير ، ط1 1994 ، ص 13 .

2 - المرجع نفسه ، ص ص46،45.

إضافة إلى فصل العمل الأدبي عن الأنساق الخارجية و الظروف المساهمة في بلورته، لأن هذا يبعدنا عن مركزية النص و محوريته حيث صرح بارت في مؤلفه الكتابة في درجة الصفر: " أن العمل الأدبي لا يحيطه أو يسميه أو يحميه أو يوجهه أي موقف وليس فيه حياة عملية تقول لنا أي المعاني نعطيه...ولكنه مع ذلك يتقبل تفسيرات متعددة لأن تلك الكلمات قبلت خارج أي موقف باستثناء موقف الغموض نفسه"<sup>1</sup>.

إن البنيوية نموذج نقدي حديث حاول إعطاء أهمية كبرى لما يعرف بالبنية اللغوية المشكلة للنص (البنية الداخلية ) ، الأمر الذي يقتضي من القارئ /الناقد التركيز على اللغة . و انطلاقا من هذا يبدو أنه وهو يحاول مقارنة النصوص الأدبية من خلال إجراءات و آليات هذا المنهج، ما عليه سوى البحث في أعماق بنيات النصوص والنظر في العلاقات اللغوية التي تربط بين أنساقها. وبهذا فإن البنيوية لا تقرأ إلا بالمعنى القابع في ثناياها النصية ، وبالتالي فإن النص حسب المفهوم البنيوي لا يفتح مجال التحوار أو الحوار بين النص و القارئ.

لكن أليس النقد فعالية إبداعية تجمع بين القارئ و النص وفق نشاط حوارى ؟ "حيث مصطلح الحوار يمكنه أن يأخذ دلالاته من كونه نقطة تلتقي فيها مقاصد القارئ /الناقد بالمقاصد المضمره للنصوص بما يفرضي إلى ضرب من التفاعل و الحوار الذي هو نتاج قطبين ، ينطلق كل منهما صوب الآخر"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - جون ستروك :البنيوية وما بعدها ، من ليفي شتراوي إلى دريدا، ترجمة محمد عصفور ، عالم المعرفة ،الكويت ، دت ، ص 82.

<sup>2</sup> - عبد الله ابراهيم : الثقافة العربية و المرجعيات المستعارة (تداخل الانساق و المفاهيم و رهانات العولمة)،المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ،بيروت،ط1990،1،ص53.

لم تفهم، إذن، النبوية الممارسة النقدية على أنها تحمل طابع الحوارية، ورغم أنها لاقت رواجاً كبيراً في بداية الأمر، إلا أن سنان التغيير النقدي لحقتها، و ثورة الشك والرفض ثارت ضد مبادئها من طرف أقطاب النبوية أنفسهم في محاولة للخروج من الوصفية الموضوعية التي أرستها النبوية .

بهذه الطريقة، بدأت الثورة ضد النبوية التي أفقدت النص إبداعيته و تحرره، و سجنته في بنيتها المغلقة، و من ثمة كان لزاماً على رافضيها أن يسيروا في الإتجاه المعاكس لها و تولد كنتيجة حتمية تيار مابعد بنيوي/مابعد حدائي، ذلك أن "ما بعد النبوية تخرج من رحم النبوية، لكنها تنور عليها و تنقضها...".<sup>1</sup>

تتطلق وفق مبدأ المساءلة و المحاوررة و النقد لآليات و إجراءات المنهج البنيوي في تحليل النصوص، و تسعى للبحث عن بدائل في قراءتها للنص بعيداً عن مفاهيم الأحادية و الإنغلاقية و النسقية و المعنى الواحد . و من الطبيعي القول أن البنائية هي النواة المنهجية المولدة لما تالتها من اتجاهات عرفت باسم اتجاهات ما بعد النبوية :

كا التفكيكية و السيميولوجيا و التأويل و جمالية التلقي<sup>2</sup>، و هذه الاتجاهات الأخيرة كان لها الفضل في تفعيل مصطلحات و مفاهيم نقدية جديدة من قبيل: القارئ / الناقد المبدع/القراءة الابداعية /لانهائية الدلالة /المعنى المرجأ... كما عملت على النظر للنص لا بوصفه بنية مغلقة أو بناء منجز/جاهز إنما نص التعددية القرائية القائم على تكثيف الدلالات و تعدد القراءات، كما حاولت الخروج من إنغلاقية النبوية بسبب إنصرافها

<sup>1</sup> - محمود احمد العشري:الاتجاهات الادبية و النقدية الحديثة(دليل القارئ العام)، مريث للنشر و التوزيع، ط2، 2003، ص 105 .

<sup>2</sup> - بشرى موسى صالح : نظرية التلقي (اصول و تطبيقات)، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، ط 1، 2001، ص 18.

المطلق صوب الوحدات اللغوية للكشف عن المعنى إلى ما هو خارج النص ، معلنة أن البناء النصي ما هو إلا أحد المستويات المساعدة على القراءة و ليس المحور الكلي /المطلق لها ، و أن الإدراك المعرفي للقارئ من شأنه أن يسهم في فك إيسار النص والبحث في فجواته و شقوقه بحيث يتقابل أفقان لفهم النص، أفق النص الذي أودع فيه ذاكرته الوجودية عن الماضي و أفق القارئ الذي يريد فتحه على المستقبل<sup>1</sup>، وعلى قراءات لا متناهية تفتح النص على التأويل ، "ومن طبيعة النص أن يفتح على عدد لا حصر له من القراءات ، وبالتالي من التأويلات ، و امكانية انفتاح النص على قراءات متعددة هو النظير الجدلي للإستقلال الدلالي للنص"<sup>2</sup>.

تأسيسا على ما سبق ، يتضح التحول في العلاقة الرابطة بين القارئ / الناقد و النص من علاقة مطابقة و مماثلة إلى علاقة اختلاف و انفتاح، بسبب انتقال النص من البنية المغلقة إلى العالم المنفتح " فالنص يشكل كونا من العلامات و الإشارات و يقبل دوما التفسير و التأويل ، و يستدعي أبدا قراءة ما لم يقرأ فيه من قبل "<sup>3</sup>.

ولكن إذا عملت كل الإتجاهات ما بعد البنيوية على تكريس انفتاح النص و فتح أفق الحوار بين القارئ و النص ، فإن تركيزنا سيكون حول التفكيك كتوجه ما بعد بنيوي جاء رفضا للمركز/المطلق/ الميتافيزيقا، و غيرها من الأسس التي أرستها الفلسفات القديمة ، و المبادئ التي كرستها البنيوية .

<sup>1</sup> \_ بول ريكور : نظرية التأويل (الخطاب و فائض المعنى)، تر : سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط1، 2003، ص17.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص64.

<sup>3</sup> - محمود أحمد العشيرى : الإتجاهات الأدبية و النقدية الحديثة (دليل القارئ العام )، ص 95.

ليبقى التفكيك من بين أهم و أبرز الأحداث التي شهدها الفكر الغربي المعاصر آنذاك "ولا مبالغة في القول بأن المنحى الحفري التفكيكي شكل أهم حدث فكري في النصف الثاني من القرن العشرين ، عند من يرى و يسمع ، أو يقرأ و يفهم ، به تزعزعت ثوابت فكرية راسخة، وتداعت قلاع ما وراثية حصينة، و فجرت ألغاما مفهومية في أرض الفلسفة ، الأمر الذي أدى إلى زحزحة معظم المشكلات من مطرحها أو على الاقل ما يحمل على إعادة طرحها و صياغتها " .<sup>1</sup> كما يستدعينا للبحث عن مواطن الاختلاف في هذه الحركة النقدية التي لاقت من الشهرة والرواج بقدر ما لاقت من الرفض والشك ، وعرفت الكثير من الغموض بقدر ما فتحت آفاق البحث فيها وفي مقولاتها وحتى في رائدها الأول .

فما التفكيك/التفكيكية؟ وما أثره في الساحة النقدية المعاصرة؟.

فيما تكمن اختلافية التفكيك/التفكيكية عند جاك دريدا؟.

ما هي مقولات ومبادئ التفكيك؟.

إذا كان "الاختلاف" من أبرز مقولات دريدا فما حقيقته ومقاصده؟ وإلى أي مدى وفق صاحب التفكيك في تحقيق هذه الاختلافية؟ .

كل هذه الأسئلة وغيرها ستكون مطمحا شرعيا للولوج إلى عالم التفكيك عند دريدا ومحاولة فهمه واستيعاب مقولاته ومرتكزاته .

<sup>1</sup> - علي حرب : الممنوع و الممتع (نقد الذات المفكرة)، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء، ط 1،2000، ص24.

# الفصل الأول

## المرجعيات الفلسفية والأصول التاريخية

- المبحث الأول : الجذور الفلسفية للتفكيك.
- المبحث الثاني : من فينومينولوجيا هوسرل إلى هرمينوطيقا هيدغر
- المبحث الثالث : من ميتافيزيقا الحضور إلى الاختلاف الميتافيزيقي

## المبحث الأول: الجذور الفلسفية للتفكير

## أولاً: ماهية التفكير

ما الذي لا يكون التفكير؟ كل شيء! ما التفكير؟ لا شيء\*!

## دريدا

إن فاعلية القراءة النقدية لأي ثقافة أو فكر من خلال الأنساق المعرفية، لهي دعوة صريحة للحفر في لا مقولاته/خباياه الخفية، إذ تجعل فعل القراءة باعتباره عملية معرفية وفعالية إبداعية مرتبطين بالقارئ والمقروء، فإذا كان القارئ يسعى للتجاوز مع المقروء بغية النبش في مكنوناته، فإن هذا يتطلب منه فهما ووعياً بالغين من أجل مباشرة عملية القراءة في إطار مشروع، غير أن فهم هذا المقروء أصبح يشكل أكبر عائق أمام القارئ لما يحتويه من زخم فكري وكم مصطلحي، ينحدر من أنساق معرفية و سياقات ثقافية ومحاضن فكرية/فلسفية/غربية مختلفة. ولأنه لا مناص لأي قارئ من الوقوف عند حدود المصطلحات و المفاهيم و الجذور وكذا حدود الثقافات التي تؤطر النصوص، كان لزاماً علينا بداية فهم مصطلح التفكير والوقوف عند ماهيته، ومرجعياته الفلسفية قبل ولوجه محطة نقدية أثارت الكثير من الشهرة و الإغراء حيناً، والكثير من الاستهجان والانتقاد حيناً آخر، ما زادنا تحريضا ومنحنا شرعية لمحاولة معرفة سر وحقيقة هذا التوجه الفلسفي/النقدي .

المصطلحات هي "خلاصات العلوم ، رفاق المعارف ورحيقها المختوم ، هي أبجدية التواصل المعرفي، ومفاتيحه الأولى ...ملتقى الثقافات الإنسانية وعاصمة العواصم اللغوية المتباعدة، إنها لغة العولمة بامتياز كبير، ويمثل المصطلح إشكالية نقدية عصبية ومعضلة من معضلات الخطاب النقدي العربي المعاصر، وبؤرة من أشد البؤر التي تثير من التوتر

\* - جاك دريدا: الكتابة والاختلاف، ترجمة كاظم جهاد، دار تويوقال، الدار البيضاء، دط، 1998، ص 63.

والجعجة ما تثير بين الباحثين و الدارسين<sup>1</sup> نال مصطلح التفكيك نصيبه من هذا التوتر، فالتفكيك أو التفكيكية\* كما يؤثر البعض، هي المقابل الشائع لمصطلح (Déconstruction) الذي ظهر مع جاك دريدا **jack Derrida** والذي أقر أنه حين وضع مصطلح (Déconstruction) كان يفكر خصوصا في استخدام هيدغر لكلمة التدمير (Destruction) "بمعنى تحليل بنية ما عن طريق نشرها وبسطها على طاولة التشريح مثلما كان يفكر في كلمة (Abbou) الألمانية أي (démontage) الفرنسية التي استعملها فرويد للدلالة على نوع من التركيب المقلوب"<sup>2</sup>، كما ورد عن جوزيت راي دوبروف في "قاموسها السيميائي" فعل التفكيك (déconstruire) عند دريدا بمعنى فك أو تقويض (défaire) بناء أيديولوجي موروث اعتمادا على التحليل السيميولوجي"<sup>3</sup>.

وينقسم مصطلح Déconstruction في تهجته إلى أربع مقاطع كل مقطع منها دال على معنى معين :<sup>4</sup>

- السابقة (dé) وهي سابقة لاتينية تتصدر كثيرا من التراكيب الفرنسية بمعنى النفي والانهاء والقطع والتوفيق والتفكيك و النقص.

<sup>1</sup> - يوسف وغ ليسي: إشكالية المصطلح في خطاب النقد الجديد، دار العلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت/الجزائر، ط 1، 2008، ص340.

\* - ولد التفكيك في ندوة نظمتها جامعة هويكنز (الو،م،أ) حول موضوع "اللغات النقدية وعلوم الإنسان" في أكتوبر عام 1966، وقد اشترك فيها مجموعة من النقاد و الباحثين مثل: رولان بارت، تودوروف، لوسيان غولدمان، ج. لاكان و جاك دريدا الذي شارك بمداخلة أرسى فيها أسس التفكيك، وكان عنوان مداخلته: "البنية والدليل، واللعب في خطاب العلوم الإنسانية"، ثم ضمنها بعد ذلك كتابه "الكتابة والاختلاف". (ينظر: بسام قطوس: استراتيجيات القراءة: التأصيل و الإجراء النقدي، دار الكندي، إربد، الأردن، دط، 1998، ص19).

<sup>2</sup> - جاك دريدا: الكتابة والاختلاف، ص58.

<sup>3</sup> - يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح، ص344.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص350.

- كلمة (con) وهي مرادفة لسوابق أخرى (co-col-com) تنصدر كلمات كثيرة لا تخرج معانيها عن الربط والترابط والمعية (avec) .
- كلمة (struct) بمعنى : البناء
- اللاحقة (ion) وهي لاحقة مماثلة للاحقة (tion) تدل كلتاهما على شكل من أشكال النشاط و الحركة action و بتركيب دلالات هذه المقاطع المجزأة تدل كلمة Déconstruction على (حركة نقض ترابط البناء)
- و بما أن الكلمة منتهية بلاحقة لا تدل إلا على الحركة وليس المذهبية كما في اللاحقتين : isme-ique فقد سايرت بعض الترجمات ذلك مكتفية بالمصدر مجردا (لا المصدر الصناعي) : التفكيك- التقويض - النقض - التشريح....
- ويبقى مصطلح (Déconstruction) مضللا و مشتتا يصعب الوقوف على دلالاته الفكرية، فهو مصطلح مكثف "يدل في مستواه الأول على التهديم والتخريب والتشريح وهي دلالات تقترن عادة بالأشياء المادية المرئية لكنه في مستواه الدلالي العميق يدل على تفكيك الخطابات والنظم الفكرية و إعادة النظر إليها بحسب عناصرها، والاستغراق فيها وصولا إلى الإمام بالبؤر الأساسية المطمورة فيها"<sup>1</sup>. والكشف عن مواطن الغياب ومناطق الإخفاء والنبش في الأنساق الحضارية والفكرية والمعرفية وتوجيه آلة النقد صوبها في محاولة لتجاوز النمطي/الجاهزي/المألوف/اليقين الذي لا يعدو من منظور التفكيك إلا أوهام/أصنام.

ارتبط التفكيك بالكاتب الفرنسي جاك دريدا الذي أرسى معالمه في إطار التحول والانقلاب المعرفي على البنيوية ... ما يجعله أهم حركة ما بعد بنيوية في النقد الأدبي المعاصر، فإذا كانت البنيوية تطمح إلى تأسيس مذهب نقدي يقوم على الشرعية العلمية

<sup>1</sup> - عبد الله إبراهيم وآخرون: معرفة الآخر، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990، ص114 .

والمنهج التجريبي وينطلق من مبدأ لغوي علاماتي بحت يصنعه الإنسان،" فإن ما بعد البنيوية تسخر من هذه النزعة وتهزأ بدعواها، ولكن سخرية ما بعد البنيوية من البنيوية إنما نوع من التهكم الذاتي فممثلو ما بعد البنيوية هم بنيويون اكتشفوا خطأ طرائقهم على نحو مفاجئ<sup>1</sup>، وإذا كانت البنيوية تسعى إلى تقديم براهين متماسكة من أجل القبض على دلالة النص، فإن التفكيك يبذر الشك في تلك البراهين وينسف معطياتها. وإذا كانت البنيوية تتخذ منها إجراءات في تحليل النصوص والوصول للمعنى من خلال جملة من المستويات التركيبي، الصوتي، النحوي، المعجمي.... فإن التفكيك يشكل حلقة معقدة باتخاذ مظاهر متعددة، فمرة يبدو موقفا فلسفيا و ثانية يكون إستراتيجية سياسية أو فكرية و مرة ثالثة يبدو طريقة في القراءة أو منهجا إجرائيا.

فيأخذ التفكيك منها فلسفيا مع الناقد الاسترالي **ديفيد بشبندر** إذ هو "مقاربة فلسفية للنصوص أكثر مما هي أدبية، إنه نظرية بعد البنيوية post-structuraliste ولا تدل (بعد-post) هنا على أن التفكيك يحل محل البنيوية باعتباره نظرية أحدث زمنيا ولكنها تدل بالأحرى على أنه يعتمد على البنيوية كنظام تحليلي سابق"<sup>2</sup> وفي هذا يشير بشبندر إلى إفادة التفكيك من مقولات بنيوية لاسيما مقولات التحليل الألسني و ما توصل إليه **فرديناند دي سوسير**، ما يلغي بالنسبة إليه وجود تعارض بينهم أو إحلال بديل مكان آخر، إنما التفكيك يستثمر البنيوية باعتبارها النموذج التحليلي الأسبق ذلك أن التفكيك - من منظور بشبندر - نظرية تهدف إلى إتباع تفسيرات لنصوص خاصة (...). أقل مما تهدف إلى فحص طريقة قراءة النصوص .

<sup>1</sup> - رمان سلدان: النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة جابر عصفور، دار قباء، القاهرة، دط، 1998، ص117.

<sup>2</sup> - ديفيد بشبندر: نظرية الأدب المعاصر وقراءة الشعر، ترجمة عبد الكريم المقصود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1996، ص75.

و تزداد صعوبة تصنيف التفكير لدى النقاد الغرب، ما يجعل منه مصطلحا متقلبا / متقلتا يقوم على التجاوز والحركية و صعوبة التحديد المطلق. الأمر الذي جعل خوسيه ماري إيفانكوس من خلال كتابه "نظرية اللغة الأدبية" يقول: "إن التفكيرية لا يمكن أن تفهم على أنها نظرية اللغة الأدبية إنما تعمل بوصفها طريقة معينة لقراءة النصوص، تقلب نظام المبدأ الرئيسي للنقد القائم على فكرة أن أي نص يمتلك جانب من الأسس من أجل قراءة ملائمة (...)، فهي ليست نظرية لغوية إنما هي طريقة لقراءة أو إعادة قراءة الفلسفة و خطابات العلوم الإنسانية"<sup>1</sup> و فيما يربطها كل من شبندر وخوسيه ماري إيفانكوس بالنصوص و القراءات ،يدعو أمبرتو إيكو من خلال التفكير إلى "تأسيس ممارسة فلسفية أكثر منها نقدية تتحدى تلك النصوص التي تبدو كأنها مرتبطة بمدلول محدد ونهائي صريح"<sup>2</sup> أما كريس بلديك فيعتبرها "إجراء نقديا ومنهجيا (améthode) يبين بواسطته أن معاني النص في وسعها مقاومة الاستيعاب النهائي ضمن الإطار التأويلي ويقوم محذرا من طموح إلى مراقبة النصوص ومن اعتقاد النقد المغرور بقوته عموما"<sup>3</sup>.

ولأن القول الفصل لا يمكن تحديده وسط هذه المقولات وغيرها، نعود لرائد التفكير الأول والذي يقر في مؤلفه الكتابة والاختلاف: "إن التفكير بعيد عن الجانب الإجرائي فهو ليس تحليلا analyse ولا نقدا critique، وعلى الترجمة أن تأخذ هذا بعين الاعتبار أيضا ليس تحليلا وذلك بخاصة لأن تفكير بنية لا يعني الرجوع إلى العنصر البسيط إلى أصل غير قابل لأي حل، فهذه القيمة ومعها قيمة التحليل نفسها بالذات هي عناصر فلسفات خاضعة للتفكير وهو ليس نقدا لا بالمعنى العام ولا بالمعنى الذاتي (ويضيف دريدا ) ليس

<sup>1</sup> - خوسيه ماري بوثولو إيفانكوس: نظرية اللغة الأدبية، ترجمة حامد أبو حامد، مكتبة غريب، الفجالة، ط، 1992 ص147.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص148.

<sup>3</sup> - يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح، ص 340 .

التفكير منهجا ولا يمكن تحويله إلى منهج خصوصا إذا ما أكدنا على الدلالات الإجرائية والتقنية<sup>1</sup>. وهذا القول لدريدا ينفي عن التفكير صفة الآلية والمنهجية فلا يمكن أن نختزله بكل ما يحمل من مقولات ومفاهيم عميقة ومتشظية إلى أدوات منهجية أو مجموعة من القواعد والإجراءات المسلطة على النص آليا. كما أن التفكير ليس بالمذهب الهرمينوطيقي بل يؤثر دريدا تسميته بإستراتيجية للنص، ذلك أنه ممارسة وليس نظرية ومهمته الأساسية هي قراءة النصوص، وفعاليتها الرئيسة هي فعالية القراءة الإبداعية. ولم يكتف دريدا بنزع صفة المنهجية عن التفكير فقال: " يجب أن نحدد أيضا أن التفكير ليس حتى فعلا أو عملية ، و هذا فقط لأنه ربما كان فيه شيء من "السلبية أو" الإنفعالية "، ولا فقط لأنه لا يعود إلى ذات فاعلة محددة (فردية كانت أو جماعية ) " تبادر إلى تطبيقه على شيء أو نص أو موضوع ... إن التفكير حاصل : إنه حدث لا ينتظر تشاورا أو وعيا أو تنظيميا من لدن الذات الفاعلة ولا حتى من لدن الحادثة"<sup>2</sup>. ما يعني أن التفكير يتقلت من أي قواعد إجرائية أو آليات منهجية ، كما لا يخضع لأي نظام ثابت ، ولا ينتظر مشورة من الذات الفاعلة ، كما لا يستقي مبادئه من لدن الحادثة ، وهذا التقلت و اللانقباض هو ما يزيد صعوبة فهم التفكير و التكهن ببقائه على شاكلته الأولى بظهوره مع دريدا، بل قد يخضع مع مر الزمن الى نمط التحول و التغير كما حصل مع كل توجهات الفكر الغربي ، و إن كنا نتساءل عن التفكير في مراحل لاحقة من الفكر المعاصر فقد نصطدم بجواب جاك دريدا .. " إنني لا أملك إجابة بسيطة و قابلة للصياغة على هذا السؤال الشائق ، إنها أعراض متواضعة له وفي الآن ذاته محاولات لتفسيره . ليست أجرؤ حتى على القول ، متبعا رسما هايدغريا، إننا اليوم في "حقبة " وجود - في صدد التفكك

<sup>1</sup> - جاك دريدا: الكتابة والاختلاف، ص ص 60 ، 61.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 61.

"حقبة" للوجود - في - تفكك "حقبة" قد تكون أبانت عن نفسها أو تخفت في "حقب" أخرى ، إن هذا الفكر "الحقبي" وخصوصا الفكر القائل بتجمع أوبتحشد لمصير الوجود ووحدة مآله أو زواله ، لا يمكنه أبدا أن يوفر أية ضمانات أو موثوقية<sup>1</sup>.

لنعود مرة أخرى للسؤال الذي طرحه دريدا بنوع من الغموض أو الحيرة أو ربما العبثية الظاهرة و لجوابه عنه: مالذي لا يكون التفكيك ؟ كل شيء

ما التفكيك ؟ لا شيء .

"...لا أعتقد أن هذه كلمة جيدة ، وهي خصوصا ليست بالمفردة الجميلة . أكيد أنها أسدت بعض الخدمات ، ولكن في وضعية محددة جيدا... إنني لا أرى في الترجمة حدثا ثانويا أو متفرعا بالقياس إلى لغة أصلية أو نص أصلي... إن La Déconstruction التفكيك ، هي مفردة قابلة ، أساسيا ، للابدال بكلمة أخرى في سلسلة من البدائل،و يمكن أن يتحقق هذا بين لغة و أخرى أيضا .."<sup>2</sup>.

ذلك أن مفردة التفكيك لا تستمد معناها إلا ضمن مجموعة من البدائل الممكنة فيما يسمى لدى البعض "السياق" ، فهي لا تتمتع بقيمتها إلا في سياق معين.

ثانيا : فاعلية القراءة

### 1- نص الإنفتاح:

لم ينطلق أسلوب المعالجة التفكيكية من فراغ ، بل ولد في محاضن التحول النقدي و الفكري العربي، ما جعل التفكيك يفيد من مقولات الخطاب الألسني خاصة ما توصل إليه سوسير حول اعتبارية العلامة اللغوية والثنائيات التقابلية، فالتفكيك يتفق مبدئيا مع البنيويين اللسانيين حول مفردات أو مكونات النموذج اللغوي في شكله البسيط، كالعلامة

<sup>1</sup> - المصدر السابق : ص 62 .

<sup>2</sup> - المصدر نفسه ، ص 63.

بوجهيها: الدال والمدلول وهما معا يساويان الدلالة ، وهم يتفقون مع سوسير واللغويين الآخرين في الفصل بين الدال والمدلول ذلك أن اللغة عندهم ليست عملية محاكاة وطبيعة العلاقة بين العلامة و المعنى المشار إليه علاقة انفصال. غير أن مسعى تحرير النصوص الحية المفتوحة من سجن النسق - كما جاءت به البنيوية وأحادية القراءة المغلقة - ظهر مع أصحاب التفكيك، ليفتحوا المجال على ما يسمى القراءة التفكيكية ويعطوا مساحة أكبر للقارئ بعد أن حصرت البنيوية دراستها حول النص المغلق.

النص ذلك البناء اللغوي، والكيان الجامع لنظم ثقافية واقتصادية واجتماعية ودينية وتاريخية وفلسفية... "وجود مبهم كحلم مغلق لا يتحقق هذا الوجود إلا بالقارئ ومن هنا تأتي أهمية القارئ و تبرز خطوة القراءة كفعالية أساسية لوجود أدب..."<sup>1</sup> فإذا كان النص "فاعل حي مغلق لا يكاد يبين فإن القارئ نشاط فحولي يستولي على المكتوب، يفضه ويهتك حياته يجوبه و يتقب أسوار انغلاقه، يحفره في ذلك شيطان: شهوة تجعل النص يقول قولاً لا يصح إلا صحيحه ولا يجوز إلا جوازه، وغيره عليه مما ليس فيه ولا منه، تجعله يعود به إلى مكنونه ليكون مرجع ذاته لا انعكاساً لغيره و يمنع عنه حتى كاتبه، وبذلك يصير مستقلاً لا يتحكم فيه إلا انجازه"<sup>2</sup>.

إذا كانت هذه طبيعة العلاقة الحميمة بين النص والقارئ فكيف نظر التفكيك لهذه الثنائية وفيما تتجلى القراءة التفكيكية؟؟

القراءة هنا تتجلى و في مثل هذه اللحظات كممارسة إبداعية، إنها أشبه بترياق مخدر يشلنا ويسمح لنا بالولوج إلى عالم الحجب و اللامعبر عنه إلى لامنطوقاته، ذلك أن القراءة التفكيكية بحث في اللامقول وتجاوز لما هو كائن، إنه الولوج إلى إخفاءات وبواطن

<sup>1</sup> - عبد الله الغدامي: الخطيئة والتكفير، النادي الأدبي الثقافي، جدة، دط، 1985، ص 75.

<sup>2</sup> - منذر عياشي: الكتابة الثانية وفاتحة المتعة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/بيروت، ط 1، 1998، ص ص 13،

النص التي تتجاوز منطوق الخطاب إلى ما يسكت عنه وما لا يقوله ، " إنه نبش للأصول وتعريه للأسس وفضح للبدايات من هنا يشكل التفكير إستراتيجية الذين يريدون التحرر من لسلطة النصوص وإمبريالية المعنى وديكتاتورية الحقيقية " <sup>1</sup> فغدت القراءة حينئذ تحريراً للنص على أفق لا نهائية ومدلولات مشتته وترحالاً في عالم اللامعبر عنه تستهدف تفجير النص وخلخلة أنظمتها الداخلية.

ووفقاً لهذا التصور، فإن العلامة اللغوية تغدو موضع تشويش (confusion) دائم بين المعنى المرجع و المعنى المجازي، فالنص يقول ما يشاء و يحجم عما يشاء فتتعدد إذ ذاك القراءات و التأويلات، و تتداخل النصوص فتتبعث كتابة جديدة و يولد نص جديد كأنه فضاء مفتوح على منظورات لا متناهية وعلى مفهوم متشظي يرفض كل تعميم و كلية، إنه نص التأويل الداعي إلى التعدد والتشتت، ذاك الذي يغدو نصوصاً متداخلة متلاحمة والحقيقة / الدلالة حقائق لا تقر على نظام الثبات. ويغدو سجن النسق انفتاحاً على اللامحدود "فالتفكير إذا ليس نظرية أو منهجاً في القراءة وإنما هو تعرية لمفاهيمنا وتصوراتنا التقليدية بحيث نبقي في مجال الانفتاح الذي ينتشلنا أو يختطفنا بعيداً عن مجال الفكر الإحصائي والتمثيلي الذي يدرس النص بهدف الوصول إلى معرفة تصويرية ثابتة " <sup>2</sup>

هذه هي القراءة التفكيكية لا تزعم تقديم براهين أو أدلة على دلالة النص، كما لا تدعي تقديم إجراءات تحليلية أو منهجية تقنية، بل إنها تسمح بإبراز الخطاب المهمش/ المدنس/ اللامعقول/ وإن بدت صورته غير واضحة وإن بدا صوته خافتاً في ظل هيمنة المركز/ الحضور، إنها قراءة مناهضة لكل الثنائيات الميتافيزيقية ليكون دور

<sup>1</sup> - علي حرب: الممنوع والممتنع (نقد الذات المفكرة)، ص 22.

<sup>2</sup> - سعيد توفيق: ماهية اللغة وفلسفة التأويل، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط 1، 2002، ص 148.

التفكيك أنه "يضع نفسه ضمن فضاء متعدد الأبعاد و الضفاف فهو يعلن منذ البداية عدم انفصاله عن المركز، إنه ما يفتأ ينجر نحو المركز و هو إذ" يخرج" عنه يظل "عالقا" به لا ليقابله و يناقضه و يظاده بل ليفضح مركزيته الموهومة ويكشف عن القوى المتناثرة التي تخلخل كل مركزية، إلا أن المهم هنا هو أن الهامش لا يحدد كموقع، لا يحدد تحديدا مكانيا إنه ليس "موقفا" و لا اتجاها ولا "مذهبا" وإنما هو حركة وهجرة وتنقل لا تقيم "خارجا" ليست تائهة ضالة إنما رحالة متنقلة تبين أن كل داخل لا بد وأن يخرج عن ذاته و أن المركز ذاته راحل متنقل"<sup>1</sup>، وتؤكد أن القراءة التفكيكية ما جاءت إلا لتعيد للنص آفاه الإبداعية بعد أن قضت عليها النسقية البنيوية ومن قبلها الأسيقة الخارجية وتحقق نص الانفتاح والتعددية.

ولأن الفعالية الإبداعية للنصوص لا تتحقق إلا بالمشاركة الفعالة والعلاقة الحميمة بين النص والقارئ وما يجمعهما من فعل قرائي، كان لزاما الوقوف عند طبيعة هذا القارئ بمفهومه التفكيكي .

## 2 - القارئ التفكيكي :

إذا كان التفكيك دعوة صريحة لتقويض إنغلاقية النص و فتحه على آفاق لا نهائية ، فإنه في المقابل ترسيخ لموت المؤلف و اعلان عن ميلاد قارئ جديد ،"قارئ مسلح برؤية جديدة"<sup>2</sup> يختلف عن القارئ في ظل المناهج السياقية و النسقية ، حيث لم يبقى قارئاً مستهلكاً سلبياً يكتفى برصيد الأفكار و إحصائها. ولا قارئاً مرتبطاً ببعض الظروف والمرجعيات الخارجية التي أسهمت بشكل ما في إعطائه معنى محددا .

<sup>1</sup> - عبد السلام بنعبد العالي: لعقلانية ساخرة، دار توبوقال، الدار البيضاء، ط1، 2004، ص58 .

<sup>2</sup> - عبد الله ابراهيم : المركزية الغربية (اشكالية التكون و التمركز حول الذات) المركز الثقافي العربي ،بيروت ، ط1، 2005، ص

إن ذاك القارئ الما قبل تفكيكي يكون أثناء بحثه عن المدلول واقعا تحت سطوة فكرة الحضور التي جعلته يغيب ذاته و قدراته و إمكاناته، الأمر الذي جعله عاجزا عن إضافة شيء من عندياته على النص .

و لما كان هذا حال القارئ في ظل المناهج النقدية السائدة فقد حاول " جاك دريدا" تخلص و تحرير هذا القارئ من فكرة الحضور المسيطرة عليه حيث لم يعد الدال يمثل حضورا بقدر ما أضحى يمثل الغياب، ليصبح النص بهذا مفتوحا " امام القارئ الذي لا يقوم فقط بتحقيق دلالاته و تفسيره ، بل بإعادة كتابته عن طريق استحضار الغائب فيه وملء فراغاته " <sup>1</sup> و التخلص من كل أنواع القيود التي حاصرته ، و امتلاك هذا القارئ شرعية الدخول إلى النص من أية زاوية يشاء مساءلة و محاوره و استنطاقا و استكشافا للنص من جهة و لذاته من جهة أخرى. و اذا كان القارئ " يستنتق حقيقة النص ويسائله عن دلالاته ، فإن النص بدوره يستنتق حقيقة القارئ ويسائله عن هويته" <sup>2</sup>.

و من خلال هذه المساءلة على القارئ أن يدرك حقيقة أن النص الذي بين يديه يمثل غيابا لا حضورا لانطوائه على دلالات غائبة / مؤجلة /مرجأة في سلسلة لا متناهية من الإحالات ، و ما على القارئ التفكيكي إلا الكشف عن مناطقه المغيبة / المسكوت عنها / اللآ مصرح بها و ملء الفراغات و الفجوات .

و عليه يمكن القول ؛ إن ذلك القارئ العادي / المستهلك / السلبي قد تحول مع التفكيك إلى قارئ مبدع منتج للدلالات ، فاتح لمجال التأويلات يسعى لعزل النص عن الأسيقة الخارجية و يرفض التسليم بدلالة واحدة و نهائية ، ولا يرضى بالمحدودية . و مادام القارئ

<sup>1</sup> - عبد العزيز حمودة : المرايا المقعرة(نظرية نقدية عربية)،عالم المعرفة الكويت ،2001،ص 152.

<sup>2</sup> \_ محمود أحمد العشري:الاتجاهات الادبية و النقدية الحديثة(دليل القارئ العام)،ص95.

التفكيكي "يأبى الخديعة فما عليه إلا اقتحام النصوص متحررا من عقدة النقص بادئا خوض تجربة جديدة تقوم على قلب المعاني".<sup>1</sup>

وبهذا يدخل القارئ في علاقة تفاعلية مع النص تجمع بين التمازج مرة و اللذة مرة أخرى لا ينظر فيها للنص كمعطى منجز / جاهز إلا في مستواه اللفظي و تبقى دلالاته مرجاة / مغيبة / مخبئة في طبقاته المعتمة و مناطقه الصامتة. كما يعمل القارئ التفكيكي على مقارنة النص بعيدا عن أي مرجع ، يقرأه بشيء من عندياته ما يجعله منتجا/ فعلا ترتبط حياة النص بقراءاته المتعددة، ذلك أنه قارئ يفتح على رغبة اللغة ويبدأ بالبحث عما هو مغيب فيها ، و بدون عشق حقيقي للنص لا يمكن أن تقوم أرضية مناسبة للقراءة، لا بد إذن من وجود رغبة و مشاركة بين القارئ و النص . و هذه هي اللذة الحقيقية التي أراد التفكيك تحقيقها " من خلال تكريسه لفعالية القراءة الابداعية .

### 3- ابداعية القراءة التفكيكية :

عمل التفكيك على إعطاء أهمية بالغة لفعل القراءة ، و ذلك من خلال تخلص النصوص من مختلف القراءات السائدة في فترة البنيوية وما قبلها ، والتي امتازت بالإغلاق والمحدودية ، فالتفكيك بوصفه استراتيجية في قراءة النصوص سعى إلى تطوير طرائق منفتحة للقراءة ، على نقيض البنيوية التي تهدف إلى قراءات مغلقة تريد تأصيل نماذج بنائية محدد في الخطابات<sup>3</sup>.

فإذا كانت القراءة نشاط حيوي يربط بين القارئ و النص في علاقة حميمة قوامها الحوار / الاختلاف / المثاقفة بعيدا عن وهم المطابقة و المماثلة، فإن القراءة بالمفهوم التفكيكي ابداعية / منتجة للنصوص تقوم على استحضار المغيب و ملء فراغات النص و فجواته

<sup>1</sup> - إبراهيم محمود الخليل:النقد الأدبي الحديث(من المحاكاة إلى التفكيك)دار الميسرة،الأردن ، ط1، 2003، ص115.

<sup>2</sup> - عبد الله إبراهيم و آخرون: معرفة الآخر ، ص 143.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه ، ص126.

و البحث عن المسكوت عنه أو عن اللامقول و عن اللامفكر فيه . ذلك أن القراءة الإبداعية تنتج الدلالات و المعاني لتجدد النصوص و تكشف عن أسرارها وتعمل على قلب نظامها و معانيها حنت تولد التوتر و التناقض بين طبقاتها . " فالقراءة في التصور المتأخر نشاط فكري مولد للتباين و منتج للاختلاف الذي هو من طبيعة اللغة نفسها وطبيعة عملية القراءة ، وكل قراءة تحمل معها ذات قارئها و أعماقه ومن هنا فليس هناك قراءة بريئة أبدا " <sup>1</sup>. هكذا هي القراءة بالمفهوم التفكيكي استتطاق للحاضر من أجل الوصول إلى الغياب " إنها قراءة تقوم على فضح النص و تتجه الى معرفة ما لا يقوله " <sup>2</sup> لتعلن عن مفهوم جديد لا يخرج عن إطار الخلق الإبداعي فهي " فعل معرفي لا يخلو من الإبتكار والتجديد " <sup>3</sup>.

تأسيسا على هذا ؛ تبقى القراءة التفكيكية لا تؤمن بالحدود ولا باليقين أو الحقيقة ، بل هي انفتاح دائم على اللامنتاهي و التعددية ، فتتازع القراءات فيما بينها للخطاب يفضي إلى متوالية لا نهائية من المدلولات لا يمكن لأحدها أن يستأثر بالاهتمام الكلي دون الآخر. <sup>4</sup> و الجدير بالذكر أن القراءة التفكيكية تعتمد في مقارنة النصوص على حركتين أساسيتين ، حيث تكمن الأولى في عملية الكشف عما هو مصرح به داخل النص ، أي المعنى الظاهر /الحاضر، " وهي قراءة تقليدية تثبت بها معانيها الصريحة الرصينة ، وهي قراءة تبقى مرحليا داخل الأفق الميتافيزيقي نفسه الذي جاء التفكيك ليعارضه و ينقضه و يهدمه و

<sup>1</sup> - محمود أحمد العشيري: الاتجاهات الأدبية و النقدية الحديثة (دليل القارئ العام) ، ص 49.

<sup>2</sup> - التأويل و الحقيقة (قراءة تاويلية في الثقافة العربية)، شركة دار التنوير للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان، 1995 ، ص 61.

<sup>3</sup> \_ المرجع نفسه ، ص 8.

<sup>4</sup> - عبد الله إبراهيم و آخرون : معرفة الاخر (مدخل الي المناهج النقدية الحديثة ) ، ص (113-120).

يفككه<sup>1</sup>، وفي هذه المرحلة يتم تحديد المعطى الجاهز ، لبتدأ بعدها عملية النقض لذلك المعطى بالبحث عن بؤر التوتر و التناقض التي ينطوي عليها النص و يعمل علي تخييبها ، وهي مرحلة تقوم على خلخلة البنية القلقة في النص للكشف عن غموضها وزيفها والكشف عن خبايا فجواتها .

وهي قراءة معاكسة تعتمد على ما ينطوي عليه النص من معان تتناقض مع ما يصرح به ، و تهدف القراءة التقويضية (أي التفكيكية ) من هذه القراءة إلى إيجاد شرح بين ما يصرح به النص و ما يخفيه... وفي مشروع القراءة هذا يقوم التقويض بقلب كل ما كان سائدا في الفلسفة الماورائية سواء كان ذلك هو المعنى الثابت أو الحقيقة القارة أو " العلمية " أوالمعرفة أو الهوية ... " <sup>2</sup> ، وبهذا فالنص يفكك نفسه بنفسه ، وهو الهدف الذي يرمي إليه "دريدا " منخلال قراءاته إذ يقول : " ما يهمني في القراءات التي أحاول إقامتها ليس النقد من الخارج وإنما الاستقرار أو التموضع في البنية غير المتجانسة للنص والعثور على توترات أو تناقضات داخلية يقرأ النص من خلالها نفسه، و يفكك نفسه بنفسه "<sup>3</sup>، و تبقى عملية القراءة الابداعية هي ثمرة ونتاج اللقاء بين القارئ المبدع و النص .

### ثالثا: المرجعيات الفلسفية للتفكيك

رغم أن التفكيك جاء ثورة و تمردا وتجاوزا لكل ما هو ثابت، وتقويضا لكل البنى الداخلية للنص إلا أن هذا المشروع النقدي لم ينشأ من عدم ولم يتواجد في ساحة السجال الفكري من فراغ، كما جاء حاملا لمبدأ الشك و الثورة على كل شيء .

<sup>1</sup> - محمود احمد العشري: الاتجاهات الادبية و النقدية الحديثة (دليل القارئ العام)، ص130

<sup>2</sup> - ميجان الرويلي و سعد البازعي: دليل الناقد الادبي (إضاءة لأكثر من خمسين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/بيروت، ط2 ، 2000، ص 108.

<sup>3</sup> - جاك دريدا : الكتابة و الاختلاف ، ص 49.

إذا كان ذلك كذلك، فلما لا نسلط هذا المبدأ على التفكير في حد ذاته؟ بغية تتبع المسار الفلسفي والمزاج الثقافي الذي أفرزه ومعرفة أهم المحطات التي استلهم أفكارها واستثمر مبادئها:

### 1 - سلطة العقل:

اكتسب التفكير اسمه من مصطلح قديم قدم الفلسفة الإغريقية على وجه التحديد،"عندما استخدمه الفلاسفة الإغريق الأوائل في تحليلهم للمعطيات الرياضية والمنطقية التي تكشف الفكر غير المتماسك أو المنطق الذي يتظاهر بالاتساق أو البنية الهندسية غير المحكمة أو المعادة التي تضرر تناقضا كامنا فيها، وبعد حوالي خمسة وعشرين قرنا عاد المصطلح الرياضي و المنطقي للتواجد في شكل نظرية أدبية ولغوية وفلسفية على يد الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا"<sup>1</sup>.

ومنذ القرن السابع عشر أعطيت السلطة الأولى للعقل باعتباره السبيل الأوح لليقين والمؤسسة الوحيدة المعترف بها بعد أفول الكنيسة الكهنوتية و بعد الشك في الفلسفة التجريبية لاعتمادها المنهج العلمي وقدرة الحواس في الوصول إلى الحقيقة " فأصبحت التجريبية بمنهجها العلمي موضع شك قابله يقين في قدرة العقل بمقولاته الميتافيزيقية العليا والسابقة الوجود على ذلك وذلك عن طريق إخضاع كل شيء لقدرة العقل التي هي بحث دؤوب عن الأسباب و العلل ومن ثمة الارتباط الحميم لمبدأ السبب أو العلة بمبدأ العقل"<sup>2</sup>. الذي هو أعدل الأشياء توزيعا بين الناس - كما يقول ديكارت- والمعرفة والعلم يحتاجان إلى منهج وإجراءات وقواعد ترتكز أساسا على مبادئ العقل.

<sup>1</sup> - نيل راغب: موسوعة النظريات الأدبية، مكتبة ناشرون، بيروت، دط، ص224 .

<sup>2</sup> - عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة(من البنيوية إلى التفكير)، عالم المعرفة، الكويت، 2001، ص299 .

## 2 - دورة الشك واليقين:

لما كان مطلب كل فيلسوف هو بلوغ الحقيقة واليقين، كان لزاما على كل واحد منهم أن يتخذ لنفسه منهاجا وسبيلا لبلوغ هذه الغاية، وها هو أب الفلسفة الحديثة رينيه ديكارت **Descartes** يروم بلوغ اليقين من خلال منهج الشك، فيقول في كتابه تأملات: "للفحص عن الحقيقة يحتاج الانسان مرة في حياته إلى أن يضع الأشياء جميعا موضع الشك بقدر الإمكان"<sup>1</sup> وقد طال الشك الديكارتي كل شيء ، وهذا من أجل أن يحقق مأرب الوصول إلى الحقيقة / المعنى . فشك في معتقداته القديمة وآرائه السابقة ، وشك في شهادة الحواس لأنها خادعة (مثلما هة الحال أثناء النوم)، وشك في قدرة العقل لأنه مضلل في أحيان كثيرة فقال: "من واجبي أن أشك في وجود أشباهي من الناس ، وفي جميع الأحكام التي تبدو أوضح القضايا وأكثرها بدها، والإنسان بعد أن يكون قد شك في كل هذا، يكون قد تهيأ إلى أن يصل إلى اليقين الأول وهو يقين النفس أو الكوجيتو، لأن ثمة شيئا واحدا يظل دائما بمنأى عن الشك وهو "الفكر" ، وحتى لو فرضنا أن الإنسان شك في أنه يفكر فمثل هذا الشك يقتضي أن يفكر، لأن الشك ضرب من ضروب التفكير، فأنا أفكر أي أشك"<sup>2</sup> وبهذا وضع ديكارت أساس اليقين الأول وهو يقين الفكر، و قال عبارته الشهيرة الموسومة "بالكوجيتو": أنا أفكر إذن أنا موجود . إذ حقيقة الوجود مرتبطة بالفكر هذا الاخير الذي لا يمكن الوصول إلى حقيقته إلا عن طريق الشك ، بحيث يمكن تلخيص فكر ديكارت على هذا النحو: " أنا أشك إذن أنا أفكر ، وأنا أفكر إذن أنا موجود"<sup>3</sup> وهذه هي قيمة الشك المنهجي الديكارتي الذي يسعى لبلوغ الحقيقة واليقين فبدايته شك منهجي وغايته ومنتهاه يقين وحقيقة .

<sup>1</sup> - أمل مبروك: الفلسفة الحديثة، الدار المصرية السعودية، مصر، ط1 ، 2006 ، ص 88 .

<sup>2</sup> - المرجع نفسه ، ص 90 .

<sup>3</sup> - المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

وفي إطار دورة الجدل بين الشك واليقين ومع بداية القرن العشرين انقلبت الثنائية من يقين بالعقل وثقة بمنجزاته إلى شك في قدرته على السيطرة على الحياة، فقد أكد الدمار الذي لحق بأوروبا أثناء الحرب العالمية الثانية بسبب استخدام الولايات المتحدة الأمريكية لقنبلتين ذريتين مدمرتين في هيروشيما ونكزاكي إلى إحساس بالرعب وعدم الثقة في نتائج التكنولوجيا، كل هذا الدمار ولد لدى الفرد الغربي حالة من اليأس والشك في كل القيم والمبادئ التي جرها دعاة التنوير والحداثة، بما في ذلك العقل والحرية والتقدم وأدرك هذا الفرد توهم الذات على أنها قادرة على امتلاك الطبيعة بواسطة العقل الأداة وتسخييره لإرساء السعادة، فقد اصطدم بحقيقة مأسوية "تمثلت في أن الآلة التي صنعها العقل قاتلة وأن العقل نفسه قاصر على بلوغ اليقين الموضوعي لتتقلب السعادة إلى تعاسة ويتحول اليقين إلى شك، والسيد إلى مسود، وكأن الذات الأوروبية بهذه المغامرة تعبر عن اللامعنى في ثوب الإصرار على المعنى/ الحقيقة، أي أنها تتخذ العقل الأداة وسيلة للهيمنة على الوجود ثم عندما يعجز في عمله هذا تزيحه ليحل محله اللاعقل وهكذا تبقى وكأنها تحمل في لاوعياها عبث أسطورة سيزيف"<sup>1</sup>.

وبالموازاة مع هذا، كان جو الشك والانتقاد يطغى على عديد التيارات الفلسفية المنتقدة للنزعة الإنسانية والتي ساهمت في رسم ملامحها وتحديد توجهاتها عدة شخصيات بدءاً بـ "كوبرنيك" وصولاً إلى "داروين"، "ماركس"، "نيتشه" و"فرويد"، ففيما قوض كوبرنيك نظرية مركزية الأرض التي قال بها بطليموس، وتبنتها الكنيسة وبهذا قوض مركزية الإنسان ومحدوديته وسط هذا الكون، ظهرت النظرية الداروينية التي ألحق فيها داروين الإنسان بعالم الحيوان وحكم حياته على غلبة الأقوى والصراع من أجل البقاء. ليكتمل الانتقال و الحد من سطوة الإنسان مع عالم النفس فرويد بتحليلاته النفسية والتي

<sup>1</sup> - عبد الغني بارة: المسارات المعرفية للنبوية، مجلة فصول، مصر، العدد 64، 2004، ص 57.

اكتشف فيها مفهوم اللاشعور وقوض بها الوعي الإنساني والإدراك والإرادة الحرة. إذ لم تعد أهمية الإنسان تكمن في كونه عاقلاً ولا في كونه ذاتاً قاصدة وواعية متحكمة في نفسها ومواضيعها الخارجية، ولكن بوصفه كائناً حيويّاً له حاجياته ورغباته المرتبطة بدوافع الغريزة وحاجيات الجسد، حيث أن سلوك الإنسان مرتبط باللاوعي أكثر من ارتباطه بالوعي وباللاشعور أكثر من ارتباطه بالشعور، وباللاّعقل أكثر من العقل.

أما كارل ماركس فقد قوض فكرة الفردية واستقلالية الذات وأكد على قيمة البنية والعلاقات الاجتماعية وهذا عكس ما نادى به الرومانسية والوجودية ليسير هو الآخر وفق منهج التفويض والهدم والبحث عن البدائل الذي ساد الفكر الغربي آنذاك.

لنخلص في النهاية إلى أن جدل الشك سواء مع ديكارت في نسخته المنهجية أو الشك في منجزات العلم والعقل أو الشك في الوعي الإنساني والفردية مختلف تماماً عن الشك التفكيكي ، ذلك أن الأول محدد الأهداف يسعى إلى بلوغ الحقيقة، فيما لا يعترف الشك التفكيكي مع دريدا بشيء يسمى حقيقة / يقين / مطلق / أصل..

### 3 - مدرسة فرانكفورت:

هكذا كانت ثورة الشك تتخر الجسد الغربي في كل جزء منه، وقد تلازم هذا الشك مع التفكيك كأهم مطلب ومبدأ له، شك لم يقصد الوصول إلى الحقيقة المطلقة بل جاء رافضاً للنظام و السلطة والتقاليد والمركز، لم يكن وسيلة لتحقيق غاية اليقين بل هو الغاية في حد ذاتها ما يجعله يختلف عن الشك الديكارتي الذي ألح عليه صاحبه لما يتصف به من منهجية - "الشك المنهجي" - والذي ينشد الوصول للحقيقة واليقين. بعيداً عن هذا الشك المعقلن ولد شك نقدي أوسع وأشمل اتضح مع مدرسة فرانكفورت التي ظهرت في ثلاثينيات القرن المنصرم في ألمانيا، وقد مهدت الطريق لبروز خطاب ما بعد الحداثة والذي ظهر كتحد لنزعة الحداثة وتجاوزاً لقيامها ، وهو خطاب لا يمكن الحديث عنه إلا في سياق

الشك الشامل الذي أصبح يشكل سمة العصر الحالي فقد وجهت المدرسة نقدا عنيفا للتتويريين والحداثيين ذلك أن العقل الذي ادعى تحرير الإنسان الغربي من سجن الكنيسة انحرف عن مساره وأدخله سجن الرعب من منجزاته التي تمارس سيطرتها على الإنسان لهذا رأت مدرسة فرانكفورت أن مشروع الحداثة لا يغدو كونه هيمنة للعقل الذي كان أساسا للتعارض بين العلم التجريبي والفلسفة العقلية في محاولة لترسيخ أحكام منطقية بعيدة عن الجانب الغيبي الأسطوري وبهذا وجهت هذه المدرسة ضربات نقدية للعقل التفكيكي الذي أرسى دعائم ميتافيزيقا الاختلاف/الغياب كمقابل أونقيض "للعقل الأداة" صاحب ميتافيزيقا التعالي/الحضور من أجل التأسيس لعقلانية جديدة...

وبهذا أسهمت مدرسة فرانكفورت في بيان الفجوات النقدية في الطرح التفكيكي حيث عمدت إلى التوضع خلف المعطيات النقدية والمعرفية للتفكيكية، ثم بيان اهتزازها وعدم استقرارها. ويمكن أن نلخص أهم الخصائص التي امتازت بها مدرسة فرانكفورت في: "توجيه النقد لسلوك الإنسان وأفعاله، ولأيديولوجيا الإنسان الغربي، إضافة لنقدها المجتمع الرأسمالي ورصد أزماته. وهي تشترك مع نظريات ما بعد الحداثة في نقد سبل الحداثة بأشكالها: الاجتماعية، الفلسفية، الثقافية، السياسية إضافة لمعارضة الهيجلية والماركسية والاتفاق على أهمية المحور الإنساني في البناء التاريخي الاجتماعي".<sup>1</sup>

#### 4 - الشك في البنيوية :

ولأن موجة الشك اتسعت لتشمل كل شيء فقد تعرضت البنيوية وهي وريثة الفلسفة العقلية والمنهج التجريبي للشك والنقد من طرف أنصار المشروع التفكيكي وهم أصحابها سابقا مثل ميشال فوكو، رولان بارت وجاك دريدا... فالبنيوية حررت الذات الإنسانية من عبودية الفلسفات العقلية فعزلتها عن الأشياء ولم تتخذ مرجعا في الوصول إلى الحقيقة لكن

<sup>1</sup> - ميجان الرويلي، سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، ص ص 200، 202.

من منظور التفكيكيين هي وإن حررت الإنسان من سجن العقل سعياً لبلوغ اليقين جعلته حبيس أنساق النص لا يخضع إلا لبناءه ولا يسمح له بالإبداع أو التأويل أو الإضافة من عندياته وبالتالي فهي قاتلة لحرية الفرد الإبداعية.

### 5 - فلسفة الموت:

وبالموازاة مع هذا الجدل بين الشك/ اليقين، الداخل/ الخارج، ووسط هذه الاتهامات بمحدودية العقل ونسبيته والتشكيك في أحكامه وعجزه عن بلوغ اليقين يظهر أول الداعين لنقض العقل الغربي وتعريته وفضح قصوره وهو الفيلسوف الألماني نيتشه **Nietzsche** وما اتصف به من نزعة الشك ودعوته إلى تفكيك العقل الغربي من خلال مقولته "موت الإله" التي مهدت لظهور مقولتي "موت المؤلف" عند بارت، و"موت الإنسان" عند ميشال فوكو.

وهذا ما سنحاول الوقوف عنده للكشف عن فلسفة الموت التي أصابت الفلاسفة الثلاثة على خلاف أطروحاتهم الفلسفية وآرائهم النقدية.

ربط نيتشه مقولة "موت الإله" بمعطيات أخرى مثل: الإنسان الخارق، وإرادة القوة والعود الأبدي، وشكلت هذه المكونات حلقة بارزة في النمط الإختلافي التفكيكي وفقاً لقاعدة الهدم والتقويض، حيث أن سلطة الإنسان لا تتأتى إلا في غياب سلطة الإله وزواله والحكم عليه بالموت والعدم، أما مقولة الإنسان السوبرمان/ الخارق/ فهي تعكس القوة اللامتناهية للإنسان في تحديه كل الثوابت اللاهوتية والمعرفية السابقة، من أجل الوصول إلى الغاية النيتشوية القصوى وهي العود الأبدي، وتجسيد هيمنة كلية/أبدية تلخص في مسعاها إرادة القوة الحقيقية.

أراد نيتشه، إذن، من خلال دعوته - نقض العقل الغربي وأنساقه والشك في الموروث الفلسفي وفي كل ما اعتبر مركز/ مقدس فرضته الفلسفات التقليدية - القضاء

على حصن المتافيزيقا الغربية، وبالرغم من محدودية أثر أفكاره حينها والتي وصفت بالعدمية / الفوضوية / التحريضية غير أنها أصبحت مع مرور الزمن تراثا فكريا احتمى به الكثيرون في مواجهة العقل والعقلانية الأنوارية خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، وقد وجه نيتشه نقدا عنيفا لفلاسفة الأنوار وللتراث الفلسفي الغربي برمته ولكل مقولاته السابقة من (عقل / منطوق / حقيقة) لما خلفته هذه الأوهام الثلاث من أخطاء ومحدودية "فاتسمت أفكاره- أي نيتشه- بالانعكاس الارتدادي المكثف، ذلك أن التركيز الحالي على الانعكاسية réflexivité وهو شكل من أشكال الوعي بالذات أو النظر بداخل الذات) يعود جزئيا إلى التحول النقدي من التركيز على الفرد إلى الاهتمام بالنص وهكذا نلاحظ من نيتشه إلى دريدا أن الذات البشرية - وهي مركز الاهتمام التقليدي للفكر الفلسفي كموضع للتجربة والأخلاق والإرادة - تخرج من مركز الاهتمام تدريجيا<sup>1</sup> هذا وتتضمن فلسفة نيتشه القول بعدم وجود خلاصات نهائية "قالنص لا يمكن أن يكون مثبت المعنى ولذلك لا يمكننا سبر أغواره، ويرى نيتشه أنه ليس بإمكاننا الإفلات من قيود اللغة ولذلك فنحن مجبرون على العمل داخلها، كما أنه يدرك تماما مشكلة التفكير الانعكاسي: عندما نقول أننا (سجناء اللغة ومفاهيمها) فإن هذا الحكم في ذاته جزء من اللغة، أي أننا نريد التعبير عن كوننا سجناء، ولكن ليس بإمكاننا فعل ذلك بواسطة المفاهيم التي تسجننا، ولذلك فالفكرة الرئيسية نقلت من قبضتنا لأننا لو استطلعنا عنها لما كنا سجناء"<sup>2</sup>.

غير أن تركيزنا يجب أن يكون حول أكبر ما أثر في فكر دريدا التفكيكي من جملة ما طرح نيتشه وهو ما ذكرناه سابقا "موت الإله" تعبيرا عن بداية النهاية للميتافيزيقا الغربية التي تنطلق من أفلاطون Platon وتصل إلى ديكارت Descartes والإعلان عن ميلاد

<sup>1</sup> - مادان ساروب: دليل تمهيدي إلى ما بعد البنيوية وما بعد الحداثة، ترجمة خميسي بوغرارة، منشورات مخبر الترجمة في الأدب واللسانيات، قسنطينة/الجزائر، دط، 2003، ص ص 66، 67.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 67.

"إنسان متفوق" بقدرته على الإنسان العادي، وقد سئل محمد أركون عن مقولة "موت الإله" فكانت إجابته من خلال كتاب الفكر الإسلامي (نقد واجتهاد) على هذا النحو: "هذه العبارة الشهيرة التي أقامت الدنيا وأقعدتها مثلما أقامتها عبارة فوكو عام 1966 وربما أكثر (لأن عبارة فوكو ليست إلا تفرعا عن عبارة نيتشه) أقول إن هذه عبارة واردة في نص شهير بعنوان "المجنون" (كتاب علم الفرح لنيتشه الفقرة 125). عبارة نيتشه لا تعني أن الله يموت بالمعنى الحرفي للكلمة أو أنه يموت في المطلق، وإنما تعني بأن هناك نمطا محددًا من التقديس (هو نمط القرون الوسطى) قد مات وانهار، لقد قضت عليه الحضارة الصناعية والتقدم العلمي والتكنولوجي الذي بلغ أوجه في عصر نيتشه (أواخر القرن 19) وأكتسح وجه أوروبا كلها، إذن، فنيتشه لم يخترع شيئًا من عنده إذ قال ما قاله، فقد اكتفى بملاحظته ما يحدث حوله كما يلاحظ العالم بكل برود وموضوعية ظاهرة كبيرة ما... سؤال نيتشه هو كالتالي: "كيف يمكن لهذا التقديس القديم الذي يسيطر على البشرية المسيحية الأوروبية قرونًا وقرون أن يتفسخ وينهار لكي يحل محله تقديس آخر جديد، تقديس العالم وآلهة العلم والسيطرة على الطبيعة والكون والأشياء، فإذن، نيتشه أعلن عن موت نمط الإنسانية المسيحية التقليدية الذي - أكل وقته - كما يقول المثل الفرنسي ولم يعني موت التقديس في المطلق".<sup>1</sup>

وبهذا مثلت فلسفة نيتشه مرحلة تأسيسية لخطاب جديد انتقلت عبره حمى الموت من الألوهية إلى عالم الإنس حيث يعلن ميشال فوكو Michel Foucault عن نهاية النزعة الإنسانية وذلك بمقولة "موت الإنسان" فيتساوى الإله مع الإنسان، ذلك أن لا وجود لسلطة إنسانية في غياب السلطة الأسمى (إله) لاسيما وأننا لا نكاد نلمس وجوده في القرون

<sup>1</sup> - محمد أركون: الفكر الإسلامي (نقد واجتهاد)، ترجمة هاشم صالح، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1993، ص 262، 263.

السابقة لانعدام الاهتمام به وبمتطلباته، فإذا كان الإنسان وليد تحول عميق وانقلاب في المنظومة المعرفية الغربية وأسسها فإن أي انسحاب سيؤذيه حتماً، إلا أن موته حسب فوكو مرتبط بعودة الفلسفة التي تؤكد اندثار الإنسان كما ستؤكد حمق الآراء التي ما زالت تصغي لصدى الإنسان الميت الذي ليس له جوهر أو موضوعية " الإنسان سوف يندثر مثل وجه من الرمل مرسوم على حد البحر"<sup>1</sup>.

هكذا، إذن، كان خطاب كل من نيتشه وميشال فوكو كمثيله عند دريدا تقويضاً لكل سلطة محورية إذ يحاول أن "يلغي أي مركز وأي ميزة يمكن أن تنشأ من وجود المركز، ولا يبدأ باعتباره تذكراً للأصل أو ذكرى للحقيقة، بل هو يسعى على العكس من ذلك إلى خلق الاختلافات، وهو لا يفتأ يستقصي ما هناك من فروق، إنه بمنزلة التشخيص (بالمعنى الطبي)"<sup>2</sup>.

يبدو أن الفلاسفة الغربيين قرروا القضاء على كل مرجعية أو مركزية ثابتة، لتطال عملية التصفية بعد هذا "المؤلف" فيكون أحد حلقات الاغتيالات الفلسفية، ويعلن رولان بارت **Roland Barthes** عن موته وإبادته " لقد أصبحنا نعلم أن الكتابة لا يمكن أن تفتتح على المستقبل إلا بقلب الأسطورة التي تدعمها فميلاد القارئ رهين بموت المؤلف"<sup>3</sup> بعد أن كان المؤلف مصدراً للدلالة و الشاهد الأول على شرعية قراراتنا وتفسيراتنا، ومبدأ تجميع الخطابات ودليل تماسكها أعلن بارت نهايته وموته مقتنياً بذلك أثر فوكو، ومدمراً لصوت المؤلف داخل النص. علماً أن هذه المقولة سبقتها محاولات كثيرة قبل بارت "فملارميه قد أحل اللغة محل المؤلف جاعلاً إياها التي تتكلم، وفاليرييه لم ينفك عن وضع

<sup>1</sup> - ميشال فوكو: الكلمات والأشياء، ترجمة مطاع صفدي وآخرون، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1989، ص 181

<sup>2</sup> - جون ستروك: البنيوية وما بعدها من ليفي شتراوس إلى دريدا، ص 116 .

<sup>3</sup> - رولان بارت: درس في السيميولوجيا، ترجمة عبد السلام بن عبد العالي، دار توبوقال للنشر، الدار البيضاء ط3، 1993، ص 87.

المؤلف موضع شك وسخرية، وپروست حاول إدخال التشويش على العلاقة الرابطة بين المؤلف وأعماله، كما عملت السريالية على نزع الطابع القدسي الذي كانت تتخذه الكلاسيكية من صورة المؤلف، وبعيدا عن الأدب فإن اللسانيات قد بينت أن اللغة تعرف الفاعل ولا علاقة لها بالشخص، ومن هنا يمكن لعملية التواصل أن تتم على أتم وجه دون إسناد العبارات إلى الأشخاص المتحدثين بها، بالإضافة إلى الشكلانيين في تأكيدهم على أدبية الأدب قد ضمّنوا مفهوم الأدبية اهتماما بالنص ( والنص فقط) مع إلغاء المؤلف إلغاء تاما لأن النص عندهم تركيب ولعب وليس انعكاسا لمشاعر المؤلف<sup>1</sup>.

ورغم كل هذه المحاولات برزت محاولة بارت التي استبدلت سلطة المؤلف بسلطة لا تقل أهمية وخطورة منه هي سلطة القارئ الذي يمارس طقوسه على النص بغية إخضاعه واستنزاف مكنوناته وتوليد النص وتكثيف القراءات، فيكون موت المؤلف مظهرا من مظاهر التفويض والهدم والموت التي انتقلت لدريدا الذي ارتبط معه الموت بالكلام ليموت وتحل محله "الكتابة"، ويموت الشفا هي والمنطوق ويقوض التمرکز الصوتي- الذي طبع الفكر الغربي سابقا - لتحل مكانه الكلمة المكتوبة.

### 6 - مبدأ التفويض:

وإذا كان سعي دريدا تفويض وهدم كل مركز ومرجع متعالٍ في الفلسفة الغربية لاسيما الأساس الذي قامت عليه (العقل، الميتافيزيقا، الكلمة) فإن هذا لتأثر واضح بعلم آخر في مجال هدم تدمير الفكر الغربي والموروث الفلسفي القديم، وهو مارتين هيدغر **Martin Heidegger** الذي دعا إلى تفكيك انطولوجيا الكلاسيكية مركزا نقده على الخطاب الماورائي حول مسألة الكينونة، وقد اعترف دريدا بفضلِه إذ عدّه "أول من قرع نواقيس الميتافيزيقا، وعلمنا أن نسلك معها سلوكا استراتيجيا يقوم على التموضع داخل

<sup>1</sup> - عمر أوكان: لذة النص (أو مغامرة الكتابة عند بارت)، إفريقيا الشرق، ط1، 1996، ص61.

الظاهرة وتوجيه ضربات متوالية لها من الداخل"<sup>1</sup> وتحليل أهمية الهوامش والفجوات والاختفاءات المضمنة داخل النص.

ظهر، إذن، التفكير عند دريدا متأثراً بهؤلاء الفلاسفة وغيرهم ( نيتشه، ميشال فوكو رولان بارت، مارتن هيدغر، هوسرل... )، حيث برع في استثماره حتى أشتهر به مركزاً نقده بشكل خاص على الميتافيزيقا والعقل والكلمة والمعنى والحضور...

وبواسطة مقولة الشك وعدم القبول أو التسليم بالبدايات أخذ دريدا يخلخل مقومات الإرث الفلسفي الغربي، وبزعزع طمأنينة مركزها العرقي والثقافي ليكون بهذا قد أخضع التاريخ الفلسفي الغربي لقراءة نقدية استهدفت زعزعة أساسه العقلي وميراثه الميتافيزيقي الذي يشكل الهوية الغربية، كما استهدفت هاجسه النرجسي بالسلطة والمركزية والأحادية.

وذلك من خلال خوضه في المسكوت عنه / اللامفكر فيه و تجاوزه للنماذج الجاهزة التي كان يتطلب تقليدها و احتذاؤها و رفضه لسلطة و هيمنته الخطابات الموروثة والأفكار المحددة سلفاً، والتي ولدت -غالبا - في ظل غياب ثقافة المساءلة و الحوار و انعدام فكر الاختلاف. ولهذا جاء التفكير بغية التأكيد على أن هذه الخطابات لا يجب "أن تتحل إلى تصورات خالصة أو مقولات صارمة ولا تختزل إلى أدلة برهانية أو قياسات علمية."<sup>2</sup>

ولم يقف التفكير عند الشك و الرفض بل أكد على الإستنتاج و المساءلة لكل البنى والنظم المعرفية الجامدة و الأنساق الفكرية المغلقة، و امتد إلى الخطابات الفلسفية والميتافيزيقية و التاريخية و السياسية ، واتسع ليشمل خطابات الذات و الهوية و الحقيقة ليكون بهذا بلغ منطقة التوتر و المأزقية بنفيه لأي استثناءات.

<sup>1</sup> - جاك دريدا: الكتابة والاختلاف، ص 41 .

<sup>2</sup> - علي حرب: التأويل و الحقيقة (قراءة تأويلية في الثقافة العربية)، ص 21.

وعلى كل حال فإن التفكيكية " حركة بنيانية و ضد بنيانية " في الآن نفسه " <sup>1</sup>، فهي من جهة تحاول أن تفكك كل بناء اكتسب صفة الكمال و المطلقية لا لتصل إلى ماهيته بل لخلخلته و رج أجزائه قصد الوصول إلى التشتت و التناقض و الصراع و التعدد والانتشار " فليس ثمة أصل محض، و أن الأصل يبدأ ب (الثلوث) أو بالإبتعاد عن مقام الأصلية بمجرد أن يتشكل كأصل ، فيجد نفسه مجبرا على أن يمهد لمسار تأتي فيه الآثار المتتابعة"<sup>2</sup>.

وبهذا يفهم أن كل بنية مهما تعالت خاضعة-مع التفكيك-لمبدأ التقويض و الخلخلة لا تؤمن بمبدأ التعالي ، ذلك أن دريدا يرى في " محاولة إعادة البناء، فкра غائيا لا يختلف عن الفكر الذي يسعى إلى تقويضه "<sup>3</sup>.

و من هذا المنطلق بالذات راح التفكيك يعلن الرفض و التمرد ضد كل سلطة أو مركز أومرجعية ساعيا للتغيير و التحويل و التجديد و الاختلاف .و سيتضح هذا التوجه أكثر من خلال المباحث اللاحقة .

<sup>1</sup> - عبد الله ابراهيم و آخرون: معرفة الآخر (مدخل الي المناهج النقدية الحديثة) ،ص144.

<sup>2</sup> - جاك دريدا: الكتابة و الاختلاف،ص30.

<sup>3</sup> -ميجان الرويلي و سعد البازعي:دليل النقد الادبي ، ص107.

المبحث الثاني : من "فينومينولوجيا هوسرل" إلى "هيرمينوطيقا هيدغر"

أولاً : التفكير و فينومينولوجيا هوسرل

### 1 - ماهية الفينومينولوجيا :

" إن الفينومينولوجيا الخالصة التي نبحت هنا عن طريقها ... والتي نود أن نبرهن عليها كعلم أساسي للفلسفة هي علم جديد على نحو خاص بعيد عن التفكير الطبيعي نظرا إلى خصوصيته الأساسية ... إنها تسمى علم الظواهر "

إدموند هوسرل

أثارت قضية الفينومينولوجيا *phénoménologie* اهتماماً بالغاً ضمن الأبحاث بوصفها انعطافاً فلسفياً وحيوياً في مسيرة التفكير الأوروبي الحديث، ذلك أنها اهتمت بدراسة الظواهر في إطار تحولات العقل التأويلي في الفلسفة الغربية كما قدمت استشهادات معرفية للانفتاح على الكينونة، واهتمت في بحثها بمعالجة مسألة " فهم الوجود "وتفسير شروطه وكيفية شرحه وفهم تشكيل تجربته.

وتعد الظاهراتية الركيزة النظرية التي تأسست عليها معظم الفلسفات الوجودية تأسيساً جذرياً يقوم على مبادئ مطلقة ، وذلك من خلال عزلها الظواهر والنصوص عن الأحكام و التصورات السابقة بدعوى أنها تجارب مستقلة تعيشها الذات المتعالية ، وذلك أجل أن تعطي فرصة لتلك الظواهر و النصوص كي تتبدى وتظهر وتعبر عن كينونتها، بمعنى أن تسمح للوعي القصدي ان يكشف عن جوهرها دون أحكام جاهزية قبلية ، بل إن التفسير رهين القصدي الواعية الخالصة . فالفينومينولوجيا " لا علاقة لها باستنباط العالم انطلاقاً من "واقع الشعور" ، ولا "ببناء ميتافيزيقي " يترك المجال مفتوحاً لعالم من الأشياء بذاتها إنما هي مثالية لا تعدو أن تكون مجرد تبيان للأننا ولمعنى التعالي الذي تزودني به التجربة

حقيقة، تجربة الطبيعة، تجربة الثقافة، تجربة العالم عموماً ، ويعني ذلك الكشف بنظام القصدية المقومة ذاتها<sup>1</sup>.

وهذه الفلسفة الظاهراتية القائمة على الوعي القصدى الخالص ، وفلسفة التعالي تعود بالفضل لجملة المفاهيم الرئيسة و المعطيات التي صاغها إدموند هوسرل حيث أدرك "أن العلوم الموجودة رغم أنها لا تصل إلى نتائج تقريبية وغير كاملة على الدوام فإنها موجهة من حيث القصد - وهنا تكمن قيمتها بالنسبة إلى الفيلسوف - نحو موضوعية مطلقة- ، وهكذا فإن ما يجب تحليله هو قصد العالم ، أي قصدية الشعور، فالأساس لا يوجد إلا من جهة الذات"<sup>2</sup>.

أما عن ماهية الفينومينولوجيا فيمكن استخلاصها من السؤال الذي طرحه هوسرل وإجابته عنه : "كيف يمكن للمعرفة أن تكون على يقين بأنها تتفق مع الأشياء كما هي في ذاتها؟ لتكون إجابته هي نظرية معرفية تسعى إلى التوغل إلى غاية ماهية المعرفة، وفي نفس الوقت إلى غاية ماهية موضوعها ، مادام أن الفعل المعرفي لا يمكن أن يفهم إلا في ارتباطه بشيء ما ، أي في علاقته بموضوعه ، باعتبار أن هذه العلاقة هي التي تحدد ماهية كل منهما ، ومن هنا ، وبهذا المعنى كانت ماهية المعرفة عند هوسرل هي نفسها ماهية الوجود ، والعكس صحيح، أي من حيث إن إحداها ضرورية ضرورة مطلقة لفهم الأخرى"<sup>3</sup> بمعنى أن الظاهراتية ليست نظرية في المعرفة بقدر ما هي نظرية في "ماهية المعرفة" و نظرية في " ماهية الوجود".

فما هي أبرز مقولات الظاهراتية عند هوسرل وما علاقتها بتفكيكية دريدا ؟.

<sup>1</sup> - نبيهة قارة: الفلسفة والتأويل ، دار الطليعة، بيروت ، ط1، 1998، ص 39 .

<sup>2</sup> - نادية بونفقة: فلسفة إدموند هوسرل (نظرية الرد الفينومينولوجي) ، تقديم: عبد الرحمان بوقاف، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط1، 2005، ص 53.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص ص 116، 117 .

2 - فينومينولوجيا هوسرل:

" لست أنا الذي يهم ، ولكنني على يقين بأن الفلسفة ...في حاجة إلى هذه الأفكار ، إلى هذه المناهج التي إكتشفتها شيئاً فشيئاً..."

إنني مقتنع بأن هذا هو الطريق الذي بإمكانه أن يسمح بولادة حضارة مؤمنة ضد كل المذاهب الشكية\*  
إدموند هوسرل

يعد **إدموند هوسرل Edmund Husserl** المؤسس الأول للفلسفة الظاهرية التي برزت في النصف الأول من القرن العشرين كصيغة جديدة للكوجيتو الديكارتي **Cogito**، وفلسفة من فلسفات الحضور المؤسسة للوعي واليقين، "ورغم أنه انطلق من العقلانية الديكارتيّة في بحثه عن الحقيقة، غير أنه وضعه لك المنطلقات الفكرية محط شك ومساءلة ومن هنا جاء رفضه " للكوجيتو"، بوصفه تفكيراً، انطلاقاً من "أنا أفكر إذن أنا موجود" والذي يغيب القصدية، فيما يركز هوسرل على نظرية القصدية التي تمثل أساساً للمنهج الفينومينولوجي"<sup>1</sup>، حيث أن " الوعي تلقىب لأفعال نفسية أو خبرات قصدية، إن الوعي دائماً هو وعي بشيء ما، له على الدوام اتجاه يتوخاه أو هدف يسعى إليه بين الأشياء"<sup>2</sup>.

ومن جانب آخر وضع صاحب المنهج الظاهراتي حدوداً بينه وبين الكوجيتو الديكارتي من خلال ما أسماه " الأنا المتعالية" بوصفها شرطاً لكل معرفة وتماييزاً عن الذات المفكرة لدى العقلانيين، هذه الأنا "الترنسدنتالية" التي تختلف عن الأنا الفردية في كونها تقف خارج العالم، "وتعد الشرط المسبق لكل فعل ذهني، أو لأي خبرة على الإطلاق، بما فيها جميع أفعال الرد الفينومينولوجي ، غير أن هذه الأنا، التي تعد مصدر

\* - المرجع السابق: ص 35 .

<sup>2</sup> - رمان سلدان: موسوعة كومبريدج في النقد الأدبي (من الشكلانية إلى ما بعد البنوية)، مراجعة ماري تريز عبد المسيح، إشراف جابر عصفور، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2006، ص 443.

الإدراك وأصل الوعي ومن ثم إنتاج المعرفة، تعطل في مقابل هذا، فاعلية الأشياء أو الوجود في الظهور والكشف عن ذاتها المستقلة"<sup>1</sup>.

إضافة إلى هذا فإن جوهر الظاهراتية عند هوسرل تتمثل في رفضه لوجود أسبقية خارجية أو إحالات خارج نصية ، بل ينظر للظاهرة /النص معزولة عن كل شيء لا يمكن تحديد ماهيتها إلا من خلال الوعي الخالص ، وهكذا استطاعت من خلال مقولتي "قصدية الوعي" و "الذات المتعالية" أن تقدم رؤية جديدة في إدراك ماهية الظواهر/النصوص.

ولأن ظاهراتية هوسرل ارتبطت بالفلسفة المتعالية على المنوال الديكارتي، ولما كانت موجة الشك التي زرعتها " دريدا" لا تستثني فلسفة، اعتبر دريدا الفينومينولوجيا" ومنذ فاتحة البحوث المنطقية، الميتافيزيقا بعينها، أوهي مكررة لليقين بل اليقينيّات الميتافيزيقية الكبرى حول الوجود والنفس، وحول القول والمعنى وحول الضامن لكل ذلك. أي تأويل الوجود حضوراً"<sup>2</sup>، وهذا لا يعني أن دريدا أنكر أفضلية هوسرل عليه بل هو إقرار لا يمنع من تصويب سلاح النقد والشك فقد صرح قائلاً: "تعلمت منه المنهجية وتشكيل الأسئلة بيد أنني لا أشاركة موقفه العاطفي، وتعلقه بفينومينولوجيا الحضور، في الحقيقة إن منهج هوسرل ساعدني على التشكيك بمقولة الحضور التي لعبت دوراً أساسياً في جميع الفلسفات"<sup>3</sup>.

وهذا ما يعكس النهج المعرفي المختلف بين الفيلسوفين ففيما انطلق دريدا من مبدأ نقض الميتافيزيقا الغربية، وهدم التمرکز حول الكلام، تناول هوسرل طرحه الظاهراتي

<sup>1</sup> - عادل مصطفى : فهم الفهم، مدخل إلى الهرمينوطيقا (نظرية التأويل من أفلاطون إلى غادامير)، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2003، ص141.

<sup>2</sup> - جاك دريد: الصوت والظاهرة- مدخل إلى مسألة العلامة في فينومينولوجيا هوسرل، ترجمة فتحي إنقزو، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء، ط1، 2005، ص 14 .

<sup>3</sup> - عبد الله إبراهيم وآخرون: معرفة الآخر، ص 34.

بالنظر للبناءات اللغوية بوصفها صيغ عقلانية وظواهر متميزة وماهيات للوجود الإنساني. وقد وصف دريدا تناول هوسرل للغة بأنه " إقامة علاقة برانية بين المعنى والعلامة، وبين الدال والمدلول، بل إن الدال قد تحول عند هوسرل إلى عملية إخراج المعنى، وتعبير عن المدلول"<sup>1</sup>، كما وصف هذا الطرح بأنه "وهم متعالٍ" يرسخ الميتافيزيقا الغربية.

كذلك فيما ينظر هوسرل للغة بوصفها إنسانية مرتبطة بالوعي والاهتمام بالحضور الشخصي للقول ورمزا للصوت / الكلام / الحوار الداخلي، يبعدها دريدا عن الجانب الإنساني، مركزا على لغويتها، أي اللغة بوصفها لغة والنظر إليها كتابة موجودة حتى في غياب صاحبها أو موته.

ختام القول، هو أن ثورة التفكيك التي طالت الظاهراتية كغيرها من الفلسفات لا تلغي تأثير دريدا بها لا سيما من حيث زعزعة المنهج الظاهراتي لنظام النص والتي تأثر فيها صاحب التفكيك كانط وهوسرل، " لكن التراسانداتالية عند دريدا ليست عقيدة بقدر ما هي منهج أو استراتيجية لتجاوز المألوف، الموضوعي الإمبريقي، المؤسس، فهي تختلف عن تراسانداتالية كل من كانط وهوسرل، لأنها لا ترمي إلى إثبات شيء من الأشياء كالهوية أو الماهية أو الحضور، وإنما توضع هي نفسها محل سؤال ونقد"<sup>2</sup>.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الفكر الغربي يسير وفق نظام حلقي حلزوني يستدعي الالتفات إلى الوراء لتهديمه والبناء على أنقاضه حيناً، وللإستفادة منه وإستثمار مقولاته وآلياته حيناً آخر علماً أن دريدا يرفض أن تكون نصوصه مجرد كتابات جاهزة بل هي فعالة واستثنائية.

<sup>1</sup> - ينظر: جاك دريدا: مواقع - حوارات، ترجمة فريد الزاهي، دار توبوقال، الدار البيضاء، ط1، 1991، ص ص33، 34.

<sup>2</sup> - سارة كوفمان وروجي لاورت، مدخل إلى فلسفة جاك دريدا، تفكيك الميتافيزيقا واستحضار الأثر، ترجمة إدريس كثير وعز الدين الخطابي، أفريقيا الشرق، ط2، 1994، ص 28.

ثانيا: التفكير وهرمينوطيقا هيدغر

### 1- علاقة التفكير بالهرمينوطيقا

تعد الهرمينوطيقا من أكثر الآليات قربا لاستراتيجية التفكير ذلك أنها تمثل ميدان نشاطها ، حيث تعتبر فعالية نقدية مناهضة لما رسخته المناهج السائدة كالسياقية و البنيوية ، و هي مثل التفكير تهدف إلى قراءة إبداعية منفتحة على التعدد و اللاتناهي ما يجعلها تتداخل و تتشابك مع التفكير. وهذا لا يلغي مطلقا أن " هناك علاقة بين التأويل و التفكير، وهي علاقة ليست طردية إستيعادية بل علاقة تتداخل وتقاطع"<sup>1</sup> ، كما أن فعل التأويل دائم البحث عن المعنى الضائع أو الغائب في النصوص وهو لا يروم الوصول إلى غاية بعينها ، و لا الإنتهاء عند دلالة محددة ما يفتح المجال للدخول في متاهات لا حص لها و هذا بالضرورة " يتطابق مع ما يذهب إليه دريدا من حيث إن المعنى شيء لا يمكن التثبيت منه و توكيده لأن التفكير معناه أن كل نص يخفي داخله الكثير من الإشارات و الإحالات والدوال المعجمية و المصطلحية القابلة للمزيد من التفسير و التأويل و التتقيب "<sup>2</sup> وبالتالي فالدلالة مع التفكير متقلبة لا يمكن الإمساك بها أو التسليم بنهائيتها وكلما تم تثبيت مدلول راوغ داله و تحول إلى دال آخر مغيب و هكذا إلى ما لا نهاية ، الأمر الذي يؤكد تلك العلاقة الوطيدة بين التفكير و الهرمينوطيقا التي تقوم هي الأخرى على المغايرة و الاختلاف . " فالتأويل ليس مجرد وصف أمين للواقع ، أو تفسير متطابق للنص و إنما هو (إحالة) أو بالتعبير التفكيكي اختلاف و إرجاء ، وهذه الإحالة تؤول حسب (قائيمو) إلى كينونه عدمية ، لأن التأويل في الواقع عدم استنفاد موضوع

<sup>1</sup> - علي حرب: الممنوع و الممتع (نقد الذات المفكرة) ، ص 47.

<sup>2</sup> - إبراهيم محمود خليل : النقد الأدبي من المحاكاة إلى التفكير ، ص 130.

التأويل، قراءة لا تحط رحاها عند دلالة بليغة أو معنى يمكن القبض عليه أو وضع  
يسهل وصفه و التماهي معه "1.

بهذا المعنى ؛ تشكل الهرمينو طيقا مجالا للاختلاف و المغايرة الذي يفتح آفاق المساءلة  
و الحوار و الاستتطاق، و يحقق الإبداع و الابتكار و يفتح النص على اللاتناهي  
واللامحدودية ، أين يبرز دور القارئ في ولوج الأبعاد المجهولة / المغيبة و الكشف عنها  
و من ثمة يكون " النص الذي يخضع للتأويل هو دوما عرضة للتحويل و التحوير  
أوالتحريف ، لأن التأويل هو حرف كلام ، أي الخروج على الدلالة و انتهاك للنص " 2  
هكذا، إذن، تنظر القراءة التأويلية للنص الذي لا يعبر عن مقاصده بشكل واضح وصريح  
إنما يتناهى و يتقنع و يظهر في صور مختلفة ، بحيث يصعب الإقرار بوجود ذلك  
المقصود بصورة محددة و نهائية ، و الواقع أن " الهرمينوطيقا، و كما تمارس اليوم مع  
غدامير ، و رورتي و دريدا و قاتيمو و تايلور ، هي هذه الفسحة المجازية اللغوية التي  
تستتق كينونه اللغة فيما وراء العلامات الفجة و الأنساق الهيكلية الصارمة و التأسيسات  
الأصلية العقيمة. "3

و لا يمكن الحديث عن الهرمينوطيقا بعيدا ذلك القارئ المؤول الذي يقوم بفعل التأويل  
ويصل من خلال الاختلاف و المغايرة إلى إلغاء مختلف التصنيفات و الازدواجيات التي  
تشكلت و ترسبت في الفكر و التي تحول دون تفاعل الثقافات و تحول دون لقاء الأنا با  
لآخر ، وعلى العموم فإن التأويل " يتيح للمؤول أن يخترق الحواجز بين الأنا و الآخر وأن

1- محمد شوقي الزين: تأويلات و تفكيكات (فصول في الفكر الغربي المعاصر )،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء/بيروت،  
ط1 ، 2000 ،ص19 .

2- علي حرب: التأويل و الحقيقة (قراءة تأويلية في الثقافة العربية )، ص8.

3- محمد شوقي الزين: تأويلات و تفكيكات(فصول في الفكر الغربي المعاصر)، ص24.

يصل الأزمنة المتباعدة بعضها ببعض و أن يتيح له التحرر من التصنيفات النهائية والحاسمة للثقافات..<sup>1</sup>.

هكذا، و انطلاقا مما تقدم ذكره نصل إلى القول ، إن التأويل و التفكير يلتقيان في علاقة مد و جزر ، أخذ و عطاء ، و يبقى التأويل هو القراءة بالمفهوم التفكيكي ، أو كما يذهب بالقول "قائمو" : "إذا جاز اختصاره فهو قبل كل شيء تأملات عملية أو قراءات تفكيكية".<sup>2</sup>

وهو في النهاية قد يؤول (أي التأويل ) إلى التفكير "وعندها يجري تجاوز البحث عن المعنى للحفر في طبقات الخطاب أو أبنيته ، و للقراءة في صمت الكلام و فراغاته، بما يكشف آليات النص في إنتاج المعنى أو إجراءاته في إقرار الحقيقة أو ألعيبه في إخفائه ذاته و سلطته"<sup>3</sup> للكشف عن مناطق الغياب /الاخفاء.

## 2 - هرمينوطيقا هيدغر :

اهتم مارتن هيدغر بإنجاز مشروعه الهرمينوطيقي الذي أسهم في بلورة " فلسفة الفهم "كنمط وجود وقد ارتبط بصاحب التفكير " دريدا" من خلال دعوته لمناهضة الميتافيزيقا وإعدام الذات المتعالية والانفتاح على مفاهيم وبدائل تتجاوز الأفكار والمسلمات السابقة وكل هذا من أجل الكشف عن المنسي/ المغيب، وبهذا يُتهم هو الآخر إضافة إلى نيتشه وفوكو وبارت بالعدمية.

هكذا أضحى التفكير الهيدغري، بما هو تأسيس للهرمينوطيقا يؤسس " لحديث النهايات/ البدايات/ نهاية الفلسفة/ التاريخ/ الإيديولوجيات/ النقد الأدبي / المثقف/ الإنسان/، كبيان تأسيسي Manifest على تغير المشهد الثقافي السائد: الحدائي، وميلاد

<sup>1</sup> - الممنوع و الممتنع (نقد الذات المفكرة)، ص 63.

<sup>2</sup> - محمد شوقي الزين تأويلات و تفكيكات (فصول في الفكر الغربي المعاصر)، ص18.

<sup>3</sup> - علي حرب:التأويل و الحقيقة (قراءة تأويلية في الثقافة العربية )، ص9.

ثقافة العولمة Mondialisation/Globalisation أو الحداثة الارتدادية  
 ModernitéRéflexive أو الفائقة Hypermodernité أو السوبر حداثة  
 Supermodernité<sup>1</sup>.

لقد جاء هيدغر بالهرمينوطيقا الفلسفية من أجل تقويض سلطة العقل، وإرساء فلسفة  
 الفهم/ التأويل، وإعادة قراءة التراث التاريخي وفق منظور جديد بعيد عن الخطابات  
 الإيديولوجية المزيفة، والميتافيزيقا البائدة، بل هو فلسفة الفهم وفهم الفهم " المنهج المكتشف  
 لفكر الحداثة في النزاعات الكثيرة التي أسست لفلسفة الاختلاف باعتبارها تتجاوز مفاهيم  
 المنهجية إلى التأويل الذي يصير بدوره أداة فعالية للكشف عن المختلف"<sup>2</sup>.

إذا كان ذلك كذلك، ألا يمكن الجزم بالصلة الوثيقة بين الهرمينوطيقا والتفكيك من  
 حيث دعوة كل منهما، لفلسفة المختلف عن المؤتلف، المغاير لكل نمطي وهذا لا يتأتى إلا  
 بتفعيل العقل التأويلي الذي خرج من بؤرة المركزية المقوضة والهيمنة الوهمية التي عرفها  
 قبلا إلى النقد/ التأويل بوصفه فعالية منهجية تنمي داخل هذا العقل الإحساس بالقدرة على  
 تجاوز ذاته، والعمل على إيجاد بدائل أفضل متجاوزاً بذلك- أي هيدغر- الفينومينولوجيا  
 الهوسرلية القائمة على مركزية الذات دون التوصل منها، بل الإفادة من مقولاتها ومفاهيمها.  
 لقد أتاحت الهرمينوطيقا الهيدغرية فهماً مختلفاً للنصوص، باعتبارها تأويلاً واختلافاً،  
 كما ردت الاعتبار للوجود بوصفه تعبيراً عن المسكوت عنه / أو المحجوب وفي هذا يبرز  
 توافقها مع التفكيك في قضائها على المركزية الغربية بأنواعها وقضائها على الذات  
 المتعالية الترنسندنتالية التي جاء بها هوسرل فنتأسس لدى هيدغر " فينومينولوجيا" خاصة  
 به، مرتبطة أساساً بمبدأ الفهم بما هو فهم للوجود يتجاوز قصدية الوعي إلى قصدية

<sup>1</sup> - عبد الغني بارة: الهرمينوطيقا والفلسفة، (نحو مشروع عقل تأويلي)، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت/الجزائر، ط1، 2008، ص 253.

<sup>2</sup> - مطاع صفدي: نقد العقل الغربي (الحداثة وما بعد الحداثة)، مركز الإنماء القومي، بيروت، دط، 1990، ص 230.

الوجود الإنساني حيث تتجلى الظاهرة بعيداً عن الأنا المتعالية، ليكون هيدغر بذلك مؤسساً للفينومينولوجيا الهرمينوطيقية التي تحاول فهم الوجود انطلاقاً من فهم وجوده الخاص، أين تغدو الحقيقة إخفاءً أو غياباً وفق مشهد لا مكتمل ولا نهائي ومرجاً "وهذا التعليق/ التعطيل للفهم، بلغة أهل التفكير، هو طابع الحوار الدائم واللامنقطع بين الكائن الإنساني والوجود، تجسيدا لسمة التعالق/ التفاعل بينهما، هذا الحوار لا يستوي إلا بمبدأ الإنصات / الإصغاء بوصفه منتهى كمال النشاط الحوارى في الممارسة التأويلية"<sup>1</sup>.

هكذا نشهد من منظور هذا الأفق، التعالق المفاهيمي بين الهرمينوطيقا والتفكير من خلال التأسيس للمختلف والدعوة للحوار والانفتاح وتقويض العقل واستبدال الكلام بـ الإنصات/الإصغاء l'écoute والتحرر من التفكير المتعالي دون أن نغفل، في مقابل هذا عن المركزية والفاشية التي مُنحت للغة كي تفرض سلطتها وسطوتها على جميع الأشياء.

إن هيدغر مع كل دعاوى التدمير/ الانفتاح/ الإنصات/ الحوار، يؤسس مثلما فعل غيره ( بارت " موت المؤلف، فوكو " موت الإنسان"، نيتشه" موت الإله" دريدا"موت الكلام") لفلسفة الموت / التلاشي/ الزوال/ العدم، وهو صميم التأسيس للمختلف الذي يجمع بين الفينومينولوجيا والهرمينوطيقا من أجل فهم الوجود وتأويله باستمرار.

منتهى القول، إن الهرمينوطيقا الفينومينولوجية لدى هيدغر تظل عملاً مختلفاً في معطياته التي وجدت فيما بعد ضمن الفكر الديردي وفلسفته الاختلافية التي تبحث في مناطق العتمة/ الغياب/ الصمت، حيث لا تتكشف لنا الحقيقة إلا بوصفها حقائق والمعنى إلا باعتباره تعدداً للمعاني، والنص إلا بعد تداخله مع نصوص أخرى تؤسس لنص التأويل أو نص فهم الفهم.

<sup>1</sup> - عبد الغني بارة : الهرمينوطيقا والفلسفة، ص 224.

المبحث الثالث: من ميتافيزيقا الحضور إلى الاختلاف الميتافيزيقي

أولاً : الميتافيزيقا بين أفلاطون ودريدا

عمل المشروع التفكيكي على نقض المركزية الغربية وفضح الميتافيزيقا الخفية والمعلنة، فكانت محاولته تأسيساً لفكر مختلف في الفلسفة الغربية التي ألقت المماتة مع الإرث الميتافيزيقي القديم.

دعوة دريدا، إذن، للمختلف والمغاير، سجلت خطوة جريئة قد تحمل لصاحبها الكثير من السخرية والازدراء ممن يرفضون العبث بيقينياتهم وثوابتهم الفكرية والفلسفية والدينية واللغوية، ويرفضون عملية الهدم والتطاول التي تمارس "تفكيكاً لـ ما يُعدُّ جزمياً (دوغمائياً) ومقرراً في الحقول المعرفية ذات الطابع الإشكالي"<sup>1</sup>، فليس من اليسير تقبل العمل التفكيكي الذي انطلق في نقد الفكر الفلسفي الغربي منذ أفلاطون، بما نطلق عليه "ميتافيزيقا الحضور"، حيث الميتافيزيقا تعنى بالماهية والوجود والجوهر والهوية والذات والوعي وتؤكد أن فكرة الكينونة تتلخص في الحضور، كما تمنح أفضلية للكلام - على حساب الكتابة - لارتباطه بقائله، وتعطي امتيازاً خاصاً لحضور اللوغوس، "فالميتافيزيقا ليست تخمماً واضحاً ولا دائرة محددة المعالم والمحيط، يمكن أن نخرج منها ونوجه لها ضربات من هذا "الخارج"، ليس هناك من جهة ثانية "خارج" نهائي أو مطلق، إن المسألة مسألة انتقالات موضوعية ينتقل السؤال فيها من "طبقة" معرفية إلى أخرى، ومن مَعْلَم إلى مَعْلَم، حتى يتصدع الكل، وهذه العملية هي ما دعوته بالتفكيك"<sup>2</sup> يقول دريدا.

<sup>1</sup> - هيو، ج، سلقرمان: نصيات (بين الهرمينوطيقا والتفكيكية)، ترجمة علي حاكم صالح، حسن ناظم، المركز الثقافي العربي، بيروت /الدار البيضاء، ط1، 2002، ص86.

<sup>2</sup> - جاك دريدا: الكتابة والاختلاف، ص47.

كما عمل، هذا الأخير، على دكّ التقليد الفلسفي الهوسرلي والهيديغري ومحاولة القيام بنفس العمل التقويضي مع البنيوية فيما بعد، ونال أغلب الفلاسفة - على اختلاف آرائهم وتوجهاتهم - نصيباً معتبراً من النقص والهدم.

فإستراتيجية التفكيك بفضل مبدأ الشك والدعوة إلى التجاوز واجتياز الحدود والتحرر من كل الأفكار والأوهام التي لازمت العقل الغربي والتي رسخت لديه رغبة ميتافيزيقية داخل حيز مغلق؛ رغبة في "جعل التعريف يطابق المعرف، في جعل "الأب" يطابق "الابن" ويدخل منطق الهوية، في جعل المعادلة متوازية في غلق الدائرة، وبمعنى آخر، يريدنا دريدا أن نغير بعض عادات عقولنا فيعلمنا أن سلطة النصوص مؤقتة، وأن الأصل أثروبيج أن نناقض المنطق باستعمال لغتنا ومحوها في نفس الوقت، يريدنا دريدا أن "نمحو" كل التقابلات بتفكيكها وأن نحفظ بها في الوقت نفسه"<sup>1</sup>.

من هنا بدأت مفارقة دريدا تخوض في المقدس / الحقيقة، وتبحث في اللامعقول وتفكر في اللامفكر فيه وتزرع الغمام الشك واللاتسليم في كل البواعث والأفكار، ومن هنا وجدت فلسفة أخرى "فلسفة الآخر/ الغياب"، المختلفة عن سابقتها فالفلسفة" من أفلاطون إلى هيغل هي فلسفة الحضور، ونعني بذلك أن الوعي لا يعترف إلا بما يحضر - في الوعي - لديه، فيتخذ شكل الدلالة والمعنى والقانون والهوية، فيتطابق هكذا مع مقولاته مما يعني أن فكر الإنسان هو مركز الكون"<sup>2</sup>.

وبهذا يحدد دريدا موقفه من فلسفة الحضور معارضاً/ مناقضاً لها، ويختار الغياب بديلاً عنها، رافضاً مبدأ وجود مركز Centre غير قابل للطعن أو البحث في حقيقته، لأن هذا ضرب من المثالية والميتافيزيقية والوهمية التي دأبت على إسناد الحقيقة إلى مركز

1 - مادان ساروب: دليل تمهيدي إلى ما بعد البنيوية وما بعد الحداثة، ص 77.

2 - عادل عبد الله: التفكيكية إرادة الاختلاف وسلطة العقل، دار الكلمة، دار الحصاد، دمشق، ط1، 2000، ص 13.

أو سلطة ما، تكتسب مصداقيتها من إحالتها إليه، كما بدلت التفكيكية وجهة النظر للنص والفكر الفلسفي وأخرجته من دائرة الحقيقة المطلقة والمماثلة المطابقة، واليقينيات الثابتة فلم يعد ينظر إليها على أنها مثال الهوية/ المنطق/ الحضور، بل النظر إليها اختلافاً ومفارقة بعيداً عن تلك الرؤى الأفلاطونية التي لخصت المطلق في العقل وجعلته يمثل "مبدأ ذاتي التفسير وليس ثمة مطلق واحد، وهذا المطلق هو العقل، وبما أن العقل حقيقة قائمة بذاتها وأن المادة تدين بوجودها له فهي إذن ليست جوهرًا، إن الجوهر هو العقل"<sup>1</sup>.

وهذا منطق الأفلاطونية وجوهر نظرية المثل التي تحول العالم بفضل حضور العقل من الفوضى إلى النظام ومن الاضطرابات إلى الثبات، وتركز على سلطة الحضور داخل العقل، وهي الأفكار التي رفضها دريدا، وناقضها بحثاً عن الغياب/ الآخر، " إن مفهوم دريدا لفلسفة الحضور هو اعتراف الوعي بما يحضر لديه فقط، فكيف يمكن (وصف) شيء ما لم يحضر في العقل أو يقاوم الحضور فيه، فضلاً عن ميزته الحقيقية الأولى القائلة بأن كل (ما يهرب) إلى الوعي منه على أنه محاولة لفهمه ووضعه، هو ليس منه أبداً ولا يستطيع هذا الفعل إلغاءه أو انتفاء مسألة التفكير ( بوجوده)"<sup>2</sup>.

لاحظ دريدا أن الميتافيزيقا منذ أفلاطون منحت الكلام أفضلية على الكتابة ذلك أن الكلمة المنطوقة أو الملفوظة مرتبطة بوجود (متلقٍ ووقت) لصدور القول، فيما يغيب هذا عن الكتابة، هذا ناهيك عن "المباشرة في الكلام، والتي تعطيه قوة وحجة وإدراكاً أقوى لما يقول القائل وما يعنيه، ما يعني أن الكلام يعكس" سلطة حضور الصوت" phonocentrism الذي هو أساس التمرکز حول العقل logocentrism في المركزية الغربية، فالكتابة عند أفلاطون **Platon** "تقدم صورة زائفة عن العالم، وإن كانت دواء

<sup>1</sup> - عبد الله إبراهيم: المركزية الغربية إشكالية التكون والتمركز حول الذات، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 1 2005، ص 177.

<sup>2</sup> - عادل عبد الله: التفكيكية إرادة الاختلاف وسلطة العقل، ص 14.

لضعف الذاكرة، وهي مكمل للكلام عند روسو **Rousseau**، ولكنه مكمل خطير، ويعبر دوسوسير **De Saussure** عن خبرته إزاء الكتابة التي تأتي لتقوض بنية الدلالة اللغوية، كما تأتي لتقضي على براءة الشعوب البدائية الخالية من العنف، وتكون الوسيلة الأساسية للهيمنة الطبقيّة عند ليفي شتراوس<sup>1</sup>، لهذا جاءت إستراتيجية دريدا مضادة لهذه الآراء حول الكتابة وبالخصوص لأفلاطون الذي عدها لقيطاً يحتاج إلى أب، إلى مرجع بعكس الصوت، لذا جلب إلى تشكيل فلسفته الاهتمام بالكلام واللوغوس، ونعت الكتابة بوصفها الخارجة عن هذا الأخير، ووسيلة الاتصال المهجنة، والتمثيل الطفيلي الناقص والرديء، وهي حسب أفلاطون - لا تنتج الحقيقة بل إن نتاجاتها لا تتعدى الظاهر<sup>2</sup> فالكتابة من منظور أفلاطون طفيلية ذميمة، جامدة صماء، ومحاكاة ميتة للفعل الكلامي الحيوي.

لقد كان دريدا واعياً بالدور الخطير الذي لعبه أفلاطون في تاريخ الفلسفة والتي لا تعدو في نظره كونها حيلاً خادعة محاكية لآراء أستاذه سقراط، لهذا كانت "صيدلية أفلاطون" لجاك دريدا وسيلة لتفكيك المزاعم الأفلاطونية، ذلك أن الكتابة، هذا اللقيط بامتياز من وجهة نظر أفلاطون لها صفة الأفضلية، مع دريدا، والشرعية والهوية المثلى بدل الكلام، فمنحها الإستراتيجية النقدية في رسم فضاء الدلالة، وذكر من جانب آخر أن أفلاطون تحدث عن (اللعب) على اعتباره وسيلة من وسائل تدعيم اللوغوس لا خلخلته وقد وصف دريدا رؤية أفلاطون للعب بأنه خدعة واختفاء لاهوتي للعب في الألعاب وإدانة واضحة لممارسات الكتابة وصنوها للعب<sup>3</sup>.

وتتكرر نظرة أفلاطون السلبية للكتابة مع روسو حيث عدّها إضفاء للتعبير وتقييداً له، لا تحمل صفة المصادقية والثقة عكس الكلام الذي هو محور جميع الفلسفات كما أنها

<sup>1</sup> - جاك دريدا: علم الكتابة، ترجمة أنور مغيث ومنى طلبية، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط2، 2008، ص 40

<sup>2</sup> - ينظر: جاك دريدا: صيدلية أفلاطون، ترجمة كاظم جهاد، دار الجنوب، تونس، 1998، ص 13-19.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 117-119.

مكمل للكلام أو اللغة المحكية: "فالقول الملفوظ هو الشكل التأسيلي والأكثر معافاة والحالة الأكثر طبيعية للغة"<sup>1</sup>. ولهذا لحق روسو نصيباً معتبراً من النقد والنقض الديردي، حيث اعتُبرت مسيرته حلقة من حلقات التفكير الميتافيزيقي الغربي، في تفضيل ( الكلمة المنطوقة) على الكلمة المكتوبة والتي تعكس ولَعَةُ الميتافيزيقي بالحضور، حضور المتلقي وحضور المعنى المرتبط أساساً بحضور الملفوظ / الكلام / الصوت، أما الكتابة فتتمثل الغياب/ غياب النص وغياب المعنى، وهذا ما يشكل لدى روسو خطراً تهدد الكتابة به الحضور.

### ثانياً: الميتافيزيقا بين هيغل وديردي

يرمي التفكيك القضاء على كل مركزية غربية مهما تعالت، ولما كان هيغل Hegel أحد أبرز فلاسفة الغرب وأقوى ممثلي هذه المركزية سعى ديردا جاهدا لتقويض هذا الصرح الذي "يقسم الفلسفة الأوروبية إلى حديثة ومعاصرة أي أنه قمة ما وصل إليه الشعور الأوروبي، وهو الذي يقسم العالم إلى معسكرين رأسمالي واشتراكي باعتبار ماركس هو أحد تلاميذه، وهو الذي يغزو الآن من خلال ماركس، البلاد النامية بمنهجه الجدلي الذي أثبت فاعليته وصدقه في التحليل المباشر للواقع وفي القضاء على التقسيمات المفتعلة والحدود المصطنعة في الفكر والواقع على السواء، كما تعتبر فلسفة هيغل من أروع ما خلقته الإنسانية لنا من تفكير في الدين، فقد حول هيغل الدين إلى فكر ثم حول الفكر إلى وجود...."<sup>2</sup>.

فاستهدفت ثورة التفكيك - من خلال الثورة على فلسفة الحضور - الإطاحة بفكر هيغل بوصفه الرمز الأكبر لميتافيزيقا الفكر الغربي، وهدم النسق الروحي/ العقلي والقضاء

<sup>1</sup> - كريستوفر نوريس : التفكيكية النظرية والتطبيق، ترجمة رعد عبد الجليل جواد، دار الحوار، سوريا، ط1، 1992 ص 39 .

<sup>2</sup> - حسن حنفي: الفكر الغربي المعاصر، المؤسسة الجامعية للدراسات، لبنان، ط4، 1990، ص 144.

على فكرة الأصل سبيلاً للوصول إلى فلسفة بلا مركز ولا بداية، أي الدعوة إلى فكر اختلافي ولما كان المذهب الجدلي " لا يعني عند هذه الحدود سوى مركزية العقل، وثورة الأصل، صحة البداية، نقائها وصلاحياتها المطلقة المساواة بعناية فائقة من أجل أن تغدو بداية ضرورية، لا غنى للعقل ولا بديل له سواها، أقول لما كان هذا المبدأ حاملاً لهذه الصفات عند مستوى الأصل، الأول، بل وممثلاً لحالة كمال هذه المفاهيم فيه، كان من المقدر عليه أن يكون عرضة لتفكيكية دريدا، هدفاً وغاية ينبغي التوجه للإطاحة بها"<sup>1</sup>.

وقد وجه دريدا نقداً لهيغل في إطار تصور الدلالة اللغوية أو الفنية التي أرجعها إلى مفهوم أو معنى موحد لا يحمل صيغة التعدد والاختلاف، عكس ما يرمي إليه صاحب التفكيك حيث تصوره للمفهوم الدلالي يتميز بالتعدد والإيحائية، وهذا واحد من أوجه التأثير الكبير لدريدا بهيغل على مستوى المنطق الجدلي، ورغم انطلاق كل منهما من اجتماع الضدين واختلافهما، إلا أن هيغل عمد إلى حل التعارض بين الثنائيات وتوجيه صيغها في الذات ليتحدد المعنى أولاً، وتتقي صيغ اللاتحديد واللاتعيين، أما دريدا فيعالج الثنائيات من خلال مبدأ الاختلاف الذي يحيل إلى التعدد الحر للمعنى والإرجاء المتواصل للدلالة، كما نقد دريدا تمركز هيغل حول العقل ونفى مثاليته المتمحورة حولهوشر بالكتابة بديلاً عن تمركز الصوت،" وطرح فكرة أن المعرفة لا تستتبع تماهيا بين الذات والموضوع - كما ذهب هيغل- إنما تتراوح بين احتمالية (probabilité) إقصاء الذات وتجنب إحصائية (statistics) تموضع المعاني، بمعنى الدعوة إلى اللإحصاء وهذا ما دفع زيمًا إلى وصف التفكيكية بـ " الهیغلة الشابة"<sup>2</sup> وبهذا يحاول دريدا من خلال اختلافيته القضاء على ميتافيزيقا الحضور التي لازمت الفكر الغربي، وطبعت أفكاره وأغرقتة في أوهام العقل/

<sup>1</sup> - عادل عبد الله: التفكيكية إرادة الاختلاف وسلطة العقل، ص 79.

<sup>2</sup> - بيار زيمًا: التفكيكية (دراسة نقدية)، تعريب أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط1، 1966 ص ص

الوجود/ المركز/ الصوت في هدف أسمى هو التأسيس لفلسفة الاختلاف والبحث عن مواطن الغياب.

### ثالثاً: الميتافيزيقا بين هيدغر ودريدا

رغم اعتراف دريدا بالفضل المعرفي الكبير لهيدغر عليه بوصفه أول من " قرع نواقيس نهاية الميتافيزيقا وعلمنا أن نسلك معها سلوكاً إستراتيجياً يقوم على التموضع داخل الظاهرة ، وتوجيه ضربات متوالية لها من الداخل، أي أن نقطع شوطاً مع الميتافيزيقا، وأن نطرح عليها أسئلة تظهر أمامها من تلقاء نفسها عجزها عن الإجابة وتفصح عن تناقضها الجواني"<sup>1</sup>، إلا أن هذا لم ينقذه من نقد دريدا لمساره الفلسفي ونعته بحبيس الميتافيزيقا لا المتحرر منها.

وضع هيدغر فلسفة مؤسسة على ماهية اللغة في صلتها بالفكر والوجود، ولذلك فهي تعمل على تقويض الرؤية التقليدية للغة والفكر، وطمس ميتافيزيقا الحضور التي هي " بكل أشكالها وفي كل أطوار تاريخها، قدر وحيد، لكن ربما أيضاً قدر الغرب الضروري وشرط سيطرته الممتدة إلى كل أرض"<sup>2</sup> وبهذا جاءت تدميرية هيدغر قريبة من مطامح دريدا في تفكيك التراث المدروس من الداخل وتجزئته إلى بناء الأولية الأساسية من أجل معرفة الكيفية التي تشكل بها، وتبيان تاريخيته والبحث لا فيما يقوله ويصرح عنه وحسب، بل الالتفات إلى ما لا يقوله. إلى هنا فإن دريدا وهيدغر يبدوان على نفس الخط النقدي، لكن دريدا لا يتوانى عن تصويب ضربات النقد له" إذ يرسى هيدغر أسس وقواعد الفكر الأصيل، والمتمثل في لحظة الوجود أو الكمال حيث يتفوق وبشكل واضح على المعالجة

<sup>1</sup> - جاك دريدا: الكتابة والاختلاف، ص 47.

<sup>2</sup> - بيار زيماء: التفكيكية (دراسة نقدية)، ص 46.

وبالنسبة لـ"دريدا" فإن ذلك يمكن أن يمثل فقط حالة كلاسيكية أخرى من حالات التوق الميتافيزيقي الشائعة للبحث عن الحقيقة والأصول.<sup>1</sup>

ما يجعل هيدغر حسب "دريدا" حبيسا للرؤية الميتافيزيقية ينهج فيها نهج التمركز حول اللوغوس ويسعى لجعل الوجود مدلولاً متعالياً، وهو بهذا يساهم في إرساء نفس الأسطورة الميتافيزيقية الغربية الداعية لتأسيس الأصل/ الحقيقة/ الحضور، على الرغم من أن أصول كل من المفكك دريدا والمدمر هيدغر "نيتشوية" مشتركة جاءت لقلب الأفلاطونية رأساً على عقب، والقضاء على ميتافيزيقا الحضور. بحيث يمثل الطرح النيتشوي والدريدي والهيدغري نمطاً كتابياً فلسفياً قائماً على الشك في جميع الأفكار الباحثة عن الحقيقة والتي تتيح المجال لتحرير الفكر من الدوغمائية المغلقة، وقد تحدث نيتشه بشكل واسع عن البرامج والخدع المنظمة للطرح التفكيكي متبنياً الطرح نفسه في مسيرة التمركز الغربي حول اللوغوس، فضلاً عن تأكيده أن اللغة ترتبط بسلسلة لامتناهية من العلاقات والاختلافات، ويقود هذا إلى البحث عن الحقيقة فيما وراء التحولات الملتوية للغة التي عبر عنها دريدا بالاختلافات واللعب الحر للدوال<sup>2</sup>.

إن معطيات نيتشه عبرت بشكل صريح عن التوجه التفكيكي في المشروع المابعدحدائي، هذا التوجه الذي نحا نحو نيتشه في الدعوة إلى صيرورة الإنسان بلا ذات بلا حدود، ولا مركزية، وهذا ما جعل دريدا يؤمن بهذه القطيعة مع الذات والقطيعة مع التقاليد الميتافيزيقية الغربية، وتفكيك المعرفة المثالية ومفاهيمها المنهجية، وقد نهضت التفكيكية" ببعث الشك النيتشوي - الذي وصفه نوريس بأنه تمرد طفولي- وأسلوبه في تفكيك نظم الفكر التقليدي، وبذلك أرسى التفكيكية تشكيل القراءات الخاصة وصياغتها

1 - كريستوفر نوريس: التفكيكية النظرية والتطبيق، ترجمة رعد عبد الجليل جواد، ص 77 .

2 - المرجع نفسه، ص 64.

بإعادة تنظيم البيان النقدي للفكر الغربي من خلال تحليل عقلائي وتبين واعٍ لكل الآراء التي وردت في الأجندة النيتشوية<sup>1</sup>.

أخذ دريدا بمبدأ ميتافيزيقا نيتشه - الرامي إلى تفكيك الإنسان - وتفتيت اللوغوس وتمزيق الذات والوصول إلى جوهر المبدأ النيتشوي الذي يتهم البشرية بعجز الإرادة والتي تتطلب للخروج من ذلك إرادة أقوى هي "إرادة الإرادة"، لكن إذا كان الطرح النيتشوي والهدغري- من منظور دريدا- لا يعدو كونه ضرباً من الميتافيزيقا، وإذا كان التفكيك يمثل الرهان الأكبر على الصمود في وجه الإحراج الميتافيزيقي، والاحتصاب المشروع لكل الأطر المنهجية واللغوية التي فقدت شرعيتها وتخلت عن مطلقيتها، وإذا كان التفكيك هو القضاء على رؤى الفلسفة الأفلاطونية، وآلة هيغل الجدلية، وميتافيزيقا هيدغر الخفية وأفكار نيتشه التي لا تخلو من ميتافيزيقية، فأين تقع هذه الفلسفة الدريدية من حيث درجة تصديها وتأثيرها في الميتافيزيقا الغربية؟؟!

رغم دعوات دريدا بضرورة تجاوز الوضعية الميتافيزيقية التي أثقلته، وإسقاط المثاليات والأوهام الفلسفية المترسبة عبر التاريخ، هناك من يجادل في أن التفكيكية لا تقدم تأكيدات إيجابية، وأنها تعلم فقط حدود التفكير الميتافيزيقي، وحدود تاريخ الميتافيزيقا<sup>2</sup>. فيما يرى البعض الآخر مقولاتها ودعاؤها مجرد رؤى ميتافيزيقية، فإذا كانت فلسفة الحضور غالت في تركيزها على ما هو ظاهر/ موجود/ حاضر لتقع في الماورائيات، فإن فلسفة التفكيك والاختلاف مشروع لا يمكن أن ينحصر في دائرة محددة إنه مغامرة لا يمكن التكهن بنتائجها، مغامرة غير محسوبة" تعكس مبتغاها بأن تعمل من غير قصد على إرجاع المفاهيم المفككة إلى أعماق فلسفية أثبتت بلادتها، شرط أن تُفهم

1 - المرجع السابق ، ص 87.

2 - هيو -ج- سلفرمان: نصيات بين الهرمينوطيقا والتفكيكية، ص 103، 104.

البلادة عربياً: الانغماس في العجز عن إيجاد مخرج من "الدوامة" المفهومية والخوض في الهدر الثقافي الأنسي، فالمحاولة هي الخروج من المحيط والإصرار على القطعية مع الميتافيزيقا باسم الاختلاف تحت رحمة الاختلاف"<sup>1</sup>.

إن السؤال الذي يطرح نفسه في هذه اللحظات، هل لحقت دريدا عدوى الميتافيزيقا بعد أن ورثت تفكيكيته مفرداتها الفلسفية من هيدغر ونييتشه، أم تراها لعنة هيغل، من تسللت لفكر دريدا مؤكدة أن هيغل هو الرمز الأول والأبقى للميتافيزيقا؟!.

الأكيد- بالنسبة لعادل عبد الله - هو أن تفكيكية دريدا على اختلافيتها لا تخلو من تنفس الهواء الميتافيزيقي بأصول هيغلية" المحرض والمُغوي على العمل بأدواتها والذي لا بد من أن يسفر في نهايته عن دعم الطرح الميتافيزيقي والاستناد إلى الميتافيزيقا كأساس لمنجز هذا الفكر أيضاً"<sup>2</sup>.

محمل القول هو أن: طبيعة المقولات الفلسفية التي عالجها التفكيك { الحضور/ الغياب، الهوية/ الاختلاف، الكلام/ الكتابة، الجدل/ البدء/ الصيرورة... } وطبيعة الأسلحة التفكيكية من { شك/ ثورة/ تقويض المركز/ إحلال الهامش،... } وكذا الوصول إلى نتائج غير مألوفة { لا عقل/ لا مركز/ لا أصل/ لا معنى/ لا حقيقة... } إضافة إلى الأصول النييتشوية والهيدغرية هو ما أعطاها إن لم نقل ألبسها تهمة الميتافيزيقا، التي لا نستطيع الجزم بوجودها أو انعدامها ونحن في بداية البحث والتقصي عن كل ما يخص التفكيك. غير أن كل هذا لا ينفى عن التفكيك اختلافه ومغايرته للنماذج الفلسفية والنقدية السابقة عنه واللاحقة له ولا يلغي الضجة المعرفية التي خلفها هذا الجديد/المختلف/المفكك/ في الفكر الغربي والعربي على السواء.

<sup>1</sup> - جاك دريدا: الكتابة والاختلاف، ص 19.

<sup>2</sup> - عادل عبد الله: التفكيكية إرادة الاختلاف وسلطة العقل، ص 158.

# الفصل الثاني

## التمثل النقدي للاختلاف عند دريدا

- المبحث الأول: التفكيك / نحو التأسيس للمختلف
- المبحث الثاني: الاختلاف وعلاقته بمقولات التفكيك
- المبحث الثالث: الاختلاف ومبدأ الحوارية

## المبحث الأول : التفكير نحو التأسيس للمختلف

## أولاً : التفكير اختلافاً

يعد التفكير واحداً من اتجاهات ما بعد البنيوية، وما بعد الظاهراتية وما بعد الحداثة يقدم رؤية نقدية قائمة على فكِّ إَسارِ مقفل الخطاب النقدي الغربي المركزي، وكذا اختراق المقول الذي يتبدى من خلال علامات النص، هادفاً - أي التفكير - إلى جعل النص مسرحاً مختلفاً للدلالات المتصارعة والقراءات المتعددة والتأويلات اللانهائية، ذلك أن التفكير " قراءة نص ما بصفة مركزة ومقربة جداً، إلى حد يجعل المفاهيم التي يعتمد عليها النص نفسه تتميِّع وتتهار نتيجة للاستعمال المتضارب والمتناقض الذي تخضع له تلك المفاتيح داخل النص ككل، وبمعنى آخر ترى من خلال هذه الطريقة أن النص يفشل وينهار قياساً لمعاييره الذاتية، حيث تستعمل المعايير والتعاريف التي بينها النص نفسه ضد النص نفسه لتشويش التمييزات الأصلية ودحضها، وقد استعمل دريدا هذه الطريقة ضد هاسرل وروسو وسويسر وأفلاطون Plato وفرويد وغيرهم، لكنها قابلة وصالحة للتطبيق على أي نص مهما كان نوعه"<sup>1</sup>.

لم تكن القراءة التفكيكية وحدها من أحاطت " التفكير " بهالة من الجدل والنقد البالغين، ولا الرغبة الكبيرة في تقويض ما طالته، بل إن جل دعاويها ومفاهيمها وأفكارها على صعوبة فهمها وإغازها، كانت محل تساؤل دائم، لاسيما أن الفكر التفكيكي وُصف على أنه فكر نهايات التاريخ ونهايات الفلسفة بمعناها العريق، أي الميتافيزيقا والأنطولوجيا وكذلك هيمنة مفاهيم قريبة من العدمية والتشكيك واللاثبات واللعب.

إن التفكير عملية تفتيت وتخريب لكل الخطابات الجاهزة القائمة وفق طقوس دلالية ورواسيب قرائية تقليدية مودعة في الموائيق السابقة والمراسيم المتوارثة التي لا يجوز خرقها

<sup>1</sup> - مادان ساروب: دليل تمهيدي إلى ما بعد البنيوية وما بعد الحداثة، ص ص 50، 51 .

أو الارتداد عليها" هو ضرب من الممارسة التي تنصب عملياتها على "السطح" الخارجي " لعلامات الخطاب وذلك بالقدر الذي تحول فيه هذه الظاهرية دون الارتداد إلى أية احتمالية مضرة أو كامنة في قلب الشعور أو اللاشعور، وبحيث تعوق ربط علامات الخطاب بأية علامات تصويرية أو تفسيرية تركز على معايير خارجية ومرجعية على شاكلة المؤثرات الاجتماعية أو النفسية أو كل ضروب التنظيرات التي تجعل من الخطاب محاكاة أو تعبيراً أو تحقيقاً لمدلولات وغايات حسية أو جسدية أو عقلية سابقة عليه أو موجهة له"<sup>1</sup>.

هذه القراءة وضعت التفكيك على محك المغايرة والاختلاف، ذلك أن التفكيك دعوة صريحة لتجاوز مناطق الثبات تأسيساً لمعرفة جديدة، قوامها الانفصال عن الجذور ومقاطعة التراث، وتقويض المركز .

التفكيك، إذن، دعوة لفكر اختلاف يتجاوز فكرة الإنسان الذي يمتد عبر الزمن بل ينظر إليه على أنه كائن المحدودية Finitude، ليس لأنه كائن من أجل الموت وحسب بل إن دلالاته تمتد لتطال الحياة البشرية بأكملها، فالإنسان وفق المنظور التفكيكي، كائن سني بادي، إنه كائن المنعرجات والتحويلات والتبدلات، تصاحبه روح المغامرة المبحرة دائماً، بحثاً عما هو خفي وكشفاً لما هو مجهول وعجيب، وذلك لتحقيق مبدأ الإحساس بقيمة الحياة بوصفها مكاناً للمغامرة والإبداع، ونقيضاً للمكوث والجمود، إنها لعبة الاختلافات كبيان تأسيسي لهذا الفكر حيث ما يحط الرحال بأرض حتى يغادرها مغيراً وجهته"<sup>2</sup>.

هي لعبة الاختلافات التي لا يحكمها منطق أو قانون، تسير وفق أفق المجهول/المغيب/ الآخر لتقييم معه علاقة، لكن "لا من أجل الطموح لمعرفته، أو من أجل تقريبه من لحظة تعرضه للعلم والإدراك، بل من أجل تمثّل مجهوليته، إنه منح الآخر، المختلف، غير

<sup>1</sup> - محمد علي الكردي: من الوجودية إلى التفكيكية دراسات في الفكر الفلسفي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، د ط، 1998، ص ص 106، 107 .

<sup>2</sup> - عبد الغني بارة: الهرمينوطيقا والفلسفة، ص ص 40، 41 .

الموجود هوية ما ، تمكن من تأمله دونما أي فعل، ومن أي نوع يمكن أن يعقب هذا التأمل<sup>1</sup>.

إن هذا التأسيس لثقافة وفكر الاختلاف داخل المخطط التفكيكي لهو رغبة كبرى في التمرد والانتقام، كما يراها - عادل عبد الله - انتقام أسسه دريدا لقلب كيان الفكر الغربي لكن انتقام ممّن؟!.

" من العقل، من الحضور، من الوجود، من منطق تطابق الوعي مع مقولاته، ومن هيغل أيضاً، الأخير الذي لا يفتأ يغيب ويحتوي بآلته الجدلية الكبرى أقصى وأبعد نقائص العقل، أشدها امتناعاً عن الاحتواء، حتى أن الموت نفسه بكل صفاته العصيّة على الفهم والحضور لم يسلم من حركة الاحتواء تلك... من هنا ثمة تمرداً ما، نزاعاً وجودياً حاسماً سيخوضه الآخر، ضحية العقل، ضحية حضور العقل، ضد الحضور المطلق للعقل مستخدماً في نزاعه القدري هذا أمض سلاح لديه..."<sup>2</sup>.

إنه سلاح الآخر/ المختلف/ الرفض/ الشكاك/ والمهدد لكيان العقل وحضوره المطلق، الكاسر لسلطة التعالي الفلسفي، والمؤسس لدعائم الغيرية l'alterité.

- فما هو الاختلاف عند دريدا، وهل يمكن اعتباره بديلاً نقدياً وفلسفياً لتصورات الميتافيزيقا الغربية؟ .

- هل يمكن التأسيس لفكر ونص الاختلاف داخل ثقافات المطابقة والاختلاف؟.

يطرح الاختلاف كإشكال جوهرى في كل الثقافات والعصور، فلا أمة تخلو من اختلافات اجتماعية، دينية، سياسية، اقتصادية... فالاختلاف هو الأصل والمبتدى يرجع إلى عمق الفكر الأسطوري والمأثور الديني والجدل التاريخي، إنه يمثل الآخر/ المغيب فينا

1 - عادل عبد الله: التفكيكية (إرادة الاختلاف وسلطة العقل)، ص ص 16، 17 .

2 - المرجع نفسه ، ص 17.

الذي يقابل الحاضر، إنه قدرنا وشرطنا كما يقول - علي حرب - "إنه قدرنا، لأن الأنا تنبني أصلاً بالعلاقة مع العالم الآخر، والوعي بالذات يمر عبر الآخر... وهو شرطنا لأننا لا ننفسك ننقسم على أنفسنا، فنغاير ذاتنا ونتماهى مع الغير ضرباً من المماهة ... ننظر في ذاتنا، ونكتشف بعداً من أبعادنا المجهولة..."<sup>1</sup>.

ولما كان الاختلاف ضرورة وحتمية كونية فلقد عرف الفكر الغربي هو الآخر تحولاً معرفياً ونقدياً - في إطار نقض الأول والبحث عن بديل - عرف بالحركة التفكيكية القائمة أساساً على مبدأ الشك والمغايرة والاختلاف.

فكان أول اختلاف عرفه هذا المشروع التفكيكي هو تجاوزه للنموذج اللغوي والنحوي والسيميائي العلاماتي، بل وأخضعها جميعاً للمساءلة التفكيكية " فكان هو الآخر حركة بنيوية، أو بأية حال حركة تضطلع بضرورة معينة للإشكالية البنيوية ولكنه أيضاً حركة ضد بنيوية، وهو يدين بجانب من نجاحه لهذا اللبس، كان الأمر يتعلق بحل، بفك بنزع رواسب البنيات، جميع ظروف البنيات، لغوية تمركزية لوغوسية، وتمركزية صوتية"<sup>2</sup>.

ليكون التفكيك مساراً مختلفاً في الساحة النقدية لا بعده نقداً أو تحليلاً أو منهجاً أو طريقة، ولا بعده مجموعة من الإجراءات النصانية تزعم البحث عن الحقيقة والوصول إلى المعنى، إنما بعده استراتيجية أو ممارسة في قراءة النصوص وتحقيق لانهائية الدلالة كذلك حقق التفكيك اختلافه على مستوى آخر، هو صعوبته الاصطلاحية وصعوبة ترجمته للعربية ولغيرها من اللغات، وهذا بسبب إدراج التفكيك ضمن بدائل يمكن أن تحل محله مثل:

- الأثر : Trace / الكتابة: écriture / الاختلاف : différence .

<sup>1</sup> - علي حرب: نقد الحقيقة (النص والحقيقة 2)، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء، دط، 1995 ص 30.

<sup>2</sup> - ينظر جاك دريدا: رسالة إلى صديق ياباني ضمن الكتابة والاختلاف، ص 59.

- الزيادة: supplément / الهامش : Marge... .

ما يزيد من تحميل " التفكير " لأبعاد مفاهيمية مشتتة، ذلك أن هذه البدائل - كما يقول دريدا - " لا يمكن أن تتعلق، وأنا لم أذكر هنا إلا أسماء، وهذا ما يضل غير كافياً واقتصادي فحسب كان ينبغي أيضاً إيراد جمل أو سلاسل من الجمل تحدد بدورها هذه الأسماء في بعض كتاباته، ما الذي لا يكون التفكير ؟ كل شيء؟ ما التفكير؟ لاشيء!<sup>1</sup> .

ولم يكتف دريدا بهذا، بل اختلف في مفاهيمه إذ أدرجها ضمن قالب من الثنائيات القائمة على المغايرة والاختلاف للتحول هذه الثنائيات إلى بؤر تكثيف تجمع بين مختلفين بين السلب والإيجاب، النفي والإثبات، الصحة والخطأ ... من قبيل ( العقل / اللاعقل ) (الروح/الحسد)، ( الكلام/ الكتابة)، ( المركز/ الهامش )، ( الحضور/ المغيب) ...

غير أن أكبر اختلاف حققه التفكير كان ضمن أفكاره الجريئة، ودعوته تفكيك الموروث الغربي وتقويض التمركز حول العقل (le logo- centrisme) وتقويض سلطة الصوت وميتافيزيقا الحضور (la présence) ، وبهذا يخرج الاختلاف الدريدي - الذي جاء أصلاً لكشف زيف المركز والإعلان عن ميلاد الهامش - إلى مفهوم انقلابي، ذلك أنه في تقويضه للأصل/ المركز، بناء لمركزية بديلة، هي مركزية الهامش فيكون هذا اختلافاً آخر يضاف لهذه الإستراتيجية التي تبتغي قلب المفاهيم ونقض الأصول، بل إن دريدا نفسه يرى في نقضه للأصل تأسيساً للاختلاف، حيث لا وجود لأصل أو لشيء خارج إطار المغايرة " لاشيء، ولا كائن يكون حاضراً وغير اختلافي يسبق - إذن - المغايرة والتباعد، ليس هناك من ذات تكون مساعدة أو سيده للمغايرة، إليها يمكن أن تنتمي وبشكل اختياري ...<sup>2</sup> .

1 - المصدر السابق: ص ص 62، 63 .

2 - دريدا جاك: (مواقع وحوارات)، ترجمة فريد الزاهي، إصدارات دار توبوقال، المغرب، ط1، 1992، ص ص 40، 41 .

وبهذا يكون التفكير تأسيساً لفكرة التجاوز والعبور، قوامها الانفصال عن الأصل/ التراث/ الهوية، فهي لعبة الاختلافات كبيان تأسيسي لهذا الفكر، لا من أجل الإغراق في العدمية واللامعنى واللاحقيقة " وإنما بالنظر إلى كل هذا على أنه لعبة من الاختلافات التي تبرز الخطاب الهامش/ المغيب كخطاب مناوئ للفكر المركزي وتؤسس "لثقافة اختلاف" تعمل على فتح مشروع الحوارية Dialogisme، وعلى إلغاء ثقافة المطابقة والائتلاف التي تهيمن على الهوية المركزية الغربية وتشكل ميتافيزيقاه . ومن هنا فإن التفكير الذي يدعو إليه دريدا "لا يرتبط بالهدم أو التدمير بقدر ما يرتبط بإمعان النظر في تلك المتضمنات التي ترسبت في لغتنا واحتلت منها ومن تفكيرنا موقع الثقة المطلقة..."<sup>1</sup> ، وهذا من أجل التأسيس للاختلاف والمغايرة و اللااستقرار و اللامعنى واللوجود ، حيث يصبح كل شيء قابلاً للتفكير خاضعاً لمعول الشك مستغنياً عن سمة التعالي واليوتوبية التي رسختها الفلسفات القديمة.

تأسيساً على ما سبق، يكون الاختلاف في تفكيكية دريدا ضرباً من ضروب الانقلاب الكلي، إنه الغياب/ الآخر الذي يطرحه دريدا بديلاً عن الحضور وعن كل المسلمات الميتافيزيقية، والقواعد اللغوية السابقة، ذلك أن الاختلاف هو البعثة والتشتيت والتأجيل والإرجاء "إنه قوة كونية كلية الحضور، قوة التمييز الأولى الفاعلة التي تتغلغل في كل وجود، ومفهوم في هذا العالم، ومن الواضح أن فعل هذه القوة سلبي لأنه يتجلى في الأساس في عملية تمزيق الأشياء جميعاً وتقسيمها بصمت، فلا شيء يسبقه ولا شيء يهرب منه .."<sup>2</sup>.

1 - محمود أحمد العشري: الاتجاهات الأدبية و النقدية الحديثة (دليل القارئ العام)، ص 150 .

2 - عادل عبد الله: التفكيكية (إرادة الاختلاف وسلطة العقل) : ص 74، 73 .

إنه إحالة إلى الآخر، الذي يتحاشى المثل أمامنا ونقض للحضور الذي يقاسمنا مفاهيمنا وفلسفة حياتنا فكيف للاختلاف يغدو مقولة تفكيكية بعد وُلوجه فكرة وفلسفة وثقافة؟ وما علاقته بباقي المقولات التي عرضها دريدا في المشروع التفكيكي؟.

### ثانياً: النص اختلافاً

يعد النص مجالاً حيويًا لالتقاء الأفكار والرؤى والمواقف... فضاء إبداعيا يخلق لدى القارئ لذة فريدة " شبيهة بتلك اللحظة غير الثابتة، المستحيلة، الروائية المحضة التي يتذوقها الماجن في نهاية دسياسة جسورة، مقطعاً الحبل الذي يشنقه في اللحظة التي يتمتع فيها "1، لذة تقام على مدار كل النصوص التي يلجها القارئ فيجدها مركز نصوص يتجاذبها الموروث السابق حيناً والمكتوب (من الكتابة) اللاحق حيناً آخر، هذا النص الذي عرف أكثر الدراسات والبحوث حتى أقيمت له نظرية سميت " نظرية النص" ساهم فيها العديد من النقاد بمفاهيمهم ، " فد خلتها جوليا كريستيفا عبر مفاهيم ( كالممارسة الدالة ، الإنتاجية، التذليل، التناص، النص الظاهر، النص المولد....) ، وعرفها جرار جنيت من خلال (التعالى النصي بأقسامه المختلفة: التناص، ماوراء النص، النص النظير، النص الأعلى، جامع النص)، كما طرحها بارت من خلال أهم مفاهيمه ( لذة النص ونص اللذة) ووقف عندها جاك دريدا من خلال ( الكتابة ، الاختلاف....) "2.

هذا الأخير دعا إلى مبدأ الاختلاف في الفكر الغربي من خلال تقويض مركزيته، فلم تسلم لا مركزية الحضور ولا العقل ولا الحقيقة ولا حتى مركزية النص، فلا النص المغلق - المكبل بدعوى النسق البنيوي - بقي على حاله، ولا الكتابة بقيت في شكلها الأسبق ولا حتى قراءاته، وذلك تأسيساً للمختلف الذي عده دريدا قوة كونية حتمية.

1 - عمر أوكان: لذة النص أو مغامرة الكتابة عند بارت، ص 43.

2 - المرجع نفسه، ص 13.

عمل دريدا على نقض النسقية النصية وتحريير النص وفتحه على آفاق جديدة ذلك أنه يمثل شبكة من النصوص المتداخلة والمتقاطعة فيما بينها و " تحول نصي يوسم فيه كل طرف مكون - رغم بساطته بأثر طرف آخر ، إن الطابع الداخلي المزعوم للمعنى يقع مسبقاً تحت تأثير خارج ذاته ، ويكون مسبقاً مغايراً *différence* بذاته قبل أي حدث تعبيراً ، وبهذا الشرط فقط يمكنه أن يكون دالاً<sup>1</sup> وبهذا فالنص لا يشكل وحدة ذات هوية زمنية محددة، وإنما هو عبارة عن طبقات ورواسب نصوية بدوال ومدلولات لا منتهية يكون فيها كل عنصر حاملاً لأثر عنصر سابق أو لاحق، يختلف معناه باختلاف السياق والنظم والتركييب فيشكل نصوصاً أخرى جديدة تربطها علاقة الاختلاف وتحكمها قاعدة التشنيت التي قال عنها دريدا (*Dissémination*) وهو " التحرك المفتوح والمنتج للسلسلة النصية<sup>2</sup> الذي يفتح نص الاختلاف على اللانهائية والتكثيف، ويمنع جسد النص من الانغلاق والشكلنة أو القولية النهائية، فهو مفتوح على سلسلة نصية دائمة الإنتاج، تمنع تصنيف النص أو البحث عن قصديته، إنه نص الإيهام البعيد عن التحديد والتجنيس الأدبي .

هذا النص الذي يخلخل العلامة السوسيرية القائمة على اعتبارية الدال والمدلول ذلك أن العلامة عند دريدا حضور إستيهامي ومراوغة وإرجاء وتأجيل، تظهر ضمن سلسلة لانهاية مشكلة نمطاً مختلفاً داخل نظام الكتابة،" فالكتابة هي لعبة الاختلافات التي تتطلب تركيبات وإيحاءات تمنع أن يكون أي عنصر بسيط في أي لحظة، وبأي شكل من الأشكال حاضراً لذاته وفي ذاته، وسواء أكان الأمر متعلقاً بالخطاب الشفوي أو المكتوب فإن أي

1 - دريدا جاك: (مواقع وحوارات)، ص 35.

2 - المصدر نفسه: ص 46.

عنصر لا يمكنه أن يشتغل كدليل دون الإحالة إلى عنصر آخر لا يكون هو نفسه حاضراً حضوراً بسيطاً.<sup>1</sup>

إن التأسيس للنص المختلف، يعني اللعب الحر للعلامة مما يقضي بلانهاية الدلالة، ومراوغة المعنى التي تقوم على الفصل بين الدال والمدلول، وتشكل منطقة "البين" مما يسمح باللعب الحر للنص/ العلامة (...). فالنصوص السابقة تجتاح حدود النص الحاضر لتحويله إلى بينص تلعب فيه الاختلافات بحرية كاملة، لكن تلك النصوص السابقة ليست في الحقيقة نصوصاً بل بينصوص، أي لا يوجد في الواقع نص أول أو نص أصل غزته نصوص سابقة<sup>2</sup> كما لا يمكن لأي نص أن يدعي كونه النواة الأولى، وكل النصوص "هائمة مع بدايات لم تبتدئها.. وتائية وراء نهايات لا تصل إليها ولا يمكن لأي نص أن يدعي أنه انتهى إليها.... ولهذا فإنه لا يبقى أن نقول عنها سوى أنها فعالية تسير في اتجاهين: اتجاه البدايات التي تتناسل من بدايات لا تنتهي، واتجاه النهايات التي تتوالد من نهايات لا تنتهي"<sup>3</sup>، وبهذا يبقى نص التفكيك نصاً مختلفاً عائماً في أودية الدلالة، محاولاً استحضار المغيب عبر التخصيب المستمر للمدلول وعبر القراءات المتتالية المنتجة للاختلاف باختلاف القراء.

غير أن نص الاختلاف يؤسس في اختلافيته لـ "لغة الاختلاف"، ذلك أن اللغة لم تبقى مجرد فضاء للتواصل عبر مجموعة من العلامات الدالة والأنظمة الإشارية، بل أصبحت "بيت الوجود" الذي يحتوي الكائن كما يرى هيدغر، "إنه يعيش في رحم اللغة حياته كلها فتشكله ثم تلغيه، ثم تشكله ثم تلغيه، ثم تعيده من بعد الخلق خلقاً آخر، وقد

<sup>1</sup> - المصدر السابق ص 29.

<sup>2</sup> - عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة، 262.

<sup>3</sup> - منذر عياشي: الكتابة الثانية وفتحة المتعة، ص 144.

ينقضي أجله فيها ولما يكتمل كائنه الكلامي تماماً وكمالاً، ولعل هذا ما يفسر سعيه الدائم لإملاكها، واستحواذها والسيطرة عليها".<sup>1</sup>

إن اللغة، وتحقيقاً لمبدأ الاختلاف جاءت ضمن إستراتيجية التفكيك، رؤياً جديدة هي الغاية والوسيلة في حد ذاتها، ذلك أن التفكيك في بحثه الدائم عن بؤر النص ومراكزه من أجل إسقاطها يتموضع " في البنية غير المتجانسة للنص والخروج إلى سطحها ساعة يشاء، وحرية الانتقال بين خارج وداخل النص، تمده بنظرة محورية للأثر نفسه..."<sup>2</sup> بعيداً عن التحليل المحايث والدراسة المغلقة.

إن دريدا من خلال مبدأ الاختلاف ينظر إلى اللغة في مستوى أكثر تعقيداً ذلك أنه يربط الوجود والواقع باللغة، التي تعبر عن نوازعنا ومكوناتنا، اللغة هي من تنشئ مفاهيمنا عن العالم ومن تصوغ الفكر وتصنع العلم والفلسفة والميتافيزيقا، ذلك أنها تقول كل شيء دون أن تقول شيئاً، وهذا ما يهدف إليه مبدأ الاختلاف في إستراتيجية التفكيك هو الرغبة في " فضح عجز اللغة، وحقيقتها السرية التي تتستر والفكر عليها وسيلة اللغة نفسها، استخدام اللغة نفسها للتعبير عن عجزها ونقصها، وعيها الأساسي أنها مفارقة وصف الصمت ( كحالة ) عبر اللغة، حالة تبقى بنأي يزداد كلما شرعنا بالمزيد من الكلام (الصامت عن الصمت) ".<sup>3</sup>

إن اللغة عند دريدا تستمد وجودها من التوالد المستمر للمدلول، فنتنتج دالاً آخر في لعبة متواصلة لانتهائية فكل دال ما هو إلا استعارة لتعويم مدلول، تحول المدلول إلى دال يقوم بدوره بإنتاج جديد من الدالات، وكل هذا يكون ضمن اللغة بقول دريدا في هذا السياق: " ليس ثمة فينومينولوجيا تنتج العلامة أو تعيد حضورها وعليه فإن الدوال تتوهج

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 65.

<sup>2</sup> - عبد الله إبراهيم: معرفة الآخر، ص 137.

<sup>3</sup> - عادل عبد الله: التفكيكية (إرادة الاختلاف وسلطة العقل)، ص 11.

ساطعة بسبب من حضورها الخاص بها، ولهذا يذوب المعنى فالأمر لا يعدو غير حضور علامات، بل إنه يؤكد قائلاً : نحن نفكر بالعلامات فقط".<sup>1</sup>

### المبحث الثاني : الاختلاف وعلاقته بمقولات التفكيك

#### أولاً : الاختلاف\* تفكيكاً

استوحى دريدا فكرة " الاختلاف من سوسير، الذي جاء بتقابلاته الشهيرة حيث أعطى للعلامة ( دال + مدلول) قيمتها في إطار علاقتها واختلافها مع غيرها، فقد ميز سوسير بين عنصرين هامين هما اللغة (langue) الحاملة للطابع الجماعي بعدها مجموعة منتظمة من الرموز والكلام (Parole) كتأدية فردية للغة، وربط سوسير الأحداث الكلامية بالنسق اللغوي حتى تنتج مفعولاتها مثلما هي الأحداث الكلامية ضرورية لنشأة النسق".<sup>2</sup> ولقد صاغ دريدا التفكيك بطريقة مغايرة ومطورة لثنائيات سوسير بعدما عمد إلى الفعل الفرنسي (différer) معتمداً في هذا على صيغتين ثم الاشتقاق منهما:<sup>3</sup>

الصيغة اللازمة الدالة على الشيء المغاير المختلف (dissemblable) والصيغة المتعدية الدالة على الإرجاء والتأجيل لوقت آخر (remettre au autre Temps) مشتقاً مصدراً للاختلاف (Différence) من الصيغة الأولى ذات الدلالة المكانية، أما الصيغة الثانية ذات الدلالة الزمنية فاشتق منها مصدر جديد لا عهد للغة الفرنسية به هو الإرجاء والتأجيل والإخلاف (Différance) ولقد خُفّت هذه الكلمة ارتباكاً لدى القارئ خلال ترجمتها

<sup>1</sup> - عبد الله إبراهيم: معرفة الآخر، ص140.

\* \_ ورد لفظ الاختلاف في القرآن الكريم في عديد المواضع - وإن اختلف مفهومها عن ما ورد عند دريدا- نذكر منها سورة آل عمران : الآية 19،، سورة يونس: الآية 19، سورة المائدة : الآية 48، سورة الأنفال : الآية 26، سورة الروم: الآية 31-32، سورة الأنعام: الآية 159. للمزيد من الإطلاع ينظر العلواني(طه جابر فياض) ،أدب الاختلاف في الإسلام، دار الشهاب،الجزائر ،دط،دت.

<sup>2</sup> - لمزيد من الإطلاع ينظر: محاضرات في اللسانيات العامة: فردينان دي سوسير،ترجمة يوسف غازي ومجيد

النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة،الجزائر، 1986 .

<sup>3</sup> - يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح ، ص360.

للغربية أو حتى الإنجليزية فأحياناً يستخدم **ديفيد أليسون** كلمة (Différentiation) مقابلاً لها في متن الترجمة ويتابعه في ذلك **ميشال ريان** حين يقنّبس الفرنسية كما هي دون ترجمة وفي مرات قليلة يترجمها إلى ثلاث كلمات مجتمعة معاً هي: (Différence) (Différral – Différing) – ويحرص على وضع كلمة دريدا الفرنسية بجوار ترجمته الإنجليزية<sup>1</sup>. فالاختلاف عند دريدا على هذا النحو من الكتابة ليس هفوة إملائية بقدر ما هو حيلة قصد بها إبراز الاختلافات الواردة على الدلالة ضمن المستوى الصوتي والكتابي ليوضح من خلال هذا الإبدال والتشويه الصامت بإحلال "a" محل "e" أن الاختلاف (Différance) الذي يقصده هو ، إنما هو بنية وحركة لا يمكن تصورها على أساس التعارض بين الحضور والغياب، فالـ (Différance) هو التبدل المنظم للاختلافات ولآثار الاختلافات<sup>2</sup>، غير أن هذا الاختلاف مقترنا بالإرجاء والتأجيل والتعويق والتأخير وكذا بالتشتت والانتشار، يحرر القارئ من مرجع محدد وثابت فيغدو المعنى مؤجلاً باستمرار في لعبة دلالية لانهائية قائمة على التخصيب المستمر للمدلول.

إلا أن دريدا باختياره كلمة (Différance) وضع معها جملة من الكلمات الممكنة إحلالها مكانها فتقوم بدورها كاملاً وهذه الكلمات البدائل هي:<sup>3</sup>

**1- Marge: الهامش أو الجانبية أو الحافة** : يقول كاظم جهاد : " ونرى لدى دريدا إلى Marge ( الهامش) وهو يتداخل مع، ويحيل إلى كل من Marque (سمة أو علامة) و March ( مسيرة)، الهامش يساهم في مسيرة النص.

**2- Supplément** : إضافة وملحق يضاف أو إنابة... إضافة تسند نقصاً أصلياً يعاني منه ما جعلته الميتافيزيقا في مرتبة الأصل.

<sup>1</sup> - جاك دريدا وبول دي مان: استراتيجيات التفكير، ترجمة حسام نايل، أزمنة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2009 ص10.

<sup>2</sup> - جون ستروك: البنيوية وما بعدها ، ص220.

<sup>3</sup> - جاك دريدا وبول دي مان: إستراتيجيات التفكير ، ص11.

**3-Undécidable**: عدم القدرة على حسم الأمور ....التنازع وعدم الاستقرار إزاء أمر أو التقلب وما يعنونه من تحير ..

**4-Dissémination**: التشتت/ الانتشار/البعثرة... كيفية تفريق العناصر على النحو الذي يصعب معه لمُها ضمن نظام أو نسق أو حتى ترتيب معين...

**5-Humen** : كلاً من البكارة والجماع .. حتى تتضح وظيفة غشاء البكارة المزدوجة، أقول إنه يحتفظ بحالة العذرية البيولوجية ، وفي الوقت نفسه تطلب الجماع الذي هو انتهاك وفض وهتك....

وإضافة إلى هذه العناصر يضيف صاحباً كتاب ( مدخل إلى فلسفة جاك دريدا) سارة كوفمان وروجي لابورت مصطلحين آخرين على علاقة وطيدة بالاختلاف:<sup>1</sup>

**6-Trace au Grame**: أثر أو كتابة، وهو بنية إحالة إلى الآخر عموماً ( متغير آخر...) ليس حاضراً أبداً أمام إدراك، ولا يوصل إلى أي حضور.....

**7-Pharmakon** : فارماكون: سم ودواء ( خير وشر، زائد وناقص....) لا هذا ولا ذاك، يُعدى الواحد بالآخر دون تصالح ولا إشباع ممكن....

ولعل ارتباط الاختلاف بكل هذه العناصر يمنع تحديد دلالتها الاصطلاحية المشتتة والكثيفة ما يبعده عن كونه مفهوماً أو كلمة كما يرى دريدا- بل يحمل معنى الإزاحة : فهو بنية من الاختلافات التي تحول العلامة إلى سلسلة لا متناهية من المفردات ذات الدلالة المؤجلة، وغير بعيد عن هذا يقدم "فُنِسْت لِيْس" تعريفاً للاختلاف إذ " لكي تعبر لغة ما عن معنى يجب أن تختلف عن الدالات الأخرى، ونفس الشيء بالنسبة للمدلول، إذ إن كل مدلول في نسق لغوي يجب أن يختلف - مهما كان صغر حجم

<sup>1</sup> - سارة كوفمان، روجي لابورت: مدخل إلى فلسفة جاك دريدا (تفكيك الميتافيزيقا واستحضار الأثر) ، ص 58. وينظر: جاك دريدا: الكتابة والاختلاف، ص 8، 227.

التضاد - عن كل المدلولات الأخرى، إن الاختلافات أساسية لكي تعمل العلامات في اللغة<sup>1</sup>. وتحقق وظيفة لانهائية الدلالة.

ويشرح دريدا هذه الوظيفة ضمن كتابه Position والذي نشره بعد مقاله الأول بأربع سنوات حيث يرى أن الاختلاف "بناء وحركة لا يمكن تصورهما على أساس تعارض ثنائية الحضور/ الغياب، إن الـ Différance هو اللعب المنتظم للاختلافات ولآثار الاختلافات للتنظيم Spacing الذي يربط بين العناصر، هذا التنظيم هو الإنتاج الموجب والسالب في نفس الوقت لفواصل Intervals، لا تستطيع المصطلحات "الكاملة" أن تحقق الدلالة أن تؤدي وظيفتها"<sup>2</sup>.

ولما كان الاختلاف (بـ a) يعني المغايرة والتأجيل، فإن العنصر الأول الحامل لمعنى المغايرة يُثبت الدلالة، فيما يعمل التأجيل على تفكيكها، فتنبقى مؤجلة باستمرار تستعصي على قرائنها وتمارس معهم لعبة المراوغة وطقوس الإغراء، وهي حيلة يمارسها التفكيك، تقضي بإحالة الدال إلى دال آخر مع تغييب متعمد للمدلول، تسعى هذه اللعبة إلى تعدد القراءات وتشظي الدلالة وتشئت المعنى، وبهذا يؤكد دريدا مبدأ الاختلاف القائم على تقويض المركز، بعد أن قوض الأساس اللغوي التقليدي بإحلال الدوال إلى مدلولات واستبداله بمغامرة اللعب الحر التي تنتج لانهائية الدلالة وتغييب المعنى، وتثير استفزاز العديد من اللغويين وقد تأتي موقف نظرية اللعب هذا من قصدية دريدا في التعامل مع النص بوصفه موضوعاً غير متجانس "فيه قوى تعمل على تفكيكه باستمرار فضلاً عن طريقته في التموضع داخل البنية غير المتجانسة للنص، والعتور على تواترات أو

1 - عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة، ص 377.

2 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

تناقضات داخلية يقرأ النص من خلالها نفسه، ويفكك نفسه بنفسه، إن بنية النص الداخلية حبلى بالقوى المتنافرة التي تكمن وظيفتها في تقويض النص وتجزئته".<sup>1</sup>

ويرتبط مصطلح اللعب عند دريدا بمصطلح المراوغة الذي يقتضي مراوغة المدلول للدال، بحيث تتحول العلامة اللغوية إلى كائن متشظي وعائم ومشتت قد يقود الانصياع وراءه حسب بعض اللغويين إلى العبثية والفوضى والوقوع في الحيل الخادعة التي تقود إلى اللاتزان الدلالي، وتخرجنا من سجن النسق لتوقعنا في سجن الدال، ومن ممارسة الكتابة إلى ممارسة اللعب. ورغم هذا يرى أنصار التفكيك أن "التشدد في التركيز على أهمية الاختلاف قاد إلى تعميم استراتيجية هذه المقولة الفعالة بوصفها وسيلة حفر في بنية الخطابات الفلسفية والأدبية وحققت منجزها الأكبر في محاولتها تقويض المرتكزات الفكرية للثنائيات المعروفة مثل: الروح والجسد، الخير والشر، الشكل والمعنى، الاستعاري والواقعي، الإيجابي والسلبي، وذلك لقلب التصور الذهني الذي أرسته الميتافيزيقا الغربية".<sup>2</sup>

### ثانياً : مقولات التفكيك

#### أ- نقد المركزية الغربية: ( نقد العقل والثورة على الميتافيزيقا).

جعلت الممارسات الفكرية السابقة العقل هو المركز، وجعلت العلم تجلٍ من تجلياته اللانهائية، وعمقت الميتافيزيقا هذا الطرح فأعطته بعداً إلهياً دمجت فيه فكرة " اللوغوس" و" الله"، بل ذهبت لاعتباره مدار التفكير كله وأن كل ما يرتبط به من نتائج وفروض وتجارب يدخل في إطار الحقائق واليقينيات، كما عرفت الفلسفات القديمة بدءاً من أفلاطون اهتماماً بالغاً بالعقل وإعطائه السلطة الأولى في تحديد المعاني وبعث الحقائق حيث

1 - جاك دريدا: الكتابة والاختلاف ، ص 49.

2 - المصدر نفسه ، ص 27.

ظهرت الفلسفة العقلية المثالية التي تمجد العقل وتنتصر للمنطق الذي فرض هيمنته على الفكر الغربي .

هذه المبالغة في التشدد بقوى العقل استفزت جاك دريدا الذي جاء بمقولة " نقد المركزية الغربية" التي حاول فيها تقويض التمرکز العقلي Logoscentrism من جهة والثورة على الميتافيزيقا من جهة أخرى ، حيث عمل على فحص ونقد الخطاب الغربي والكشف عن تعالي الإرث الفلسفي والنبش في أنساقه الخفية وتفكيك كل مراكز الدلالة وبؤر الميتافيزيقا.

وعلى هذا الأساس واستناداً لمنطق الهدم ومبدأ الشك والرفض أعلن - دريدا - عن " تدمير كل الدلالات التي تجد مصدرها في دلالة اللوغوس، وتفكيكها وتذويب رواسبها المتعاقبة وإن جميع التحديدات الميتافيزيقية الحقيقية - حسب دريدا- غير قابلة للفصل عن هيئة اللوغوس الذي يحط من قيمة الكتابة المنظور إليها بوصفها وساطة لتحقيق القصد ويقود من ثم إلى السقوط في برانية المعنى وخارجيته".<sup>1</sup>

ولأن دريدا مدرك لرواسب المركزية الغربية بوصفها حضوراً لامتناهياً ومهيماً في الفكر الغربي دعا إلى ضرورة نقد مركز العقل " الذي يمثل " التضافر بتأسيس بنية قوة في خارطة الفكر...، واقتحام سكونية الميتافيزيقا الغربية متسلحاً بمقولته هذه لتمييز أولاً نزعة التمرکز الطبيعية في هذه الميتافيزيقا الغربية وذلك من خلال اللوغوس"<sup>2</sup> وهو بهذا يهدف إلى تكوين خطابات تنضح بالدلالات وتغطس في التجدد دون التعثر ببؤر التمرکز التي تفرض هيمنتها وسطوتها، وكذا نقد الميتافيزيقا الغربية وتعرية ركائزها، وكشف تناقضها وهذا روح التفكيكية التي تفضل الانتشار والتكاثر على الحقيقة والانفجار والتشتت على

<sup>1</sup> - جاك دريدا: الكتابة والاختلاف ، ص ص 111، 112 .

<sup>2</sup> - عبد الله إبراهيم: معرفة الآخر، ص 123.

الوحدة والانسجام والفضاءات غير المحددة على الإغلاقات الحذرة والمرح والهيستيريا على الجدية والعقلانية<sup>1</sup> والإفتتاح المطلق على المركزية الخائفة.

يرى دريدا أن هذه المركزية قد كرسّت للغة حضوراً ميتافيزيقياً في فكر الثقافة الغربية، أي أن نطق اللغة أصبح محددًا بحضور المرء (الحقيقي أو المفترض) الذي ينطق، وهكذا نفترض تلقائياً حين نقرأ نصاً من أي نوع أو نسمعه، وجود كاتب أو ناطق لذلك النص (...). وهكذا تكون مركزية اللغة أو الحضور الميتافيزيقي القاعدة الحافزة وراء مركزية الصوت<sup>2</sup>، وهذا ما يوضح ارتباط مركزية العقل بمركزية الصوت phonocentrisme التي تنتصر للمنطوق على حساب المكتوب وتفضل الحضور على الغياب وهو ماجاء دريدا لنقضه كما أدرك إصرار الميتافيزيقا على اعتبار الوجود حضوراً متعالياً مهيمناً، وهذا ما دعاه لمواجهة هذا الحصن التقليدي مستعينا بمقولات القراءة والاختلاف والأثر واستخدامها في تبديد المركز.

وفيما كان الموروث الفلسفي ينتج الحقائق على أنها مستودع الحضور ذهب دريدا إلى أن التفسير ليس غايته تثبيت أوضاع قارة إنما فتح الأفق أمام مزيد من الاحتمالات وهذا يعني توسيع فضاءات التفسير والوصول به إلى مناطق لم تكتشف بعد<sup>3</sup>.

لقد حاول دريدا تذويب الدلالة المركزية المتعالية وفتح أفاق جديدة في الفكر الغربي تمنح الغياب دلالة متعالية بعد سيطرة طويلة لمنطق الحضور وانتهج في نقده هذا نمطاً معيناً إذ لجأ أولاً " إلى تجزئة موضوعاته، بدءاً من الألفاظ والفرضيات الأساسية، ثم انتقل إلى تعرية الأنساق وكشف الحجج التناقضية، ثم في مرحلة أخرى توغل إلى صلب موضوعه ألا وهو تفكيك النظم الفكرية الكبرى للفكر الفلسفي من أفلاطون وأرسطو

1 - مادان ساروب: دليل تمهيدي إلى ما بعد البنيوية وما بعد الحداثة، ص 80.

2 - ديفيد بشبندر: نظرية الأدب المعاصر، ص 79.

3 - عبد الله إبراهيم: المركزية الغربية، ص 324.

ماراً بديكارت وروسو وفرويد، ثم منتهياً بالفلاسفة المعاصرين مثل هوسرل وهيدغر، ولقد قاده استقراره إلى هدم الزعم القائل بوجود معنى موحد له هوية متطابقة مع ذاته<sup>1</sup> ليكون بهذا قد وضع الفكر الفلسفي تحت النباش والفحص معالماً كل ماله علاقة بالمركز بما في ذلك مركزية الكلام المنطوق (مركزية الصوت) (مركزية الحضور) كما تطرق للعديد من الميادين والأفكار بالنقد والنقض مثل فكرة المعرفة والوجود والجنس والتاريخ، ليؤكد انطلاقاً من هذا أن التفكير لا يسعى للوصول إلى اليقين (لأنه لا يقر بوجوده أصلاً) كما لا يسعى لتقديم بدائل للمركز الغربي، "إنما يمارس قراءة وكتابة نقدية مزدوجة تهدف للوصول إلى مناطق مغلقة تضيي التناقض عن المعاني وتصبح غير قابلة للتحديد، وتكون الحقيقة الوحيدة التي يستطيع التفكير تقديمها هي: تموضع المتهات في ثنايا النصوص وأنظمتها الدلالية"<sup>2</sup>، والانفتاح على لعبة دلالية ومراوغة نقدية لا تنتهي.

كما أن دريدا يدعو إلى ضرورة التفكير بعدم وجود مركز، وبهذا يكون قد اقتحم سكونية ومطلقية وتعالى كل مركز مهما كان، عقائدي / أيديولوجي / ذكوري / سياسي وضرورة خلخلته و تقويضه و الإقرار بعدم وجوده الفعلي أو الواقعي كمارسة فعلية على أرض الواقع، بل عليه أن يبقى مجرد وظيفة، يقول دريدا: "إنني أعتقد أن المركز وظيفة وليس وجوداً أو واقعا، وهذه الوظيفة لا يمكن الاستغناء عنها"<sup>3</sup>.

تأسيساً لما سبق ذكره، فإن نقد المركزية الغربية التي طالت الفلسفة والفكر والعقل والوجود والميتافيزيقا والصوت، أصابت النص أيضاً فأست لميلاد نص جديد هو نص اللاتمركز واللاتحديد واللاتغلاق، نص الاختلاف المفتوح بوصفه لعبة حرة للدلالات المتعددة و لتعدد القراءات وانصهار الآفاق القرائية المتباينة، نص التشظي / التكتيف /

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 323.

<sup>2</sup> - ميجان الرويلي، سعد البازعي، دل يل ال ناقد الأدب بي، ص 133.

<sup>3</sup> - محمود أحمد العشيري: الاتجاهات الأدبية و النقدية الحديثة (دليل القارئ العام)، ص 124.

والتناسل الدائم. " إن هذه الثورة النصية أقصت الفهم التقليدي للأثر الأدبي، وجعلت اللسانيات الحديثة نتاجاً لتعالى الدال لا رابطة إياه بخصب القراءة وسعت إلى التعدد اللانهائي للمعنى، وأصبح النص حلقة من سلسلة متواصلة من الدالات غير المقترنة بمرجع وهو ما اصطلح عليه ( الدلالة المتعالية) أو الدال المتعالى، إن النص التفكيكي لا أصل له ولا نهاية"<sup>1</sup>.

ويمكن في الأخير أن ندرج جملة من النقاط التي تعكس مبدأ الاختلاف ضمن مقولة " نقد المركزية الغربية" و التي تم تلخيصها وصياغتها من كل ما سبق ذكره من أفكار:

- اختلف دريدا عن الممارسات الفكرية السابقة، القائمة على فكرة العقل هو المركز وعلى بعده الميتافيزيقي حين ربطه بـ " الله". فقام بنقض ونقد هذه السلطة من خلال فكرة logocentrism ( نقد التمركز العقلي) من جهة والثورة على الميتافيزيكا من جهة أخرى وهذا استناداً لمنطق الهدم ومبدأ الشك والاختلاف.
- تدمير كل الدالات التي تجد مصدرها في فكرة اللوغوس وتفكيكها وتدوير رواسبها الميتافيزيقية التي تحط من قيمة الكتابة وتتنظر إليها في " قصديتها".
- تفكيكية دريدا تفضل الانتشار والتشتت على الوحدة والانسجام والانفتاح المطلق على المركزية الخائفة .
- المركزية من منظور دريدا كرّست " الحضور الميتافيزيقي" للغة ما جعلها محدودة وما كرس بدوره " مركزية الصوت".
- المركزية والميتافيزيكا جعلتا الوجود حضوراً متعالياً مهيمناً وهذا ما دعا دريدا لمواجهة هذا الحصن التقليدي الأفلاطوني.

<sup>1</sup> - عبد الله إبراهيم : معرفة الآخر ، ص 130.

- دريدا لا يبحث من خلال مبدأ الاختلاف عن الحقائق ولا عن تثبيت أوضاع قارة إنما يفتح الأفق أمام المزيد من الاحتمالات وتوسيع فضاءات التفسير، وكذا تذويب الدلالة المركزية التي تمنح الغياب دلالة متعالية بعد سيطرة طويلة لمنطق الحضور.

### ب- علم الكتابة ( نقد التمرکز الصوتي):

لم ينظر الفلاسفة للكتابة إلا كمنشأ من الدرجة الثانية لإعتبار الكاتب قد يكتب ما لا يترجم أحاسيسه أو يعكس شخصيته حيث تصبح الكتابة " اضطراراً تعسفاً لأن ما تبتغيه الفلسفة فعلياً الإرادة والبرهنة والإشارة والإظهار والوصول بالمحاور إلى النظرة المحدقة في حضرة العالم... ذلك أن تمامية العلم تقتضي أن تكون الكلمات التي يصوغ بها الباحث نتائجه قليلة وشفافة كلما أمكن...<sup>1</sup> وفي مقابل هذا، لم يخف سوسير انزعاجه من الخطر الذي تمارسه الكتابة بحق الكلام فقد أشار إلى أن الكتابة " تخفي اللغة" بل تغتصب أحياناً الكلام " وطغيان الكتابة قوي ومدمر يؤدي مثلاً إلى أخطاء في التلفظ يمكن وصفها بالمرضية وهذا يعني أنها تمارس إفساداً في الأشكال المحكية الطبيعية... إن الكتابة التي يفترض أن تكون وسيلة لخدمة الكلام تهدد بتلويث صفاء النظام الذي تخدمه".<sup>2</sup>

غير أن التفكير بفضل ما أودعه من شكوك، قلب مركزية الفكر الغربي المُعلية لسلطة الكلام ودعا لتأسيس النص المختلف وإعلاء سلطة الكتابة، ولما كانت على هذا النحو من الأهمية أفرد لها دريدا كتابه الموسوم ب: علم الكتابة De la grammatologie عام 1967 الذي يهدف فيه لتأسيس برنامج فكري يعطي الأولوية

<sup>1</sup> - جاك دريدا وبول دي مان: إستراتيجيات التفكير، ص 100.

<sup>2</sup> - جون ستروك: البنيوية وما بعدها، ص 222.

والأفضلية للكتابة على حساب الكلام، كما دعا ضمن كتابه " الكتابة والاختلاف" إلى تامين دور الكتابة بعدها مفتاح التفكيك.

فماذا يقصد دريدا بـ grammatologie ؟ وماذا يقصد من وراء قوله: "يجب التفكير في أن الكتابة هي لعبة الكلام"<sup>1</sup>؟

إن هذا المصطلح المصدّر بالكلمة الإغريقية gramma يدل في الأصل على " الحرف" lettre، تناقلتها اللغات اللاتينية ومنها الفرنسية التي دخلتها في نهايات القرن 18 ميلادي بالشكل (gramme) وصارت من لواحق كثير من كلماتها ( برقية، Télégramme)، ( كتابة مشفرة cryptogramme) وحتى نضيف إليها اللاحقة (logie) الدالة على معنى العلم " science" تصبح الدلالة الحرفية للكلمة ( grammatologie) هي علم الكتابة "<sup>2</sup>.

ويلاحظ على كتاب دريدا المذكور اهتمامه بالكتابة وعدم تطرقه للنحو Grammaire الذي يبدو أنه أوحى للبعض بترجمة الكتابة (بالنحوية)، انطلاقاً من هذا الكتاب اهتم دريدا بالكتابة باعتبارها تمثل عدمية الصوت وانفجار السكون، وتدفق الدلالات وتشطي المعاني، "الكتابة فعالة لما تريد... فريدة فرادة النطفة الكتابية التي تودعها في الجسد المكتوب ولذا كانت في تجليها فرقا واختلافاً ونبوءاً ومباينةً، كما كانت على الدوام هجرة وارتحالاً وسؤالاً لا يكاد يستقر حتى يلد سؤالاً آخر، وتحريضاً لا يهدأ حتى تصطلي الأجساد بشهوة التساؤلات من حوله فلا هي من تحريضها تنتهي إلى إجابة، ولا هو منها يرتوي، فلا يظماً لسؤال وإثارة بعدها أبداً..."<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - جاك دريدا: علم الكتابة، ص 73 .

<sup>2</sup> - يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح، ص 370.

<sup>3</sup> - منذر عياشي: الكتابة الثانية وفاتحة المتعة، ص 22.

إن الغراماتولوجيا التي يدعو إليها دريدا تتجاوز حالتها القديمة باعتبارها أمراً ثانوياً بل هي الأساس الذي يمنح القارئ مزيداً من إمكانيات التفسير ، وهذا بالضبط ما يعنيه الاختلاف عند دريدا ذلك أن الكتابة " تكشف لنا عن التغريب في المعنى ذاته، إن نفس المعنى بوساطة العلامات يهبه استقلالاً بصورة جلية عندما تستمر العلامات المكتوبة بتوليد بعدها الدلالي بغياب المؤلف وحتى بعد موته".<sup>1</sup>

لتتلخص الكتابة من سطوة المؤلف وتتحرك من قيوده، تتوالد باستمرار لانطوائها على صيرورة البقاء والديمومة بغياب منتجها الأول، وهو ما لا يتوفر في الكلام فتنتج لنا "نصاً مكتوباً" أو "نص الكتابة" كما يقول بارت (Texte Scriptible) نص التعددية القرائية المفتوح، المتغير، المتجدد باستمرار الذي يمنح القارئ تأشيرة الولوج إلى عوالمه وممارسة طقوسه القرائية دون أن يكون خاضعاً لخلفية كاتب أو لجنس أدبي معين.

تأسيساً على ما سبق، يتضح لنا أن هذه الكتابة التي ينادي بها دريدا ليست كتابة عادية بل لها من الخصائص ما يميزها ويفضلها عن الكلام " إنها أولاً بوصفها علامة مكتوبة يمكن أن تتكرر في غياب سياقها، وأنها ثانياً قادرة على تحطم سياقها الحقيقي وتقرأ ضمن أنظمة سياقات جديدة بوصفها علامة في خطابات أخرى، وأنها ثالثاً تكون فضاء للمعنى بوجهين، الأول قابليتها الانتقال من سلسلة جديدة من العلامات، والثاني قدرتها على الانتقال من مرجع حاضر إلى آخر، وهذه سمات خاصة بالكتابة لا يمكن للكلام أن يمتلكها..."<sup>2</sup>

غير أن هذه الكتابة لا تشتغل ضمن برنامج دريدا إلا عبر مبدئها الأساسي وهو " الأثر" الذي يركز في الأصل على إدراك الاختلاف وتصبح قضيته قضية الإدراك

1 - عبد الله إبراهيم: معرفة الآخر، ص 126.

2 - المرجع نفسه، ص 116.

ذاتها للكلمات المتسمة بالنشاط الدلالي لا تظهر أبدا بذاتها دون الاختلاف والتضاد ودون بنية العلامة التي تمنح كل مفردة شكلها وهويتها، إن فضاء الأثر الدلالي يستدعي التأمل في عملية الظهور ( الحضور ) المنطوية على بنية ضدية تجعل من الدوال كتابة قابلة للإدراك ومؤسسة على إمكانية تعدد المعنى من جهة ومحو حضور المرء ذاته من جهة أخرى<sup>1</sup>، بهذا فالأثر هو ذلك الآخر/ الغائب الذي لا يمكن الحصول عليه في وجود تام فالأثر خط ومحو في آن، إنه إمحاء الشيء وبقائه محفوظا في العلامات ذلك أن الكتابة ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها، فلا يمكن تصور مجتمع خال منها " من دون علامات من دون حساب أو توثيق، لا وجود لمجتمع حتى وإن كان حيوانياً، من دون أثر، من دون علامات على الأرض، ويكفي - طبقاً لدريدا نفسه- لكي نقتنع بأهمية الكتابة أن نتصور مجتمعاً بدونها أنه سيبقى أسير الأساطير و الطوبويات و من هنا تكسب الكتابة أهميتها"<sup>2</sup>، باعتبارها كيانا ذا خصوصية وتميز، تحول من بناء واقع جديد إلى الوجود. وبدل اعتبارها تابعا للكلام يجدر بنا- كما يرى أهل التفكيك- أن نجعلها الأصل وأن نقوض مركزية الصوت، كما يقترح دريدا طريقة للتعامل مع الأثر في الغراماتولوجيا باعتبارها عملية وليس كحالة أو بنية معطاة فيقول: "تصور الأثر يجب الاعتراف به كعملية وليس كحالة، كحركة فاعلة وليس كبنية معطاة"<sup>3</sup>.

ويمكن أن نرصد جانبا من تجسيد مبدأ الاختلاف ضمن مقولة "الكتابة" والتي تمت صياغته من خلال ما تقدم ذكره من أفكار ومعطيات :

<sup>1</sup> - ميجان الرويلي، سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، ص 58، 59 .

<sup>2</sup> - ينظر: عبد الله إبراهيم: معرفة الآخر، ص 135 .

<sup>3</sup> - جاك دريدا: علم الكتابة، ص 74 .

- اختلافا عن الكتابة التقليدية دعا دريدا لكتابة جديدة تمثل عدمية الصوت وانفجار السكون وتدفق الدلالات وتشظي المعاني، الكتابة التي تكشف لنا عن التغريب في المعنى ذاته.
- كتابة دريدا اختلفت في التحرر من سطوة المؤلف، فهي تتطوي على سيرورة البقاء في غياب منتجها الأول.
- كتابة تنفي " الشمولية" في الدلالات فما هو موجود هو فقط اختلاف وتشظيت الدال وتأجيل المدلول والمفاجأة بظهور المعاني الإيهامية والانقسامات النصية.
- للكتابة الدريدية صفة انبثاق العلامات والانتشار خلافا لميتافيزيقا الحضور وأحادية المعنى والمطابقة.
- الكتابة لا تشغل موقع المدلول وإنما تشغل موقع دال آخر، لأنه لا وجود للمدلول وإنما هناك فقط دوال Signifiants تشغل أماكن بعضها البعض.
- الكتابة تشغل ضمن برنامج دريدا للتفكيك - ضمن " الأثر" الذي يركز على الاختلاف وتصبح قضيته قضية الإدراك ذاته فالكلمات ذات النشاط الدلالي لا تظهر بذاتها دون الاختلاف والتضاد.
- لا تبحث الكتابة- بوصفها أثرا- عن استيعاب الفكر للحضور وتطابقه معه إنها تسير في الاتجاه المعاكس المختلف للتصنيف والترتيب والتنظيم فالكتابة/ الهامش عند دريدا- بوصفها فضاء غير توصيفيا لا نظاميا مغيبا- هي اختلاف عن الكتابة النمطية.
- أقام دريدا مفهومه للعلامة في علاقتها بعلامة أخرى داخل نظام الكتابة فالكتابة هي لعبة للاختلافات التي تتطلب مجموعة من الإحالات.

- إذا كان الأثر مرتبطاً بالكتابة فإنه فضاء يستدعي التأمل في عملية الحضور المنطوية على بنية ضدية تجعل من الدوال كتابة قابلة للإدراك ومؤسسة على تعدد المعنى ومحو حضور المرء ذاته فهو خط ومحو في آن وأول ملمح للاختلاف فيه هو رحيل الشيء وبقائه في آن.

### ج- الحضور والغياب:

أفاد دريدا من أفكار الفلاسفة السابقين - وزاد عليها - أمثال نيتشه وفوكو وهيدغر وهو حقل تميز بالتبرؤ الجذري من النزعة الميتافيزيقية ومن ركام الإرث الفلسفي الأفلاطوني الذي تواصل مع هيغل، ذلك أن فلسفة أفلاطون قائمة على الحضور أو على وجود الموجود في الوجود، وهي الفكرة التي حاربها دريدا بشدة من خلال استراتيجيته وأخذت منه نصيباً من النقد والنقض لأنها تواكب اللوغوس وتمثل مبدأ راسخاً مفاده أن الوجود يتجلى بوصفه حضوراً أي أن الوجود يتمظهر حضوره في الأشياء وفي هذا الصدد يؤكد هيدغر: " إن التاريخ الغربي منذ بدايته، وعلى امتداده، ظل يبرهن على أن كينونة الكائن تتجلى بوصفها حضوراً وهذا التجلي للكينونة على أنها حضور بذاته، تاريخ الغرب ذلك أن مسار تاريخ الغرب ترادف في معناه ودلالاته على فكرة الحضور باعتبار أن ما يأتي لذاته يتجلى وينتشر بالقرب من ذاته"<sup>1</sup> كما أعطى قيمة متعالية ذلك أن "الحضور كما صاغه ليفيناس يحافظ على العلاقة الترنسندنتالية للإله/ الإنسان"<sup>2</sup>.

ومثلما استأثرت فكرة الحضور اهتمام الفلاسفة القدامى اهتم دريدا بنقيضها وهو الغياب، هذا المعطى الذي يعتبر تنويجا نقديا للمعطيات السابقة، وهو الثمرة المعرفية للتفكيك والهوية المحددة له ذلك أن ثنائية الحضور والغياب تمثل أفقاً مفتوحاً تنشط فيه

<sup>1</sup> - مارتن هيدغر: التقنية - الحقيقة - الوجود، ترجمة: محمد سبيلا وعبد الهادي مفتاح، المركز الثقافي بيروت، 1995، ص 89-204.

<sup>2</sup> - جاك دريدا: علم الكتابة، ص 213.

الاختلافات، فمقولة الاختلاف وما تحويها من مفاهيم (الإرجاء والتأجيل) ترتبط ارتباطاً وثيقاً بما نسميه "الحضور والغياب" فكل ما لا يمكن وصفه بالحضور والوجود النهائي هو في حقيقته مؤجل/ مرجأ/ غائب ليصبح هذا "الربط البسيط بين فكرة تأجيل الإحالة وبين الغياب هو ما تحققه العلامة اللغوية في الوقت نفسه الذي تظهر (الشيء) (الحضور) تظل هي الخلفية البسيطة والدائمة التي يمكن في ضوئها تفسير الشطحات اللغوية والفلسفية".<sup>1</sup>

ولما كانت العلامة لا تحمل داخل النص وجوداً فعلياً واقعياً ولموسماً، إذ الإعلان عنها داخل النص ما هو إلا إعلان عن غيابها واختفائها، "فإن الحضور الوحيد في النص هو اللغة وحيث أن اللغة تحجب الأشياء أو تخفيها، فمعنى ذلك؛ أن الحضور الوحيد هو الغياب، أي أن اللفظ بقدر ما يكشف عن الأشياء (الحضور) يخفيها أو يحجبها (غياب)".<sup>2</sup>

فاللغة ليست تعبيراً عن المعاني والأشياء في حضورها المعلن بقدر اعتبارها غياباً واختفاءً وهذا ما يفسر لعبة التفكيك القائمة على "حضور الدوال وتغييب المداليل"، فضلاً عن معطيات الاختلاف، ونقد التمرکز الغربي، ونظرية اللعب الحر والكتابة، والتي تبرز فيها بشكل مباشر ثنائية الحضور/ الغياب التي انطلق منها دريدا في نقده ونقضه للخطاب الفلسفي الغربي، "إن الحضور سيكون الهدف المعرض باستمرار لانتقاد دريدا الهدف الأكثر صموداً، الذي يستحيل تدميره مباشرة ولكن يمكن تفجيره من الداخل بخلخلته وعرض نظام جذوره، وبالفعل فإن خطورة دريدا تتمثل في تبيان أن نزعة العقل المركزية متضامنة مع وجود الموجود كحضور وبأن هذا الحضور الزمني يتحدد (كذروة أثر) اللحظة أو الآن..."<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - عبد العزيز حمودة: المرايا المقعرة - نحو نظرية نقدية عربية، عالم المعرفة، الكويت، 2001، ص 129.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 128.

<sup>3</sup> - سارة كوفمان وروجي لابوت: مدخل إلى فلسفة جاك دريدا، ص 14.

وبهذا تنهض مقولة الحضور/ الغياب بوصفها نتيجة من نتائج الاختلاف ومظهراً له، حيث استأثر هاجس نقد الحضور على المخطط التفكيكي بنفس خطورة استئثار فكرة نقد اللوغوس، كما تنشأ مشكلة الحضور/ الغياب من الاختلاف الذي تعرفه الدلالات بحضور الدال وتعدد مدلولاته وغياب أو تغييب بعضها ما يجعل سلسلة العلامات مؤجلة ولانهائية.

ويحاول دريدا التأكيد على هذه المقولة في إطار الاختلاف، موضحاً أن حضور الأشياء مقترن بغيابها وإرجائها، وهذا يبرز من خلال صفه الانفتاح والتعدد ويؤكد على عدم وجود "حضور مطلق" ما يجعل كل معنى تصل إليه القراءة ضمن سلسلة من الاختلافات الحاضرة والمغيبة في آن. وقد ثمن فكرته هذه بمثال "السهم المنطلق في رغبة منه لتأكيد نفيه ووجود حضور مطلق للأشياء والمعاني أو حضور حقيقة واحدة فالسهم المنطلق "... هو في أي لحظة من اللحظات حاضر في موقع معين، ولكنه في الوقت نفسه ليس حاضراً في تلك اللحظة في ذلك المكان، ففي أي لحظة اخترناها من لحظات انطلاقه يكون متحركاً باتجاه موقع ثانٍ وهكذا..."<sup>1</sup>، كذلك هو حال المعنى/ الحقيقة/ الصوت على الرغم من حضوره الرمزي يبقى مرتحلاً متقلناً/ غائباً/ مرجئاً ينتظر قارئاً مفككا يعيث في النص فساداً/ تشتيتاً دون أن يحدد غاياته ومآربه مسبقاً.

وفي الأخير ندرج جملة من النقاط التي ترسخ مبدأ الاختلاف ضمن مقولة الحضور/ الغياب بعد أن تمت صياغتها مما سبق من معطيات و أفكار:

- يبرهن التاريخ الغربي على كينونته بوصفها حضوراً أما دريدا فاختلف عنهم بالبحث عن النقيض وهو الغياب.

<sup>1</sup> - إبراهيم محمود خليل: النقد الأدبي الحديث (من المحاكاة إلى التفكيك) ، ص 112.

- تنشأ مشكلة الحضور/ الغياب من الاختلاف الدلالي، وذلك بحضور الدوال وتعدد المدلولات وغياب أو تغييب بعضها الآخر، ما يجعل سلسلة العلامات مؤجلة ولا نهائية، كل ذلك يؤكد أنه ليس هناك حضور مادي للعلامة ، هناك لعبة اختلافات فحسب وسعي وراء المغيب في اللغة والمعاني المؤجلة.
- الحضور ارتبط بالكلام الذي نقده ونقضه دريدا بالبحث عن الكتابة/المغيب ، أما الحضور فقد ارتبط بالنظم الفكرية الفلسفية بالأصل/الهوية/المعنى/الميتافيزيقا، وجاء دريدا لنقض كل هذه المفاهيم اللاموجودة من منظوره بل هو زعم ووهم قديم .
- لا وجود لحضور خارج المغايرة فلا شيء ولا كائن يكون حاضراً وغير اختلافي.
- ارتبط الحضور باللوغوس ما جعل دريدا يحارب هذه الفكرة وينقدها على أنها ضرب من الميتافيزيقا البالية.

### المبحث الثالث: الاختلاف و مبدأ الحوارية

#### أولاً: التناص اختلافاً

أكد العالم اللغوي فرديناند دي سوسير **De Saussure** في أبحاثه اللغوية عن خاصية التفاعل في اللغة، وذلك من خلال الثنائيات التفاعلية التي وضعها، والتي تثبت أن الكلمة لا تكون وحدها، إنما تستمد قيمتها من علاقاتها بكلمات أخرى، غير أن الباحث السميولوجي "ميخائيل باختين"، هو أول من أكد على الطابع الحوارى للنص الأدبي في نهاية العشرينات من القرن العشرين 1928-1929، فقد "يدخل فعلاً لفظيان تعبيران اثنان، في نوع خاص من العلاقة الدلالية ندعوها نحن علاقة حوارية والعلاقات الحوارية هي علاقات (دلالية) بين جميع التغيرات التي تقع ضمن دائرة التواصل اللفظي"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - تزفيتان تودوروف: ميخائيل باختين المبدأ الحوارى، ترجمة فخري صالح ، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت، ط2 ، 1996 ، ص 118.

و استغلت "جوليا كرسيتيفا Julia Kristeva " هذا المنطلق الباخثيني، لتعبر عن هذا التفاعل بمصطلح - Intertextualité.Intertextuality - لأول مرة في أبحاثها "نظرية لسيميائية النص" أو سيما ناليز كتب ما بين 1966-1967، صدرت في مجلتي telquel و كريتيك critique، وأعيد نشرها في كتابيها " سيميوتيك " و"نص الرواية" و في مقدمة ديستوفسكي لباختين<sup>1</sup>.

وكتب بالموازاة مع هذا الأخير "جيرار جينيت" أعمق التأسيسات النظرية التي تناقش تعالق النصوص و ترابطها من خلال كتابة أطراس palimpsestes - وإن كان ألف في المجال السردي- حيث رصد العلاقات النصية التحوارية بين النصوص "إذ قام جيرار جينيت بمراجعة شاملة بمفهوم التناص اعتمادا على تصور جديد للشعرية، لم تعد معه مرتبطة بجامع النص أي التمييز بين أصناف الخطابات و الأنواع الأدبية، بل أضحت متصلة بإطار أعم و أشمل هو المتعاليات النصية"<sup>2</sup> و أعطى هؤلاء النقاد وغيرهم مفاهيم مختلفة حول التناص " حيث مثل عند كرسيتيفا (فسيفساء من الإستشهادات) تشبه (امتصاص نص لنص آخر) و يطلق عليه سولير (الجسد المادي) أو (اختراقية الكتابة)، فيما يفضل ريفاتير النظر إليه على أنه، ( الميكانيزم الحقيقي للقراءة الخطية المتشابهة في النصوص الأدبية و غير الأدبية، والتي لا تنتج غير المعنى)، أما جينيت فيعتبر التناص ( كل ما يضع النص في علاقة ظاهرة أو سرية مع نصوص أخرى)، أما بارت فيجعل الأدب نصا واحدا ذاهبا إلى أن (كل نص تناص)<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - رشيد بن مالك: قاموس (مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص) عربي- انجليزي- فرنسي، دار الحكمة، الجزائر 2000، ص 92.

<sup>2</sup> - عبد القادر بقشي: التناص في الخطاب النقدي و البلاغي (دراسة نظرية و تطبيقية)، إفريقيا الشرق، ط1، 2007 ص 91.

<sup>3</sup> - ينظر: عمر أوكان : لذة النص أو مغامرة الكتابة، ص ص 29، 30.

هذه المفاهيم على تعددها تصب في معنى واحد يعكس العلائقية الموجودة بين النصوص إذ لا وجود لنص برئ/بكر، كما لا وجود للنص الأول/الأصل/النواة، ذلك أن "التناص تبادلا، حوارا، رباطا، تفاعلا بين نصين أو عدة نصوص، في النص تلتقي عدة نصوص، تتصارع، يبطل أحدهما مفعول الآخر، تتساكن، تلتحم، تتعانق، إذ ينجح النص في استيعابه للنصوص الأخرى، و تدميرها في ذات الوقت أنه إثبات ونفي وتركيب..."<sup>1</sup> على أن هذا التلاحم لا ينبغي أن يفسر على أنه سرقة و اتباعية وإنما هي قراءة جديدة، كتابة ثانية، رؤيا أخرى بعيدة عن الاستنساخ تفتح آفاق النص بعد أن أغلقها النقد الجديد و أحكمت البنيوية قبضتها عليه، لتنتهي مرحلة النسقية ويظهر بالتزامن مع هذا كرنفال نقدي متعدد الأصوات، ظهر قبل التفكيك محتشما وازدادت قوته و الإلحاح عليه مع دريدا و أنصاره.

فكيف نظر أصحاب التفكيك للتناص، و هل يمكن اعتباره أساسا لهذه الإستراتيجية أم نتيجة نهائية لها؟!

### ثانيا: التناص وعلاقته بالتفكيك

عرف عن الخطاب البنيوي تمسكه بمقولة النسق المغلق والتحليل المحايث، حيث اتخذ من اللغة أساسا له لا كأداة للتواصل و إنما في ذاتها و لذاتها، لا تحييك إلا على معجمها الداخلي كنظام مغلق من العلامات الدالة، البعيدة عن كل ما يمت بصلة للنص حتى صاحبه، غير أن التفكيك بعدة ثورة ضد كل مركز، ثار على هذه النسقية، بحجة أن البنيوية حررت الإنسان من يسجن العقل لتدخله سجن النص ومركزية النسق، فعمل التفكيك على نقد المفاهيم البنيوية و بعث مفاهيم جديدة علّ أبرزها ما تعلق بالنص، فهذا الأخير ليس تشكيلا مغلقا أو نهائيا" و لكنه يحمل آثار نصوص أخرى من ناحية، و حيث

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 29.

إن القارئ هو الآخر يجيئه بأفق توقعات تشكله.. فمعنى ذلك في حقيقة الأمر أنه لا يوجد نص، ما يوجد هو "بين- نص" فقط، ذلك الكائن المتغير والمراوغ الذي ينتجه الحوار بين المنتج الأول والقارئ...<sup>1</sup> وعلى هذا الأساس تتداخل النصوص لتشكل نسيجاً من الآثار والأفكار التي تشير إلى لا نهائية الدلالة و مراوغة المعنى.

انهارت، إذن، بظهور التفكيكية كل التصورات التقليدية للكاتب و العمل المكتوب وقوّضت العديد من المفاهيم التي كانت راسخة في الذهنية الغربية، كما دمرت التصنيفات المعروفة بين النقد و الأدب والتاريخ والفلسفة لتلتحم تحت غطاء واحد هو النص" الذي ينفجر فيما وراء المعنى المستقر والحقيقة في شكل حركة دؤوبة وجذرية من المعاني اللامتناهية، والكتابة النقدية التي كانت في السابق تحليلية ومنسجمة، أصبحت مشتتة مخلخلة بنوع من المرح والتلاعب<sup>2</sup> فبدأ الحقل التفكيكي فضاءً حيويًا لتوالد وتكاثر وتوارث النصوص، وانطلق أنصاره يتحدثون عن شبكة نصية تناسلية لا تتشأ إلا داخل حقل من الخطابات، ذلك أن" كل خطاب ظاهر- و القول لميشال فوكو- ينطلق سرا و خفية من شيء ما تم قوله، وهذا الما سبق قوله ليس مجرد جملة تم التلفظ بها، أو مجرد نص سبقت كتابته بل هو شيء( لم يقل أبدا)، إنه خطاب بلا نص، و صوت هامس، همس النسمة، وكتابة ليست سوى باطن نفسها (...)، فالخطاب الظاهر ليس في نهاية المطاف سوى الحضور المانع لما لا يقوله، و هذا الما لا يقال هو باطن يلغم، و من الداخل، كل ما يقال"<sup>3</sup>، ما يعني أن كل عمل فني أو إبداعي يخلق انطلاقاً من أعمال أخرى، وما ينفي وجود نص خال من آثار الملامسات النصية، فهو جمع بصيغة المفرد، يمنح النص صفة الإنتاجية الدائمة، و يمنع عنه البحث عن المعنى الواحد.

<sup>1</sup> عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة، ص262.

<sup>2</sup> مادان ساروب: دليل تمهيدي إلى ما بعد البنيوية، ص79.

<sup>3</sup> ميشال فوكو: حفريات المعرفة، ترجمة: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء، دط، ص25.

تأسيساً لما سبق، تتضح صورة التناص للتفكيكين الذين يفكرون في وجود نص مستقل بذاته، فكل نص يتحرك ضمن معطى لغوي موروث و سابق لوجوده أصلاً وكل كتابة هي تأسيس على أنقاض كتابة أخرى، فالنص مجال لتقاطع العلامات والشفرات ضمن علاقة تحاور وتبادل، تلغي الأسوار الحدودية بين النصوص وآثارها، فإذا كانت الكتابة تنويحاً على رجوع صدى منبعث من مصادر صوتية متداخلة فإن الأثر هو عين هذه الأصوات، و إذا كانت كل كتابة تتكئ على ( أثر قرائي) سابق، فإن التفكيكية تنفي وجود "أثر أصل"<sup>1</sup> وبالتالي تنفي وجود النص النواة، و بهذا لا تعترف التفكيكية بوجود مرجع، لأن هذا الأخير لن يكون في نهاية المطاف إلا نصاً آخر لنص سبقه، وكما تدل الدوال على دوال أخرى، فإن النصوص بالمثل لا يمكن أن تدل إلا على نصوص أخرى محدثة شبكة تقاطعية تكبر باستمرار تسمى "ما بين النصوصية" أو "التداخل النصوي" أو التناص. هناك تكاثر من حيث عدد التأويلات ولا يمكن لأي منها أن يكون التأويل النهائي الحق".<sup>2</sup>

يبين دريدا، إذن، أن طبيعة تكاثر القراءات والتأويلات توصلنا في النهاية إلى معنى غير قابل للتحديد، فتحديده سيعني التناقض مع أكبر مبدأ تفكيكي و الوقوع في أحادية المركز/المعنى/ الحقيقة، ليؤكد دريدا بذلك أن التفكيك نشاط قرائي يقرأ النصوص بطريقة مختلفة، و يعيد بناء اللغة من خلال الهدم ثم إعادة البناء على النحو المغاير حيث تتجسد لا نهائية اللغة وتعددتها وتشتيتها ضمن فلك اللغة أو محيط النص الذي تتشكل فيه

<sup>1</sup> - يوسف و غليسي: النقد الجزائري المعاصر - من اللاتسونية إلى الأسنوية، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2002، ص 158.

<sup>2</sup> - مادان ساروب: دليل تمهيدي إلى ما بعد البنيوية، ص 77.

الشفرات والدوال والوظائف والعلائق أين" تتموضع الذات وتتحل مثل عنكبوت تهلك في خيوطها".<sup>1</sup>

ليبقى النص مجالاً للالتقاء خطابيين في علاقة تحاورية، تجعل الواحد يذوب في الآخر، مشكلاً كتابة أخرى، كتابة ثانية على أنقاض الأولى، كتابة ثانية تقول ما سكنت عنه الأولى من غير أن تتقوّل عليها، ذلك أنها تموضعت في منطقة الغياب و بحثت بين شقوقه عن المسكوت عنه و اللامقول، لان هذه "الكتابة/ القراءة، تسعى إلى تكثير النص عن طريق النصوص التي تداخل معها واحتفظ بها في بنيته الغائبة، أو عن طريق جعله قابلاً للتداخل مع نصوص أخرى، ربما تكون في مولدها قد جاءت بعده، وتسمح شقوقه وبياضاته وفراغاته باستقبالها"<sup>2</sup>، مقتفيه في ذلك اختلافاً ما، أثراً ما، بل "فضاءً تلتقي فيه و تتماس نصوص لا نهاية لاتساعها، كل نص يحتل مكاناً في هذا الفضاء مثلما يحتل كل حجر مكاناً في بناء هرمي منظم، و تتغير وظيفته الجديدة وأنماط التفكير الحادثة"<sup>3</sup> فيظل النص دوماً و أبداً، بداية لبدايات تبقى بدايات، ونهاية لنهايات لا تنتهي، فلم يعد النص كما عرفناه منذ الستينات النص التقليدي البنيوي المغلق/ النهائي، كما لم يعد " النص الآن جسماً كتابياً مكتملاً، أو مضموناً يحده كتاب أو هامش، بل شبكة مختلفة نسيج من الآثار التي تشير بصورة لا نهائية إلى أشياء ما غير نفسها إلى آثار اختلافات أخرى، وهكذا يجتاح النص كل الحدود المعينة له حتى الآن إنه لا يقوم بدفعها إلى القاع أو إغراقها بتجانس لا يعرف الاختلاف، بل يجعلها أكثر تعقيداً".<sup>4</sup> ويضل النص مدوياً

<sup>1</sup> - عمر أوكان: لذة النص (أو مغايرة الكتابة لدى بارت)، ص 31.

<sup>2</sup> - منذر عياشي: الكتابة الثانية و فاتحة المتعة، ص 145.

<sup>3</sup> - محمد الناصر العجيمي: النقد العربي الحديث و مدارس النقد الغربية، أطروحة دكتوراه، دار محمد علي الحامي تونس، ط 1، 1998، ص 86.

<sup>4</sup> - عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة، ص 367.

يصل مداه من الخطاب النقدي العربي القديم إلى الجديد، وسط تخوم لا مستقر لها وترجمات متباينة لا فاصل يحكمها، " فقد لهج بها محمد بنيس في كثير من ممارساته النقدية (البنوية التكوينية)، وخصّها أنور المرتجي بقسط وافر من (سيميائية النص الأدبي) وكذلك فعل حسين خمري في أطروحته (نظرية النص في النقد المعاصر مقارنة سيميائية) ومحمد مفتاح الذي خصص الجزء الأكبر من كتابه السيميائي (تحليل الخطاب الشعري- إستراتيجية التناص)، وأنفق نور الدين السد جهدا عزيزا من كتابه الأسلوبي

( الأسلوبية و تحليل الخطاب-ج2) واحتلت سدس كتاب الغدامي التفكيكي (الخطيئة و التفكير)، وكذلك لم يهملها عبد المالك مرتاض في معالجته السيميائية التفكيكية ضمن ( تحليل الخطاب السردي)<sup>1</sup> وغيرهم من النقاد العرب الذين عدوا التناص نقدا لا بنائيا، تفكيكا، يعكس الصراع والتحول الثقافي الغربي القائم على أنقاض البنيوية. ويمكن في الأخير أن ندرج جملة من النتائج الملخصة لما سبق ذكره و التي تربط مبدأ الاختلاف بانفتاح النصوص و تداخلها :

-الاختلاف يؤسس لنص جديد، هو نص الاختلاف، نص اللاتمرکز واللاتحديد والانغلاق، نص التكثيف والتشظي والتناسل الدائم، نص التعددية القرائية، المفتوح/ المتغير/ المتجدد باستمرار.

- النص مجموعة من النصوص الاختلافية وفقا لقانون الأثر، فكل نص مختلف وخارج عن الدائرة المطلقة للتطابق.

- النص لا يشكل وحدة ذات هوية زمانية محددة، إنما هو عبارة عن طبقات من الآثار لدوال ولمدلولات لا منتهية، يكون فيها كل عنصر حامل لعنصر سابق أو لاحق له ويكون المعنى مغايرا ومختلفا لذاته بفعل تأثير النظم و التركيب.

<sup>1</sup>- يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح ، ص413.

- النص نسيج من العلاقات الاختلافية تجمعها بنصوص أخرى داخله، تتحول إلى نص آخر، فلا وجود إلا للاختلاف ولآثار الآثار.
- التناص أو السلسلة النصية في النموذج التفكيكي اختلاف عن النظام البنيوي السابق القائم على نسقية وانغلاقية النص، فالتفكيك تحدث عن النص فضاء حيويًا لتوالد وتكاثر وتوارث النصوص التي تشكل شبكة نصية تناسلية لا تنشأ إلا داخل حقل من الخطابات المختلفة. كل هذا وفق قانون المغايرة ووفقا لتشتيت اللغة المنتج للسلسلة النصية.
- "التشتيت التفكيكي" يختلف عن "التعدد الدلالي" عند البنيوية، هذا الأخير يعد أصلا لتوالد الدلالات، بينما التشتيت ينفي ذاته عبر تكاثر عناصره البنائية ليمنع النص من الانغلاق، فكل عنصر بنائي هو أثر لعنصر سابق أو لاحق ضمن سلسلة نصية مفتوحة.

# الفصل الثالث

## أثر التفكيك في النقد الحديث

- المبحث الأول: ثقافة الاختلاف
- المبحث الثاني: التفكيك في النقد الغربي
- المبحث الثالث: التفكيك في النقد العربي

المبحث الأول: ثقافة الاختلاف.

أولاً: جدل الأنا والآخر

انطلاقاً من مبدأ التفكير والاختلاف الديردي القائم على تفويض كل مركز (العقل/ الحضور/ الأنا/ الصوت...)، بدأ دريدا مشروع "الضد مركزي" لتفويض مبدأ المماثلة مع الميتافيزيقا الغربية التي أقصت كل ما له علاقة بالعقل والوجود وتمركزت رؤاه حول هذه المفاهيم المختلفة، أين أضحي التراث/ التاريخ بكل ما يحمل من أصالة وقدسية وبعد أن كان انعكاساً للأنا ومرآة للثابت، قابلاً للتفويض والهدم والإطاحة.

فإذا كان هذا حال فلسفة غربية المنطلقات والمبادئ، فكيف هو حال الفكر والنص العربي الذي لامسته عدوى هذه الإشكالات الفلسفية وأوقعته في مخاض عسير؟ بسبب سؤالها الإشكالي الذي لازم الفكر العربي؛ سؤال الاختلاف مع الآخر، سؤال من لدن الوعي والواقع، من عمق الحاضر المعبأ بعقد النقص التي تعتري الفكر العربي، وعقد التفوق والتضخم الأنوي في الفكر الغربي.

" فحتى وقت غير بعيد كان يبدو لنا من المشروع التساؤل عما يميزنا ويحددنا، عما ومن يطابقنا، ما ومن يخالفنا؟ كنا نحاول تحديد ذواتنا فردياً وقومياً داخل عالم محدد المعالم، كنا نبحث عن مكان في رقعة مرسومة، مبوبة، رقعة "معقولة" فكان من السهل علينا أن نتخذ مكاناً فيها: فكنا شرق - غرب، أو جنوب - شمال أو ثالث اثنين، أما اليوم فإننا نتساءل عن الحدود في عالم بلا حدود، ونبحث عن مرجعيات في فضاء بلا مرجعيات... إن ما يميز عالم اليوم، أي العالم، وقد اكتسحته التقنية هو غياب الاختلاف أي سيادة التتميط والأحادية"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - عبد السلام بنعبد العالي: لعقلانية ساخرة، ص 39.

إن الخروج من دائرة التتميط المغلقة التي تجمع بين الأنا والآخر لا يتأتى إلا بالقضاء على العقدة الثلاثية التي لازمت النقد والفكر العربي وهي "كان"، "يجب"، "سنفعل".

"ف" "كان" يعني بالضرورة وهم الاطاحة المعرفية بالماضي، أما "يجب" فإنها اللحظة تفقد راهينيتها تماما، وأما "سنفعل" فإنه علامة إرادة بلا أفق، حلم مهزوز نستيقظ منه في كل مرة ولا نمسك عند محاولة تذكره إلا بالكل المجرد الذي لا يعني شيئا محددًا<sup>1</sup> هذه الأفعال رغم سلبيتها كانت دافعا أمام إنبثاق جملة من الأسئلة حول الأنا والآخر، حول التجاوز و الهوية، "فأما سؤال التجاوز لوضعنا الراهن فمتصل بنا وبالأخر فينا...كيف نقاوم فينا هوس الفرار إلى الماضي في كل ما نفعل؟، كيف نعيد للآخر الغربي حضوره الفاعل فينا بعيدا عن فكر المركزية فيه و العنصرية ونبذ الشعوب الأخرى ونهبها والتخطيط لتحويلها ومحاربتها؟، كيف نقتم بفكر الاختلاف الجنيني فينا عصر الفعل الحضاري والمستقبلي ونربط أسئلتنا بالممارسة و الفائدة في مدلولها الواسع"<sup>2</sup>، وأما سؤال الهوية فبدأ منذ بلغت أطماع الغرب حد الرغبة في إختراق الشعوب وتذويبها . فكيف يؤسس الفكر العربي للاختلاف مع الآخر؟ والخروج من وهم المطابقة والتتميط؟..

وجب علينا، إذن، البحث عن هذا الاختلاف الغائب، من أجل مجاوزة تلك النمطية والمماثلة، هذا الاختلاف الذي لا يمكن الحديث عنه، والقبض على دلالاته إلا ضمن "جدلية الأنا والآخر" التي شكلت ممارسة فكرية نقدية وفلسفية عبر الزمن، تسعى لتحرير الذات من أوهام التمركز، والتفوق والأفضلية عبر نقدها من أصولها، وفك الالتباس الناشئ من علاقة غير صحيحة مع الآخر.

<sup>1</sup> - مصطفى الكيلاني : وعي اللحظة الراهنة في منظور "النحن"، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 90. 91، 1991، ص

. 52

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 55 .

لأجل هذا، جاءت الدعوة للاختلاف بديلاً عن المطابقة التي أصبحت لصيقة بالثقافة العربية الحديثة، الاختلاف دون الوقوع في العزلة والانقطاع عن الآخر، أو الوقوع في بئر الاعتصام بالذات وبنرجسيتها، "إنما اختلاف بيث الحيوية والضرورة في كل العوامل التي تشكل عناصر التكوين الذاتي للهوية، اختلاف نقدي يضع الحوار محل السجال، والتفاعل الخصب محل الانغلاق، والتأثر الشفاف محل التمرکز الكثيف"<sup>1</sup>. هكذا تتراسل العلاقة بين الأنا والآخر، بعيداً عن مبدأ التفاضل، وحمى التفوق ومرضية القصور، وبعيداً عن وهم المماثلة ورعب الانعزال، إنما الاختلاف مع الآخر، بوجهيه (التراث/ الغرب) الذي يؤسس لمعرفة حقة بالذات والكشف عن ماهيتها.

"إن مفهوم الآخر" ينطوي في الغالب على فهم جوهري للذات، أي أن الذات وهي تحدد آخرها ترى نفسها هي الأساس الذي تصدر عنه المعايير التي يمكن من خلالها تحديد من هو "الآخر" موقع ذلك في سلم القيم، فإن تحديد الآخر يتضمن موقفاً أخلاقياً ينضم إلى الموقف المعرفي"<sup>2</sup>.

وفي مقابل هذا يكون هذا الآخر مرآة ترى فيها الذات نفسها بجلاء، ذلك أن اكتشاف الذات مرهون بالآخر، "فالاعتصام بالذات يحول دون كشفها، وهو يماثل خطورة التماهي الأعمى بالآخر، ونسيان الذات، فالتواصل يضيف خصوصية وتمايزاً على الذات والآخر بما يجعل الذات والآخر على حد سواء حلة تاريخية متحولة بشكل دائم"<sup>3</sup>. فلا التشبث بالذات يخرجها من حالة التأزم والركود، ولا الارتفاء في أحضان الآخر يكسبها حضارة وتقدماً

<sup>1</sup> - عبد الله إبراهيم: المركزية الغربية، ص 36.

<sup>2</sup> - سعد البازعي: الاختلاف الثقافي وثقافة الاختلاف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ بيروت، ط 1، 2008، ص 36.

<sup>3</sup> - عبد الله إبراهيم: المركزية الإسلامية، صورة الآخر في المخيال الإسلامي خلال القرون الوسطى، المركز الثقافي العربي، بيروت/ الدار البيضاء، ط 1، 2001، ص 125.

إنما الحوار بين الأنا الحاضرة مع ذاتها القديمة (التراث)، وفتح باب المثاقفة مع الآخر (الغرب)، هو الذي يساهم في دفع حركة الذات إلى الأمام، فكيف يتحقق هذا الاختلاف؟

ثانياً: نحو الاختلاف مع الآخر (التراث/الغرب)

لقد حاول العرب تأسيس حداثة عربية تمثل الوجهة الفكرية لهم، وتبرر مقدرتهم على الخلق والإبداع، إلا أنهم وجدوا أنفسهم أمام معادلة خطيرة وشرط حاسم يفرض عليهم قطيعة معرفية مع التراث واستبدال الماضي من أجل قفزة كبيرة نحو عالم أكثر تفتحاً، وذلك يتمثل حسب أنصار "الاختلاف عن التراث"، في تجاوز هذا الأخير على اعتبار أنه ضرب من الميتافيزيقا التي تعثرهم وتمنعهم من بلوغ ما بلغه الغرب في مقابل فئة أخرى تنظر لهذا الآخر باعتباره المقدس/الأصل/التاريخ وترفض وضعه تحت الاختبار، لتبدأ هنا معالم صراع مختلف في الثقافة العربية هو الصراع مع الآخر/التراث، هذا الأخير الذي يمثل تاريخ البشر كما يقول جورج بالان نديه " يشبه إلى حد ما تاريخ الكرة الأرضية، الذي ينتج طبقات جيولوجية مترابطة فوق بعضها بعضاً صحيح أن تاريخ البشر يتحرك ويتغير بسرعة أكبر، ولكنه يولد هو الآخر طبقات سميكة، ينبغي أن تكشفها العلوم الاجتماعية<sup>1</sup>، فالتراث هو تلك التراكمات التاريخية التي تترسب فوق بعضها، فتكون لنا هذا التاريخ الكبير والرصيد المعبأ الذي يؤرخ للحياة وللحياة وللحياة والأدب.

لكن " قد يكون لأمة ما أعظم تراث في البشرية، ومع ذلك لا يحول ولا يقدر أن يحول دون انحطاطها إلى مستوى الأمم العادية، أو دون العادية، وقد لا يكون لأمة ما، في الأصل أي تراث، لكنها سرعان ما تنشئ تراثاً في مستوى الأمم المتفوقة، فالتراث بهذا المعنى، مادة حيادية، لا تهجم أو تتراجع أعني لا تتحرك إلا بين يدي المبدع، ولهذا لكل

<sup>1</sup> - فارح مسرحي: الحداثة في فكر محمد أركون (مقاربة أولية)، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط1 ص91.

مبدع تراثه الخاص ضمن التراث<sup>1</sup> " الذي يأخذ في أحيان كثيرة معناه العقدي/ الثابت، فيما يأخذ في أحيان أخرى بعدا أكبر، بوصفه الأساس والمنطلق الأوحد لتأسيس الحداثة، وما اعتبره عائقا إبستيمولوجيا- كما يرى البعض- إلا وهما يؤكد الفهم الأسطوري للتراث، والذي وجب تجاوزه إلى فهم أكثر حداثة ورؤية أكثر عصريّة، فالحداثة كنمط للاختلاف، يقول الجابري: " لا تعني رفض التراث ولا القطيعة مع الماضي بقدر ما تعني الارتفاع بطريقة التعامل مع التراث إلى مستوى ما أسميه بالمعاصرة، وأعني مواكبة التقدم الحاصل على الصعيد العالمي"<sup>2</sup>، فعملية الكشف عن التراث غوص في أعماقه، ورحلة في مجاهيله، نبدأ منه لنصل إلى بناء الذات بناء مؤسسا/ ثابتا جذوره ضاربة في عمق التاريخ التراثي.

والمشكلة - إذ ذاك- لا تكمن في طبيعة التراث بل تكمن في الجهل به، وعدم الإدراك الحقيقي له وكذا الافتقار إلى الآليات والأدوات التي تقرؤه، قديما قيل " من جهل الشيء عاداه"، وهذا ما منع المفكر العربي من اكتشاف حقيقة وقيمة هذا الآخر/ التراث الذي يؤهله للتعامل مع الآخر/ الغربي فيما بعد، فلا بد إذن أن نتحدث أولا عن الأنا في المرآة المزدوجة بين الماضي والمستقبل، وأن نوجه لها أصابع النقد قبل الولوج إلى عالم الآخر، وأن نأخذ بعين الاعتبار ما قاله الجابري "إن نقدنا الأنا يتطلب نقد الآخر الذي لا يكون جذريا، إلا إذا كان أولا وقبل كل شيء نقدا لصورته في الأنا الناقدة"<sup>3</sup>.

ولكن كيف يتم التعامل مع الآخر/ الغربي، ونحن ما زلنا لا نحسن التعامل مع الأنا/ الحاضر؟ كيف يتم التعامل مع عطاءات الآخر في وقت ما زلنا نناقش فيه قضايا الهوية

<sup>1</sup> -أدونيس: الثابت والمتحول، بحث في الإبداع والإبداع عند العرب، الجزء1، الأصول، دار الفكر ، لبنان، ط8 ، 2002، ص104.

<sup>2</sup> - محمد عابد الجابري: التراث والحداثة (دراسات ومناقشات)، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، ط1 1991، ص ص 15- 16.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه ، ص11.

المفقودة؟ ماذا يفعل المفكر العربي الذي يستبد به الأخذ ويمنع عنه العطاء؟ إما أن يأخذ من الغرب، وإما أن يحاكي التراث ويبكي الأطلال، فتراه أحد رجلين «فإما ناقل لفكر غربي، وإما ناشر لفكر عربي قديم، فلا النقل في الحالة الأولى، ولا النشر في الحالة الثانية يصنع مفكراً عربياً معاصراً، لأننا في الحالة الأولى سنفقد عنصر العربي، وفي الحالة الثانية سنفقد عنصر المعاصرة، والمطلوب هو أن نستوحي لنخلق الجديد سواء عبرنا المكان لننقل عن الغرب، أو عبرنا الزمان لننشر عن العرب الأقدمين<sup>1</sup>» لكن المهم أن لا نتأرجح بين هذا وذاك تحت وهم اسمه الاختلاف لمجرد الاختلاف. بل نقصد الاختلاف الذي يسهم في بث الحيوية والفاعلية داخل مكونات الذات، اختلاف يقود للنقد الحوارى بدل السجال، ويتجاوز التمرکز والتتميط والتفوق ويدعو إلى التفاعل والانفتاح ونبذ التعصب والانغلاق.

إنه اختلاف قائم على التواصل/التحاور، لا القطيعة والانفصال، اختلاف يعكس مظاهر الثقافة والتفكير السليم، لذلك كان: "أن نفكر معناه أن نبدع ونختلف، أن نخرج من قوقعة الأنا ونستيقظ من أشكال السبات، أن نكسر القوالب والأنساق لتغيير شرط المعرفة، أن نفتح أسئلة الحقيقة على مناطق جديدة، وأن نحسن صوغ الإشكاليات المتعلقة، بما ننشئه من خطابات أو ننخرط فيه من تجارب وممارسات، وتلك هي رهانات الفكر<sup>2</sup>."

إنه اختلاف يفتح آفاق الحرية دون التخوف من الانفصال عن الماضي والتوجس من التماثل مع الآخر/ الغربي الذي يخشى بدوره المماثلة والائتلاف مع الميتافيزيقا ويحاول جاهدا إسقاط مبدأ المطابقة، والبحث في مناطق الغياب/الهامش/اللامعقول، المسكوت عنه.

1 - عبد السلام المسدي: التراث والمعاصرة، مجلة أقلام، وزارة الثقافة، بغداد، العدد 4، السنة 14، ص 07.

2 - علي حرب: أسئلة الحقيقة ورهانات الفكر، مقاربات نقدية وسجالية، دار الطليعة، بيروت، د ط، 1994 ص 11.

إنه البحث في منطقة الآخر، ذلك من يمثل قدرنا، نهرب منه ونلتقي به في النهاية وهو الهروب منه إليه في الآن نفسه، حيث لم يعد هناك في حقيقة الأمر مفر أو مهرب من الاتصال بالآخر، فكل واحد فينا يسكنه هاجس الآخر، سواء كان الآخر الغربي/السياسي، الذكوري/الأنثوي...، آخر يلتصق بالأنثى وبمزقتها، فهي «ليست وحدة إلا ظاهريا، إنما عميقا تمزق وانشقاق، والآخر نفسه مقيم (سلبا أو إيجابا) في قرارات "الأنا" لهذا لا فصل دون وصل، لا "أنا" دون "الآخر والهوية" الحية، البصيرة (أو غير العمياء كما يعبر عنها عبد الكبير الخطيبي)، هي هذا التوتر العلائقي الخصب الملتبس بين الأنا والآخر، دون ذلك تكون الهوية هوية للحجر والشيء، لا هوية الإنسان والوعي"<sup>1</sup>، إذن فهناك علاقة حتمية تدخلها الأنا مع الآخر مهما اختلف عنها.

لقد أضحت إشكالية "الاختلاف" منبرا خاصا للخوض في ثنائية (الأنا والآخر) في عالم أصبح فيه التكامل والتناقص من ضرورات الحياة، وعليه فلا بد من مساءلة واستتطاق هذا الخطاب الأخرى/المختلف للنش في اللا مفكر فيه، وتحديد طبيعة هذه العلاقة بين "الأنا" و"الآخر" بين الحضور والغياب بين "المركز" و"الهامش" وبين "المقول" و"اللامقول".

إن هذا الاختلاف في نسخته الدريدية دعوة لإسقاط الجاهزية، وبسط سطوته لإلغاء المتعالي/الميتافيزيقي/المرجعي، أما الاختلاف مع الآخر المرتبط بـ "الأنا" فلا يقصد قطيعة مع الآخر، والاستهانة به، واختزاله على مكون هامشي، ذلك أن القطيعة لن تحقق إلا العزلة والانغلاق، والاعتصام بالذات ومطابقتها على نحو نرجسي مرضي، لا يمكنها أبدا من أن تتشكل على نحو سليم ومتفاعل ومتطور، إن الأمر يوجب تنمية عوامل اختلاف جوهرية واعية وجديدة تعمل على تغذية "الذات الثقافية" بطابعها المنشغل بوقائعه

<sup>1</sup> - أبو نيس: (الثابت والمتحول) بحث في الإلتباع والإبداع عند العرب، الأصول، ص 27.

وموضوعاته المتصلة بالبعد التاريخي لتلك الذات<sup>1</sup>، ويقصد بذلك الاختلاف المتكافئ القائم على المساءلة والاستنطاق المعرفي، الاختلاف الفاعل والفعال المقترن بوعي الاختلاف وضرورته، والمدرک لخطورة الامتثال والخضوع.

### المبحث الثاني: التفكيك في النقد الغربي

#### أولاً : التفكيك في الولايات المتحدة الأمريكية (جماعة بيل)

وسط الانغلاق النصي الذي نادى به البنيوية، وقهرها للمتلقى كذات مبدعة ومع خروج النقد الجديد من الساحة النقدية، كان المناخ ملائماً لبروز التفكيك في الولايات المتحدة الأمريكية ورواجه المتزايد عكس ما حصل في النسخة الأوروبية غير المتجانسة. لقد عرف التفكيك في أمريكا الشمالية انتشاراً واسعاً، ظهر من خلال جماعة بيل، التي تظم مجموعة من النقاد ذوي مواهب وتكوينات مختلفة تعرض للقضايا النقدية، كنظرية القراءة، والنقد النسائي، والنقد المابعد بنيوي... وبرز في المدرسة أربعة نقاد مثلوا التفكيك الأمريكي، وناقشوا أطروحاته على اختلاف وجهات نظرهم، وهؤلاء هم: بول دي مان Paul de Man، هارولد بلوم Harold Bloom، جيوفري هارتمان Geoffrey Hartman، وهيليس ميللر J-Hillis Miller، وتعود التفكيكية الأمريكية للنقد الأمريكي الجديد الذي طوره مؤلفون مثل: جون كرووراسنوم إليوت، آلان تيت، بروكس، روبرت بن وارن... وليس إلى دريدا التفكيكي، وهذا ما يؤكد آرث بيرمان Art Berman في بداية فصل مشوق عن التفكيك في أمريكا: "... إن التفكيك في أمريكا ليس في حقيقة الأمر، ما بعد بنيوية فرنسية، إنه استخدام لما بعد بنيوية تعتبر استمراراً لحركة في التاريخ الأمريكي، بدأها النقاد الجدد مع تغيرات مهمة بالطبع.. ومن الخطأ القول بأن هؤلاء النقاد مروا بعملية تحول دريدي، قاموا بعده بالتكسر لمواقفهم السابقة من أجل

<sup>1</sup> - عبد الله إبراهيم: المركزية الغربية، ص 06.

دعوة لما بعد بنويوية فرنسية<sup>1</sup> ومن هذا المنطلق الاختلافي لتفكيكي أمريكا، الذين يرجعون أفكارهم للنقد الجديد، فإن تفسيرهم وتحليلهم للنصوص لا يختلف هو الآخر عما قدمه هؤلاء، كما لا تختلف نظرتهم للغة، التي بدت أكثر إحكاما وتقليدا منها في النسخة الفرنسية التي تميل للغموض واللعب الحر والتشردم.

لم يكن هذا الاختلاف بين المدرسة الأمريكية والأوربية، وليد رفض لكل دخيل عن الأطر الأمريكية، أو لكل مستورد أوروبي، لكنه اختلاف من لدن الذات الأمريكية التي تميل للحرية والاستقلالية، وتنزع لتأكيد الذات الديكارتية، فإذا كانت الذات في إطار حضورها أو غيابها، إثباتها أو نفيها، أحد أهم محاور الاختلاف الفلسفي لاسيما الفكر التفكيكي، وإذا كان النقاد الفرنسيون "خاصة علماء اللغة مثل شتراوس وبارت ولاكان وفوكو والتوسير ثم دريدا، يركزون على مناقشة تركيب العقل البشري وهم بذلك التركيز - على العقل البشري - لا يتجهون إلى تأكيد الذات، أو الحفاظ عليها حرة مستقلة، بل إنهم في حقيقة الأمر ينفون وجود الذات كنقطة انطلاق"<sup>2</sup>، فإن المدرسة الأمريكية - على العكس من ذلك - تؤكد حضورها واستقلاليتها، ولقد وجد الوسط الأمريكي في دعاوى التفكيك المرفوقة بالكثير من المبالغات الميلودرامية، والصخب والتمرد ضد كل مركز، إشباعا لمزاجه الرفض/المتغير/ الشبيه برفض النقاد الجدد - الصريح - لمعطيات المذهب الرومنسي في الأدب، والتي لا تخلو من حنين خفي لها، لعل هذا التزاوج والتقارب بين النقاد الجدد وتفكيكي أمريكا كان عاملا في زيادة شعبية التفكيك ورواجه، وفي مقابل هذا، وجدت تفكيكية دريدا في التركيبية الأمريكية المتمردة، فضاء خصبا لتجذر أفكارها، ورواج مطالبها، وهذا ما يفسر هجرة دريدا للولايات المتحدة بعد تذبذب ثورة التفكيك في فرنسا.

<sup>1</sup> - عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة، ص ص 71، 72 .

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 80 .

وعلى غرار النقد الجديد، حدد ممثلوا التفكيك الأمريكي رؤيتهم للنص الأدبي "... إذ يهملون السياق السيربي النفسي والاجتماعي والتاريخي، ويعطون الأولوية لما كان يسميه النقاد الجدد **close reading**، أو قراءة النص بوصفه نصا. لكن خلافاً للنقاد الجدد في الزمن السابق، لا يقرأ أصدقاء دريدا الأمريكيون لكي يكشفوا التجانس الصوتي والنحوي والدلالي الخاص بالنص، إنهم يبحثون بالأحرى عن اجتماعات الأضداد، المتعذر تبسيطها، فيه، وعن تناقضاته ومآزقه المنطقية<sup>1</sup> إلا أن هذا لا ينفي - رغم ارتكازهم جميعاً على النقد الجديد، ورغم الصداقة التي جمعتهم - اختلاف تأثيرهم بالتفكيك عند دريدا وتباين مواقفهم حول مقولاته ومعطياته. حيث يقول هارتمان في كتابه **Deconstruction and criticism**: "إن دريدا و دي مان وميللر، هم بالتأكيد مفكرون من نوع الأفعى القوية الماحقة، عديمو الرحمة، ويفضي بعضهم إلى بعض، ولو أن كلا منهم يستمتع بأسلوبه في فضح "هاوية" الكلمات مرة بعد مرة، أما بلوم وهارتمان فهما تفكيكيان بالكاد".<sup>2</sup>

وتأثراً بدريدا يؤكد بول دي مان أن النقاد محكومون عند الحديث عن ترجمة التفكيك إلى تفكيك الترجمة التي تشكل عملية لا تنتهي من لعبة الدوال التي لا تحيل إلى دلالات مستقرة، كما أن "التفكيكية تهدف دائماً إلى كشف وجود تمفصلات و تشذرات مخفية في جملات (totalités) أحادية، monadique مزعومة"<sup>3</sup>، وفي هذا إشارة للبحث داخل النص عن آخريته، وعن مناطق الغياب فيه، وهذا إضافة لرفضه الحدود النوعية الفاصلة التي تفرضها مؤسسة النص، وهو المطلب ذاته، الذي ألح عليه دريدا في إطار تلاحم الأجناس الأدبية وإسقاط الفوارق بينها.

<sup>1</sup> - بيار زيبا: التفكيكية، ص 105.

<sup>2</sup> - رمان سلدان: موسوعة كومبريدج، ص 292.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ليؤكد في موضع آخر على أن النص حصيلة تضادات وثنائيات، فبمقدار ما تسمح التعارضات الثنائية بالتأليف وتستدعيه، تكون البنى التفاضلية الأكثر خداعاً<sup>1</sup> وفي هذا إلماح للتعارضات الدريدية والاختلافات التي تفتح النص على لعبة دلالية مليئة بالحيل الخادعة، ليكون بول دي مان أقرب نقاد جماعة ييل لأفكار دريدا، لاسيما ميله للأصول الهيدغرية والنيتشوية، حيث تبنى تفكير ونقد الفلسفة بواسطة البلاغة بعيداً عن السياقات التاريخية والميتافيزيقية، وناقض الفكر والديالكتيك الهيجلي ما جعل وليام راي يصف دي مان بالعدمية وبهدم التأويل "وأن بحثه عن المعنى يتجه دائماً إلى الحديث عن المفارقة، التي تعني تأجيل المعنى بين هويتين: هوية الناص الحامل، وهوية النص المحمول، ويؤكد راي أن العدمية عند دي مان هي سلاح نقدي يستخدمه ضد تجريد الناقد من حقوقه التأويلية"<sup>2</sup>.

و بهذا يستعير دي مان من دريدا فكرة الهدم و التقويض، ومن النقد الجديد الوسيلة، وهي الـ close reading، التي يحولها لآلة تفكير تخرب التماسك النصي خلافاً لمحافظة النقاد الجدد عليه، ورغم اتفاقه مع دريدا حول انفتاح النص على أفق لا متناهية، و تفكيكه لنفسه بنفسه، "ذلك أن لغتنا التي تتظاهر بأنها أحادية المعنى، لا تقدر على تحقيق هذه الأحادية، أما القراءة المغلقة لأي نص كان، تكشف عن إخفاقه في الوصول إلى غايته المرجوة، إذ هناك تناقض مثبت بين الشكل والقصد"<sup>3</sup>، إلا أن بول دي مان يناقض دريدا في قوله أن كل النصوص، بما فيها الأدب، مرتبطة بنقائص الفلسفة والميتافيزيقا وجانبه الإبداعي لا يلغي ميتافيزيقاها التاريخية، فهو يستثني الأدب، ويخلصه من اتهام دريدا.

<sup>1</sup> - بيارزيمبا: التفكيرية، ص 113.

<sup>2</sup> - وليم راي: المعنى الأدبي من الظاهرية إلى التفكيرية، ترجمة يوثيل يوسف عزيز، دار المأمون، بغداد، دط 1985، ص 208، 209.

<sup>3</sup> - رامان سلدان: موسوعة كومبريدج، ص 293.

وغير بعيد عن أفكار دريدا، ودي مان، بيرز ج. هيليس ميلر الذي يتبع أقرانه في مدرسة بيل في مسألة القراءة المغلقة أو القراءة المسيئة، وتحولها إلى آلة تفكيكية مؤثرة، وأكد ميلر أن القول بوجود جمل حاملة لدلالات معينة هو وهم ما ورائي تبناه بعض النقاد، وهم "لا يمتلك الحقيقة بإدعاءات تحويل الدلالة، وأن حضور المعنى أمر لا يمكن تصوره، وأن كل مشروع ما ورائي سيصطدم بالضرورة بالإرجاء الذي دعا إليه دريدا"<sup>1</sup> وينظر ميلر للتفكيك بوصفه تفسيراً للنصوص، حيث حاول "التفكيك قلب التراتبية المتضمنة داخل العبارات التي تم تحديد العنصر "الديالوجي" فيها، إنه يحاول أن يحدد ما هو مونولوجي (أحادية الصوت)، وما هو متمركز "لوجوسياً"، بوصفه نتيجة مستمدة مما هو ديالوجي..."<sup>2</sup> وهي إشارة تذكرنا ببحث دريدا عن سلطة الغائب ضمن ما هو حاضر، وفي كشف الصائت ضمن ما هو صامت، وفي استنزاف النصوص واستنطاقها لتخرج ما تخفيه داخلها، بل إن لغة تلك النصوص في حد ذاتها تساعد على انفتاح تلك النصوص فاللغة - عند ميلر - "أداة النقد في التدوين، وهي وسيط موجود، ويستطيع الناقد إقحام نفسه في النص، ذلك لأنهما - الناقد و النص - مخترقان بلغة مشتركة، بما في ذلك وسائل تفسيره لتلك اللغة، و إن كلماته - أي الناقد - حتى وإن كانت مبنية للمجهول، فإنها تقدم إضافة للنص الذي يفهمه"<sup>3</sup>، وهي إشارة ثانية لتفكيك دريدا، في حديثه عما سماه الإضافة أو التكملة supplément دلالة منه على اللاتناهي النصي، حيث تتوالد المعاني، وتتكاثر و تختلف في فهمها وتفسيرها .

خلافاً لميلر، يبرز جوفري هارتمان، المتشدد أكثر حول التراث الرومنطقي ويدافع ضد الميول الكلاسيكية لدى النقد الجديد، "إن هارتمان يتبنى مرارا الرومنطقيّة الألمانية، ولا

<sup>1</sup>-بيارزيم: التفكيكية ، ص ص 125، 126 .

<sup>2</sup>-رامان سلدان: موسوعة كومبريدج، ص304.

<sup>3</sup>-إبراهيم محمود خليل: النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، ص114.

سيما فريديريك شليغل الذي سعى لتطوير نقد مؤلف يجمع الفن والفلسفة<sup>1</sup>، حيث تبدو كتاباته امتدادا للكتابات التخيلية التي تشترط قارئاً ولاداً للمعارف، مكثفا للمعاني من خلال قراءته المستمرة.

وعلى غرار التفكيكين الآخرين، يلاحق هارتمان ظل هيغل ويحدد إشكاليته ضمن التعارض الموجود بين هيغل ونييتشه، حيث يلاحظ بصدد تفكيكية دريدا، أنها تتوجه في أفقين متغايرين، "الأول هو الماضي الذي يبدأ مع هيغل الذي لا يزال بيننا، والآخر هو المستقبل الذي يبدأ مع نييتشه الذي عاد إلينا، بمقدار ما اكتشفه الفكر الفرنسي الحديث".<sup>2</sup>

هذا، وقد اهتم هارتمان بالكتابة- التي أولاها دريدا أهمية بالغة- فميز بين كتابة النقد وكتابة الإبداع، لكن على نحو مقلوب و مغاير، ذلك أنه أعطى قيمة للكتابة النقدية التي لا تقل أهمية عن النص الإبداعي، هادفاً للقضاء على عقدة الإحساس بالنقص لدى المفسر اتجاه الفن، وعقدة الاستعلاء تجاه نقاد آخرين، إذ لا بد من تحدي أسبقية ما هو أدبي على النصوص النقدية الأدبية<sup>3</sup> وهو اعتراف منه بأن أعمال دريدا عن روسو لا تقل أهمية عن أعمال روسو نفسه، وأن أعمال عدد من النقاد هي بمثابة قطع أدبية رائعة، قد تتفوق على النصوص التي جاءت أصلا لنقدها و قراءتها.

ويبقى آخر فرد في جماعة بيل، وهو هارولد بلوم، الذي يلح دوما على الفرق بينه وبين التفكيكين الآخرين، وهذا لرفضه بعض النصوص والدعاوى التفكيكية المناهضة والمعادية للسامية، وقد اتجه في تفكيكيته إلى تفعيل فكرتين أساسيتين هما: فكرة التأثير بين النصوص، وفكرة إساءة القراءة أو إساءة الفهم/التحريف، "حيث التأثير الشعري يأتي دائما بوصفه تحريفا للشاعر الأول، وهو فعل تصحيح إبداعي يصبح في الحال و بالضرورة حالة

<sup>1</sup>-يار زيبا: التفكيكية، ص138.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص141.

<sup>3</sup>- خوسيه ماريا إيفانكوس: نظرية اللغة الأدبية، ص172.

عدم تفسير...<sup>1</sup> كما أن مدلول القصيدة أو النص عموماً لا يمكن أن يكون قصيدة واحدة، والنص الثاني نص جديد ليس نسخة عن النص الأول وليس تفسيراً له، ذلك أنه لا وجود للتفسيرات مع بلوم، بل هناك تحريفات وتفسيرات سيئة و هذه الأخيرة ليست مجرد قراءة مغلوبة بل هي "تكييف شخصي و متحيز يمكن تسميته بـ "الخيانة الخلاقة"، وهذه الممارسة لا واعية وإرادية في الوقت نفسه تعود حسبه إلى تراث فلسفي لاهوتي".<sup>2</sup>

تأسيساً على ما ذكر، يتضح لنا الانتشار الواسع الذي حظي به التفكيك في الشمال الأمريكي، مع جماعة ييل التي ارتكزت في منهجها النقدي على (البلاغة والقراءة) من خلال الكشف عن الحيل والخدع البلاغية داخل النص وتوسيع الدلالة وإحالتها على الغياب/التعدد/الاختلاف، إضافة إلى التركيز على القراءة من خلال الاهتمام بوعي القارئ وقصدية الناص، والدعوة إلى تأويلات لا محدودة، وممارسات لا متناهية. ومدرسة ييل وإن تباينت آراء نقادها واختلف وعيهم للإستراتيجية فجميعهم اعترف بوجود التفكيك وساهم بشكل أو بآخر في رواج أفكاره وترسيخها.

### ثانياً: آراء الاختلاف والمعارضة

تأسيساً لمبدأ الاختلاف، لا بد من الإقرار بأن الشعبية التي يتمتع بها التفكيك في الحياة الثقافية الأمريكية، لم تمنع ظهور حركات اختلاف و معارضة له، ظلت تحاول الكشف عن تناقضاته وخطورة دعاويه على المستوى الفكري والنقدي والأيدولوجي، إلى أن تراجع بعد خمسة عشر عاماً من الاكتساح، فاسحا المجال لبروز تيارات نقدية جديدة.

<sup>1</sup> - المرجع السابق ، ص 173.

<sup>2</sup> - بيار زيمبا: التفكيكية، ص 148 - 150.

اتهم معارضو التوجه ما بعد بنيوي التفكيك بالافتقار للتفكير الحواري والتاريخي، وبالتمت في المواقف، وبأسلوب السخرية الدائم، وكذا البلاهة والجهل في ما هو بدهية. إضافة لكون "دريدا وأصدقائه يظنون أنهم يميزون في كل النصوص مآزق منطقية أو آليات، ولا يبدون يدركون إلى أي حد يسقطون بناءات لما وراء مقالاتهم Métadiscours على النص المحلل، إنهم يعيدون هكذا إنتاج بعض مساوئ اللوغومركزية، على غرار الهيغلي الذي يماثل النص مع جملته، وعلى غرار البنيوي الغريماسي الذي يماثله مع مفهوم التناظرية الخاص به..<sup>1</sup> ويؤكدون على مأزقية كل النصوص التي تنتهي بتفكيك نفسها بنفسها.

يمثل هابرماس **Habermas** واحدا من أبرز النقاد الذين تصدوا لطروحات دريدا. فحاول بيان نقاط الضعف والهشاشة فيها منطلقا من المبدأ التفكيكي القائل بتجاوز الميتافيزيقا وتقويض كل شيء بما في ذلك مسكن الوجود (اللغة) وكذا القول بعلم الكتابة المناهض للميتافيزيقا ومركزية الصوت والعقل، حيث رفض هابرماس ما جاء به دريدا ونعته "بصاحب الرغبة الفوضوية" بسبب أن دريدا في مسيرته النقدية والفكرية لا ينفصل عن الإلحاح الأصولي لفلسفة الذات، ويرد على نقد دريدا لمركزية العقل مؤكدا "أن النقد الذاتي الشامل للعقل يرتبك في تناقض أدائي، وليس بإمكانه إقناع العقل المتمركز حول الذات بسلطته إلا باللجوء إلى وسائل العقل ذاتها لتقديم رؤية نقدية شاملة وموضوعية للشك في الأنظمة و القواعد".<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص ص 158، 159 .

<sup>2</sup> - يورغن هابرماس: القول الفلسفي للحدث، ترجمة فاطمة الجبوشي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط1 ص ص 285-

كما اختلف هابرماس مع دريدا في عديد النقاط ندرج أهمها ضمن الجدول الآتي:<sup>1</sup>

هابرماس	دريدا
تفكير العقل الأدا تي	تفكير المركزية الغربية من أجل التأسيس للمختلف
العقل الأدا تي نتاج العقلانية الذاتية	التمركز العقلي نتاج الميتافيزيقا الغربية الفلسفية و الدينية
الدعوة إلى عقل نقدي اتصالي في ظل الرؤية الاجتماعية الجديدة القائمة على تواصل الأفراد.	الدعوة إلى "عقل مفكك" للأنظمة و المقولات يعيد صياغتها وفقا لنظام الاختلافات .
الدعوة إلى تأسيس عقلانية نقدية مناهضة للعقل الأدا تي .	الدعوة لإرساء عقلانية جديدة "لا مركزية" عن طريق علم الكتابة .
نقد هابرماس للعقل الأدا تي يحمل بعدا سياسيا.	نقد دريدا للميتافيزيقا يحمل بعدا لاهوتيا .

وقد تحامل - على التفكير- في الأوساط الأمريكية عدد من النقاد، فقد وصف ليتش **leitch** في كتابه "النقد التفكيكي"، التفكير بأنه نظرية نص لا تهدف إلا للهدم والتخريب،"تخرب subverts كل شيء في التقاليد تقريبا، وتشكك في الأفكار الموروثة

1- ينظر: يورغن هابرماس: القول الفلسفي للحدث ، ص ص 256-258. وينظر: عبد الله إبراهيم: المركزية الغربية، ص ص 337-353 .

عن العلامة و اللغة والنص والسياق والمؤلف والقارئ ودور التاريخ وعملية التفسير وأشكال الكتابة النقدية<sup>1</sup> ما أدخلنا - حسب هوارد فلبيرن felpern - في أزمة الدراسات النقدية أين ألغيت كل الحدود، وطمست كل المبادئ والقواعد السابقة، "وتحولت إلى كرنفال تختفي فيه التقسيمات والحدود التي تميز بين الشيء وغيره إلى درجة يسود فيها الخلط، ويمنح الطلبة درجات عالية مقابل السخرية التي يتقنونها مع جهلهم بأكثر الأشياء بدهاء"<sup>2</sup>.

هذا ناهيك عن استخدامهم لمصطلحات سبقهم إليها غيرهم، لكنهم وضعوها في قوالب اصطلاحية غريبة حتى تبدوا كأنها جديدة، وهم السابقين إليها، وهذا ما حاول جون إيس John Ellis التشديد عليه من خلال كتابه: against Deconstruction الذي كشف فيه أن أصحاب التفكيك إنما حافظوا على صلاحياتهم وتواجههم من خلال خطة الترمويه عبر المصطلحات القديمة "إذ تتم صياغة الموضوعات في مصطلح جديد وغريب، مما يجعل المواقف المألوفة تبدو غير مألوفة، ومن ثم تبدو الدراسات المتصلة غير متصلة، إن الهجوم على نظرية إحالة المعنى يترجم (مع التفكيك) إلى هجوم على ميتافيزيقا الحضور"<sup>3</sup>، وبهذا يضيف التفكيك لنفسه قائمة مصطلحات خاصة به في حقيقتها هي عادية ومطرقة سلفا. وفي مقابل هذا، ظهر من النقاد من أرجع رفضه للتفكيك لانعزاله عن الممارسات السياسية والعلوم الاجتماعية، وكذا لتأثرها بالماركسية حيث أدرج ميكائيل راين في كتابه Marxism and deconstruction أربع حجج تربط بين التفكيكية والماركسية<sup>4</sup>:

1- انتقاد الميتافيزيقا الغربية.

2- مناهضة النزعة المحافظة.

<sup>1</sup>- إبراهيم محمود خليل: النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، ص 115.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه: ص 116 .

<sup>3</sup>- عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة: ص 297.

<sup>4</sup>- بيار زيما: التفكيكية، ص ص 171، 172.

3- النقد الجذري للمؤسسات الرأسمالية البطريركية.

4- تشجيع الاتجاهات المساواتية وغير التراتبية في تطور المجتمع الاشتراكي.

إلا أن الملاحظ هو أن ماركس لم ينتقد الميتافيزيقا الغربية، إنما انتقد السيطرة الطبقية في النظام الرأسمالي ما ينفي أول تماثل بينهما، كما أن مرجعيات دريدا النيتشوية والهيدغرية تختلف عن الأصول التاريخية الماركسية، كذلك فيما استهدف دريدا الذات/الهوية، نقد ماركس فكرة المجتمع الطبقي، فالماركسية مفتوحة على أبعاد اجتماعية سياسية، اقتصادية.. وجميع هذه الميادين تمثل من منظور دريدا مركزية غربية ميتافيزيقية هذا إضافة لكون الماركسية على حد قول الماركسي تيري إيغلتن "مذهب ثوري لا يمكن أن يتخلى عن فكري التنظيم والانضباط... ويأخذ على التفكيرية.. أنها تلغم هذا الأمل، حين تفتت بنقدها الجذري مفهوم الذات التاريخية القادرة وحدها على النضال".<sup>1</sup>

وفيما ربط هؤلاء مشروع دريدا بالماركسية، نقده آخرون من خلال نزعة الشك العدمية التي ورثها عن نيتشه، ما أعطاها - حسب لود فيج و يتجنسون طابعا مموها يستند لأفكار منحرفة و محدودة، "إذ الشك في منح الثقة ناجم عن معرفية زائفة... الشك ضربة للبحث المضلل عن الموثوقية بالمعاني والتفسير...<sup>2</sup> ما يلغي عن التفكير مصداقيته ووثوقيته الهاربة وراء شك عدمي زائف، واعتبر "جيرالد جراف" مجرد نصوص عبثية لا تعنى بمشاكل المجتمع الحديث، ما جعله "يهمل ببساطة - أكثر مما يفكر بعمق- المواضيع التي تثيرها التفكيرية، وخطؤه الإيمان بأن تلك المشكلات يمكن أن تستبعد بتذكرها وتبيان جذورها التاريخية، وأسباب امتلاكها لذلك التأثير"<sup>3</sup> أما "دينيس دونوية"، فرغم اختلافه مع دريدا في عدة قضايا "اتفق معه في بعضها من خلال كتابه"

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 174.

<sup>2</sup> - كريستوفر نوريس: التفكيرية (النظرية و التطبيق)، ص 132.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 134.

الشبح المهيم "1976، فيما اعتبر "موري كريجر" نفسه مسؤولاً عن النقد الجديد، وتحدى دريدا في موضوع أن الشعر يشارك في منح الحياة للحضور الذي يروغ عن حيل نصية 1979".<sup>1</sup>

وتواصل التحامل على التفكير بوصفه بعيداً عن المستوى السوسولوجي والمؤسساتي، وعن انشغالات المجتمع، غارقاً في الميتافيزيقيات والماورائيات وهو رأي عالم الاجتماع "بيير بورديو" الذي رأى أن التفكيرية تجهل أنها يجب أن تتموضع اجتماعياً، وحدد المشكلة في أن "الأدوات النقدية البلاغية التي تملكها التفكيرية في الوضع الراهن لا تسمح لها بالتفكير في السياق الاجتماعي والاقتصادي الذي تعمل فيه".<sup>2</sup>

ورغم كل هذه الانتقادات التي شملت التفكير في مبادئه ومعطياته النقدية وأصوله التاريخية، بقي محافظاً على تواجده، كرؤيا نقدية ما بعد حداثة في طرحها ومصطلحاتها، أسالت حبر الكثيرين من الغرب والعرب، ولا تزال لغزا ابستيميا ونقديا يلجأه الباحثين للاستساغة منه حيناً، ولفضحه حيناً آخر، دون أن يجزم أحد باندثاره النهائي.

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 136.

<sup>2</sup> - بيار زيماء: التفكيرية، ص 163.

المبحث الثالث: أثر التفكيك في النقد العربي

أولاً: ترجمة المصطلح اختلافاً

عيب على الفكر العربي، مرضه بالمماثلة مع الأنظمة الفكرية والمعرفية التي ينتجها الآخر/ الغرب، ما يفسر اهتمامه الشديد بالنظريات النقدية ما بعد حداثة سيما التفكيك وترجمة أعمال دريدا في المشرق العربي ومغربه، وتعدد الكتب النقدية حوله غير أن من كتبوا عنه و قعوا في الاختلاف ترجمة، وفهما، و وعيا بالخلفيات المعرفية له.

فعلى مستوى مصطلح *Déconstruction*، اختلف النقاد العرب في ترجمته ليقر البعض منهم بخصوصية المصطلح الذي ينتمي إلى معجم حضاري مختلف عن الثقافة العربية، فيظل حاملاً لآثار ومرجعيات غربية، وهذا ما لاحظته سعد البازعي حيث قال: "ومن هنا كان الملاحظ على كثير من المترجمين والباحثين العرب تغليب قيمتي الصحة والدقة، بعيداً عن المساءلة الناقدة، فيما يبحث ويتلقى عن الثقافة الغربية إجلالاً واحتراماً لذلك المصدر الذي يبدو وكأنه لا يجوز التصرف فيما يرسل، الصحة والدقة تحيل عمليتي الترجمة والتواصل المعرفي إلى عملية نقل تراعي الدقة والضبط وتحاول أن تكون زجاجاً شفافاً يمرر المعرفة دون أن يؤثر فيها"<sup>1</sup>، أما عبد العزيز حمودة، فقد رأى أن الأزمة ليست كما يتصور البعض أزمة مصطلحية " بل أزمة ثقافة- الثقافات التي أفرزت ذلك المصطلح - أزمة اختلاف حضاري وثقافي بالدرجة الأولى".<sup>2</sup>

أما الناقد السعودي " عبد الله الغدامي" فيعد أول المتأثرين بالتفكيك، وقد ترجم *Déconstruction* إلى العربية، بعد تردد و حيرة كبيرين، ليستقر رأيه في الأخير على "التشريحية"، وقد تحدث عن هذا من خلال كتابه " الخطيئة والتفكير":

<sup>1</sup> - سعد البازعي: استقبال الآخر ( الغرب في النقد العربي الحديث)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء بيروت، ط1، 2004، ص 235.

<sup>2</sup> - عبد العزيز حمودة: المرايا المقعرة، نحو نظرية نقدية عربية، ص53.

"احترت في تعريب هذا المصطلح، ولم أر أحدا من العرب تعرض له من قبل (على حد اطلاعي)، وفكرت له بكلمات مثل (النقض / الفك)، و لكن وجدتهما يحملان دلالات سلبية تسيء إلى الفكرة، ثم فكرت باستخدام كلمة ( التحليلية) من مصدر (حل) أي نقض، ولكنني خشيت أن تلتبس مع (حلل) أي درس بتفصيل واستقر رأيي أخيرا على كلمة التشريرية أو تشرح النص، والمقصود بهذا الاتجاه هو تفكيك النص من أجل إعادة بنائه وهذه وسيلة تفتح المجال للإبداع القرائي كي يتفاعل مع النص".<sup>1</sup>

غير أن هذا المصطلح المقترح من قبل الغدامي، لم يلق قبولا واستعمالا لدى النقاد العرب، هذا ناهيك عن اختلاف تشريرية الغدامي - عن تفكيك دريدا- حيث يسعى من خلالها نحو " تفكيك النص من أجل إعادة بنائه، وهي فكرة أقرب للميتافيزيقا من المنظور الدريدي.والجدير بالذكر أن أول من عرض لمصطلح Déconstruction فأعطاه المقابل العربي " تفكيكية" هو "سامي محمد "من خلال " ترجمته دراسة لـ يوتيل أبيل بعنوان: نقد بعض ملامح المنهج البنيوي في النقد الأدبي" ونشرها في مجلة " الأعلام " العراقية السنة 15، العدد 11، ص 217...<sup>2</sup> ليكون على الأرجح الواضع الأول لهذا المصطلح الذي استعمل فيما بعد بكثافة تداولية لافتة، إذ استعمله: " أسامة الحاج وعبد الملك مرتاض، و فاضل ثامر وغيرهم...، فيما اكتفى في مقابل هذا، "التهامي الراجي" - في معجمة الدلالي- بإيراد المصطلح الفرنسي في صيغته الفعلية (déconstruire) مترجما إياه بالفعل العربي (هدم).. في حين يجعل سعيد علوش التفكيك مقابلا للفعل الفرنسي ذاته دون ذكر الصيغة الاسمية..."<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - عبد الله الغدامي: الخطيئة والتفكير، ص 50 .

<sup>2</sup> - يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح، ص 345.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 346.

ظهرت مقابلات عربية كثيرة لهذا المصطلح، تختلف باختلاف فهم ووعي كل ناقد له ندرج هذه الاختلافات ضمن الجدول التالي:<sup>1</sup>

**المصطلح: التفكيك (Deconstruction)**

الكتاب	الناقد	الترجمة
الكتابة و الاختلاف، ص27. دريدا عربيا. معرفة الآخر، ص 113. الفكر العربي المعاصر، العدد54-55 1988، ص108. استراتيجيات القراءة، ص17. المرابا المحدبة، ص164. نظرية الأدب المعاصر.	كاظم جهاد محمدأحمد البنكي عبد الله إبراهيم هاشم صالح بسام قطوس عبدالعزیز حمودة عبدالكريم مقصود	التفكيك
من إشكاليات النقد العربي الجديد، ص ص174 - 167.	عزیز شكري ماضي	اللابناء النقد اللابنائي
مدخل إلى علم القراءة الأدبية، ص24. المعنى الأدبي من الظاهرانية إلى التفكيكية، ص9.	أحمد مجدي توفيق يوسف يوثيل	نظرية التفكيك التحليلية النبوية

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص ص345-347.

	عزيز	
التقويض التقويضية	ميجان الرويلي سعد البازعي	دليل الناقد الأدبي، ص 53.
النقض / النقضية	عابد خزندار	تيارات ما بعد الحداثة
الانزلاقية	عبد الوهاب المسييري	جماليات ما بعد الحداثة (1) المنظومات الجمالية في عصر التحديث و الحداثة، جريدة الحياة، ص 11.
التفكيكية /التشريحية التقويض/التقويضية نظرية التقويض	عبد الملك مرتاض	ألف ليلة و ليلة+ تحليل الخطاب السردى نظرية القراءة، ص 206.

### ثانيا: الإسهامات النقدية العربية

رغم أن التفكيك عرف أوجه في الساحة النقدية العربية، في ثمانينات القرن العشرين إلا أن هناك إرهاصات أولى تشير - لانتقال التفكيك - ولو بشكل بسيط في عقد السبعينيات. أدرجها صاحب مشروع "دريدا عربيا" في جملة من النقاط، فقد كتبت خالدة سعيدة عن بدر شاكر السياب بمناسبة صدور أعماله الشعرية الكاملة، "أنه لم يتخلص من سلطان ذاكرته، ولم يبلغ ما يسميه جاك دريدا "قلق اللغة"، هذا القلق الذي يهز البنية الداخلية أو البنية التحتية للغة ومنطقها الخاص (...). كما تحدثت بعض المجالات العربية عن دريدا و نصوصه، مثل مجلة الطريق البيروتية، و مجلة الثقافة الجديدة المغربية، كما ترجع الإشارات الأولى لأدو نيس الذي ربط نشوء ثقافة جديدة بنقد الموروث و تفكيكه، فيما

التمس البعض تأثر كمال أبوديب بالتفكيك، من خلال دراسته (الحداثة/ السلطة/ النص) المنشورة في مجلة فصول<sup>1</sup>.

أما في عقد الثمانيات وما تلاه، فأخذت حركة الانتقال دينامية أبعد، فراجت النصوص التفكيكية، وعرفت مبادئها طرقاً أوسع للقارئ العربي، وقد برز هذا بشكل كبير مع عبد الله الغدامي وعبد الكبير الخطيبي وآخرون.

فقد تحدث (عبد الله الغدامي) عن تشريحه كمقابل للتفكيك، رغم ابتعادها عن المنظور الدردي، وأقر أن تفكيك دريدا بعيد عن الدرس الأدبي لانبنائه على نقض منطق العمل، فيما تعمد تشريحه لإعادة البناء بعد الهدم. ولم يقتصر الغدامي على هذا بل إن منهجه الجديد في مقارنة النصوص جمع بين ثلاثة مسارات نقدية (النبوية، السيميائية التشريرية) وهو لا يجد حرجاً في الإقرار بتميزه وميله لبارت فيقول "و لقد أميل إلى نهج بارت التشريري، لأنه لا يشغل نفسه بمنطق النص، (وهو شيء لا يعني الدارس الأدبي بحال)، ولأنه يعمد إلى تشريح النص لا لنقضه و لكن لبنائه، وهذا هدف يسمو بصاحبه إلى درجة محبة النص والتداخل معه بكل تأكيد"<sup>2</sup>.

يتضح، إذن، أن قراءة الغدامي لا تجعل النقض/ الهدم غاية في حد ذاته، إنما وسيلة تهدف لبناء النص في وحدة كلية، وجسد نصي واحد، يسعى لتفكيك جزئياته من أجل إعادة بنائها و تركيبها من جديد، وقد عد كتاب الغدامي: "الخطيئة والتكفير من النبوية إلى التشريرية Déconstruction"، أول وأهم محاولة عربية تطرح القضايا الجمالية للنص وتعلن انتماءها للقراءة التفكيكية وإن اختلفت معها في الوسائل.

<sup>1</sup> -ينظر: محمد أحمد البني: دريدا عربياً، ص ص 104-109.

<sup>2</sup> - عبد الله الغدامي: الخطيئة و التفكير، ص 54.

أما عبد (الكبير الخطيبي) فقد فتح- من خلال إصداراته: "النقد المزدوج"، الاسم العربي الجريح"، "فسحة اختباريه مهمة سمحت بتدفق بعض مذخورات التفكير إلى الحقول العربية عبر لعبة مفتوحة على انفتاح الحدود بين الأجناس وخلخلة المعابر في انتقال المعنى، لعبة قوتها كامنة في إشكالية العلاقة بين المعرفي والجمالي ضمن النسيج الكتابي متعدد الطبقات"<sup>1</sup>، ذلك أن الخطيبي أدرك أن الكتابة فعالية إبداعية ونمط تواصلية يقوم على التعددية والاختلاف، لذلك جاءت كتاباته شبيهة" بالسفر اللامتوقف من محطة إلى أخرى، من نص إلى آخر من المتخيل إلى الفكر إلى الوهم، إنه السفر الذي يجد في الكتابة كل أنواع اللقاءات، لأن السفر كان دائما لقاء، سواء مع المعلوم أو مع المجهول، الكتابة مع الخطيبي مجموعة لقاءات تخلقها فجأة اللحظة وتفجرات الجسد".<sup>2</sup> ما يجعله أهم مفكري الاختلاف في الفكر العربي المعاصر، ومن أوائل الذين استخدموا التفكير وسيلة للتعامل مع كثير من المشكلات المهمشة، والطابوهات الفكرية التي تدخل في إطار اللامقول واللامفكر فيه، سعيا لتأسيس الثقافة المساءلة وفكر الاختلاف، من هنا دعا الخطيبي إلى إعادة النظر في الأشياء، وتحكيمها لمبدأ المغايرة والاختلاف، نحو نقد التراث من جهة وتفكير الميتافيزيقا من جهة أخرى، ومن هنا يتولد عنده نص الاختلاف؛ "نص عصي على التصنيف وعلى الجدولة، متموقع بين ليل الكتابة ونور المفهوم، نص يزوبع ما قبله وما بعده، حين ندقق النظر فيه بالاستناد إلى خارج ما، إلى حركة فكرية مضاعفة في السلالة الفلسفية".<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - محمد أحمد البنكي: دريدا عربيا، ص 119.

<sup>2</sup> - بختي بن عودة: ظاهرة الكتابة في النقد الجديد مقارنة تأويلية (الخطيبي نموذجاً)، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 1994، ص 179.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 179.

وفي مقابل هذا يتواجد (علي حرب)، الذي يعد من أكثر الباحثين والقراء التفكيكين العرب، فهو يقدم نفسه على أنه قارئ يشتغل على النصوص مساءلة واستنطاقاً وحفراً وتقيباً، وتحليلاً وتفكيكاً. والتفكيك عنده يعني الحفر عن المنسي والنبش في المكبوت لكشف تضليله وخداعه، وكشف ما يمارسه النص من طقوس الحجب وحيل المراوغة، وقد تحدث علي حرب عن ضرورة الاختلاف والمغايرة، ما يجعله يروم مقارنة النصوص على مساءلة الهوية والاحتفاء بفضاءات التعدد والتخالف، والتجاوز والتعايش، والانفتاح المتراسل".<sup>1</sup> وضرورة وضع إستراتيجية للتعامل مع التفكير الذي ينطلق من مبدأ الفضح والكشف من أجل خلخلة بُنى النص وكشف أبعائه وحيله، وفضح مناطق التخفي/ الغياب، كما أشار إلى أن تبني التفكير ليس تهمة ولا خروجاً عن النمط والمألوف ولا يمكن اعتباره هكذا إلا عند حراس العقائد ومحاكم التفتيش الإبداعية والمدافعين عن إمبريالية المعنى ودكتاتورية الحقيقة الذين يخشون المهمة الحقيقية للتفكيك وهي فضح المستور والكشف عن المحجوب.

كما تطرق في كتابه "هكذا أقرأ ما بعد التفكير" لنصوص عدد من الكتاب أمثال: سعد الله ونوس، أبو يعرب المرزوقي، محمد شحرور، عبد الكريم سروش عبد العزيز حمودة نصر حامد أبو زيد، جان بودريار، ما يكل هارديت، أنطونيو نيغري، نعوم تشومسكي، بيل غيتس وسواهم، إضافة إلى بعض أطروحات ابن خلدون، ابن رشد، نيتشه وأفكارهم... وقد تحدث فيه عن القراءة التفكيكية التي تخترق كل الإجراءات المنهجية والأسبقية البنائية للنص "فالنص متعدد المعنى ملتبس الدلالة كثيف المفهوم، متواتر الوجهة، إشكالي القضية

<sup>1</sup> - علي حرب: الممنوع و الممتع: نقد الذات المفكرة، ص 10.

والأطروحة فهو يحتمل غير قراءة بقدر ما يختزن ما لا يتناهى من القراءات التي تراكمت وتفاعلت في ذهن مؤلفه، لكي تسهم في تشكيله وظهوره<sup>1</sup>.

وبهذا يسعى إلى تبرير الدلالات الملحقة للنص، دون الاستناد إلى الأسانيد النصية أو الإحالات السياقية أو إلى بنية الأفق الفكري والجمالي للمؤلف الأمبريقي، بل انفتاح لا متناهي للنص، يستلزم تعدد القراءات و التأويلات.

هذا، كما تحدث حرب عن التباس الدلالة واشتباكها، فمأزقية المعاني كامنة ليس في كثافتها وحسب، بل في توترها وتنقلها بين الحضور والغياب، بين الامتلاء والفراغ، بين التذكر والنسيان، "فالمعنى يفيض بقدر ما يستعصي على الضد، دلالة على النسيان، نسيان الوجود على المستوى الأنطولوجي، ونسيان المجاز الذي يتحكم بالتصورات على مستوى المعرفي، وهذا النسيان يجعل العلم بالشيء مباينا دوما لوجوده"<sup>2</sup>.

وحسب ما تقدم، فإن كل هذه الدلالات والمقولات عند حرب هي محصلة الاتجاه التفكيكي ومبدأ الاختلاف القائم على الحضور والغياب إذ تنطلق كتاباته، "باعتبارها مقاربات ما بعد حداثة المعين، من فضاء معرفي، يتشكك في كفاءة النسق ولا يفتتح بانغلاق البنية، وينتج للنقد أن يستتق ويكشف ما شاء له الاستنطاق والكشف، لا يروم بذلك تأسيس مشروع و لا إنجاز رؤية متكاملة، و إنما هو نقد للنقد مستمر، واشتغال على انزياحات اللغة مستمر"<sup>3</sup>.

كما يعتبر حرب التفكيك أكثر من مجرد أسلوب للتفلسف، وأكبر من أن ينحصر في مجموعة آليات إجرائية، أنه بحث عن الهامش/ الغياب، و قراءة إبداعية تبحث في اللامفكر فيه وما يمتنع على التفكير، في ظل العقلانيات المسيطرة.

<sup>1</sup>- علي حرب: هكذا أقرأ ما بعد التفكيك، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ط1، 2005، ص23.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

<sup>3</sup>- محمد أحمد البنكي: دريدا عربيا، ص347.

إن التفكيك الذي يرتضيه حرب هو بحث في حقل البدايات العقلية التي باتت بدوغمائيته، وأحاديثها، ومركزيتها عاجزة عن قراءة ما يحدث، ومهمته الأساسية هي تعرية البنى العتيقة ومحاولة تفكيكها، لأنها تعيق التفكير وتشل الإبداع، وتعرثر الوصول إلى الحقيقة.

"إن المثقف الجزائري ، يحملة اختلافه الجذري وسؤاله المعرفي المدمر، لا يملك جواز سفر، قد يجد نفسه يشتغل في حقل أو بستان ... وقد يقتل".

كلمات ردها الباحث الجزائري (بختي بن عودة) (1962-1990)، الذي رغم حياته القصيرة إلا أنه أثار مؤشرات اهتمام متزايد بدريدا وتفكيكه، حيث مثلت أفكار المساءلة والمغايرة محطة جذب وتأثير لكل فلاسفة الاختلاف، "وجاك دريدا- يقول بختي- هو الاسم الذي اخترناه لنتمرن على المطالبة بالحق في الاختلاف وفي تفكيره<sup>1</sup>" القائم على خلخلة بنية النسق الفلسفي، وهز المركزية الغربية والتأسيس لنص وفكر الاختلاف ضمن لعبة تمويهية، وفوضى دلالية، قد يتساءل البعض عن جدوى الخوض فيها ليجد الإجابة عند بختي بن عودة: "إن قراءة نصوص دريدا، وإعادة قراءتها، تجد مبررا لها في أنه يود الاستغراق في التفكير للاقتراب من ممارسة الاختراق المमित لانفتاحية دريدا النصية، أو كما يقول الباحث المغربي نور الدين الزاهي: لكي استحق موتي بين الموتى"<sup>2</sup>.

ما يجعل التفكيك يؤسس للاختلاف، ويبحث عن الخطاب الهامش في مقابل المركز العدم في مقابل الوجود، والخاص في مقابل الكوني... يعمل كما يرى بن عودة " على تحريك الاختلاف داخل الاستعمالات الممكنة، بوساطة كتابة تختزل داخلها سلسلة من

<sup>1</sup> - بختي بن عودة: موقع لمقاربة اختلاف جاك دريدا ، مجلة كتابات معاصرة، لبنان، مج4، ع15، سبتمبر 1992، ص 35.

<sup>2</sup> - عمر مهيبيل: من النسق إلى الذات (قراءة في الفكر الغربي المعاصر)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1 2001 ص83 .

المفاهيم لا متناهية الاختلاف، كتابة تحيط نفسها وتلفها بكومة من الحذر والإحالات والهوامش والاستشهاد و التوليفات والملحقات"<sup>1</sup>.

تأثر بختي بديدا أشد التأثير، ووجد في كتاباته فرصة لإعلان ثورته على العدمية والنكوص، والرغبة في خلخلة المتفق عليه، واستحداث مناطق غير آمنة لاستتطاق اللغة "لقد سكنه هاجس التفكير في وعيه وفي جنونه، في أحلامه وفي يقظته، فالتفكير عنده ليس منهجا و ليس معرفة، إنه دليل على علامة دالة هي الاختلاف، والاختلاف مدخل إلى الحداثة، والحداثة بمعنى من المعاني ثورة على الجاهز /النمطي . لنعد مفصلة الكلمات من جديد : التفكير، الاختلاف، الحداثة ،الثورة،إنها مفاصل الهيكل العام لمحاولة بن عودة الطريفة- والتي لم يقدر له إتمامها - التي لم تبج بأسرارها بعد للباحثين في هذا المجال " <sup>2</sup> إن محاولة بختي برزت بشكل أكبر من خلال تأثره المتزايد، بأحد أبرز قراء التفكير الذي أعد حوله أطروحة الماجستير وهو "عبد الكبير الخطيبي" للوقوف على نمطه الكتابي و تفكيره الاختلافي ذو الأصداء الدريدية ، حيث اعتبره وجها من وجوه التفكير رغم أن "الاختلاف الدريدي، اختلاف ذو أسبقية على الوجود ،وأنه معدوم الحنين إلى الميتافيزيقا أما الاختلاف عند الخطيبي، فهو "ملطف" لا يتصادم مع الدين بالضرورة لأنه يعثر على مكانته الإستراتيجية في تقليص المفهومية الميتافيزيقية"<sup>3</sup>.

وبهذا يمارس بختي " كتابته المرئية" على كل من دريدا، و الخطيبي، محاولا استكناه تفكيكية كل منهما، " الكتابة التي ينطلق فيها شعاع الوعي من الذات إلى البنية الطبيعية والعكس، أي أن الكتابة تكون بمثابة عملية اختراق مزدوجة للبنية وللمخيلة في آن، فتحدث

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص85.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص88.

<sup>3</sup> - بختي بن عودة: ظاهرة الكتابة في النقد الجديد، ص116.

الكتابة المرئية، وهي ليست إلا الكتابة المؤدية إلى المعرفة الدلالية، الإرادية والواعية<sup>1</sup> كتابة تتمرد على حياة بختي القصيرة، لتبرز فيها نمطا تفكيكيا و كتابة اختلافية لا يمكن إنكارها.

وتتضح معالم الهوية العربية لتبني الطرح الديردي مع (عبد الله إبراهيم) الذي نادى بثقافة الاختلاف بديلا عن المطابقة، حيث طرح فكرة الاختلاف بقوة من أجل نقض فكرة المماثلة مع الآخر الغربي المتمركز حول ذاته، والآخر العربي المنكفى على نفسه والغارق في مجده الغابر، هذه المعادلة بين الأنا والآخر مثلت مادة دسمة لعبد الله إبراهيم كي يسلط عليها الطرح التفكيكي ويهدم نسيجها الداخلي ويكشف عن بؤر التمركز فيها، ما يستدعي حسب الناقد الدخول في حوار متكافئ يحول ثقافة الآخر من مكون هيمنة/ مركزية/ سلبية إلى مكون فاعل/ إيجابي، ويحول الشعور العربي من الدونية/ الاستصغار/ إلى الثقة في إمكاناته وهذا لن يتأتى إلا بعد التخلص من عقدة التماثل والتبعية التي تعيق تطورها وتحد من فعاليتها، "كما بين أن الآخر يعمم مشروع ونموذجه الهادف إلى تدمير خصوصية الكائنات الحضارية، ومسح هويتها، فليس شعار عالمية الغرب كما يذكر عبد الله إبراهيم إلا دعوة للانزلاق نحو استبداد يفرض على الثقافات الأخرى، أو يدفعها إليه"<sup>2</sup>

من بين ردود الأفعال التي أثارها التفكيك بين النقاد العرب، ما ذهب إليه (عبد الوهاب المسيري) الذي انطلق من تأملاته للإنسان والكون والمركز والأخلاق ليصوغ لنا نقدا تفكيكيا، لا يدعي فيه صاحبه الوصول إلى اليقين المطلق أو التفسير النهائي، بل هي رؤيا تهتم "ببيان المؤثرات السياقية المختلفة التي أفضت إلى ما يمكن اعتباره نزعات

<sup>1</sup> - عمر مهيبيل: من النسق إلى الذات، ص 79.

<sup>2</sup> - ينظر: عبد الله إبراهيم، المركزية الغربية، ص ص 6-36.

لضرب التماسك وإشاعة النسبية المتطرفة عبر استراتيجيات من نوع ما يقترحه دريدا أو بول دي مان أو هيلز ميلر<sup>1</sup>.

وتبرز أولى اختلافات المسيري في عرضه للتفكيك من خلال الترجمة الجديدة التي وضعها للمصطلح الأساس Déconstruction، على اعتبار الترجمات الشائعة من قبيل "تفكيك" و "تفكيكية" مباشرة ومعجمية، بعيدة عن المضمون الخفي للكلمة الأجنبية وجديد المسيري هو "انزلاقي"، أما على مستوى فهمه ووعيه للمصطلح فيضعه في خانة واحدة مع ما بعد الحداثة، فهما وجهان لعملة واحدة، يشتركان في تقويض الكليات وهدم العقلانيات، والقسمة بينهما كالقسمة بين النظرية و التطبيق عنده، الرؤية الفلسفية هي ما بعد الحداثة، أما التفكيكية فهي منهجها في تفكيك النصوص وإظهار التناقض الأساسي الكامن فيها<sup>2</sup>، أما أصول التفكيك فيربطها المسيري بالأصول اليهودية لدريدا والتي تدين بمنهجها لممارسات التفسير التوراتي اليهودي، "فكل ما فعله دريدا هو نقل الممارسات التأويلية للنصوص المقدسة اليهودية وتطبيقها على الخطاب الفلسفي، مرسيا بذلك دعائم ما ورائية لاهوتية مألوفة لتحل محل الميتافيزيقا الغربية..."<sup>3</sup>. حيث أورد ضمن موسوعته مداخل مثل: الأثر، الكتابة الأصلية، تناثر المعنى، التمرکز حول الصوت وربطها بتأصيل فكري تاريخي يرجع ليهودية دريدا و للفكر اليهودي.

وبهذا تكون رؤيا المسيري احتجاجية/ كفاحية، رافضة للغرب ولمعطياته ولما بعد الحداثة وتجلياتها، وللتفكيك بعدميته ويهوديته وإغائه للثوابت، وكتابته كتابة عاصفة/ مجتاحة ترسل "زخما من العلامات في اتجاهات متعددة دفعة واحدة وفي مستويات هذه

<sup>1</sup> -محمد أحمد البنكي: دريدا عربيا، ص 281.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 287.

<sup>3</sup> - ميجان الرويلي، سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، ص 54.

الكتابة وتدليلها، تعثر على النكتة والعاطفة، والصرامة العلمية والشطحة، والاستنتاج الذكي، و النقد اللاذغ، والمبالغة، والاعتزاز بالذات والتأمل الناقد جنبا إلى جنب<sup>1</sup>.

أما (عبد العزيز حمودة) فينطلق في حديثه عن التفكير من منظور الضجة التي أحدثتها تيارات الحداثة التي انتشرت دعاويها في الوطن العربي. فهو أحد أبرز النقاد الذين تحاملوا على الحداثة، وعلى رغبة النقاد العرب في إسقاطها على النقد العربي ذلك أن هناك تفاوتاً حضارياً وثقافياً من شأنه أن يخلق غربة لدى الحداثيين العرب "... وحيث أننا لا نستطيع أن نسحب أزمة الإنسان الغربي على أزمة الإنسان العربي - وله بالقطع أزمته الخاصة به - فإن الأخذ بالحداثة الغربية و تجلياتها النقدية يعتبر نوعاً من الترف بل العبث الفكري، لا نستطيع، ولم نستطيع حتى الآن، أن نتقده التبريرات المختلفة التي يسوقها النقاد الحداثيون العرب من دعاوى الأصالة واستقراء التراث"<sup>2</sup>.

إن الحداثة الغربية و تجلياتها التفكيرية على وجه الخصوص، خرجت - كما يرى حمودة- من عباءة مزاج ثقافي، له فرادته و مفرداته، ومصطلحاته ومفاهيمه وهذا ما يعتبره حمودة مبرراً لعدم السقوط في مغالطاته ومآزق الحداثة، ذلك أن التفكير تحديداً "حينما ينتزع من خلفيته الثقافية ويغرس في تربة ثقافية مختلفة غريبة عليه، يثير الكثير من البلبلة، هذا إذا قدر له أن يعيش في المقام الأول..."<sup>3</sup> بلبله من نوع تلك الصدمات التي وقعت بين حمودة ونقاد الحداثة العرب، حين تجاوز صاحب المرايا تحامله على التفكير ليصل إلى محاولاتهم النقدية، حين وصفها بالترف والعبث الفكري، وبأنها عمليات اقتباس ونقل وترقيع وتوفيق لا ترقى لمستوى النقد والتمحيص.

<sup>1</sup> - محمد أحمد البنكي: دريدا عربياً، ص 289.

<sup>2</sup> - عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة، ص 84.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 164.

أما عن التفكير، فعلى عكس النقاد الذين تصل نتائج أبحاثهم - في النهاية - إلى دعم أو رفض توجه نقدي ما، يعزز حمودة آراءه الراضة منذ (بداية) مقدمة مراه المحدثه ليعبر عن فوضوية التفكير التي لا تعدو كونها ثورة تخريب وهدم لكل الثوابت واليقينيات شبيهة بالثور الهائج يحطم كل غال و ثمين أو مقدس، فهي مجرد دعوة لرفض علمية النقد، والشك في كل شيء والثورة على القوانين والأنظمة والتقاليد والتمرد على نهائية النص، من أجل إحلال منطق الفوضى العارمة/ العدمية التي تجاوزت حدود النص إلى المؤسسات والحكومات والأنظمة، وقد وضع حمودة معادلة تلخص جوهر التفكير مفادها: (المعنى المفتوح + الدلالة النهائية + إساءة القراءة) = جوهر التفكير<sup>1</sup>.

هذا، ويعد حمودة من أكثر النقاد تأثيراً و انتصاراً للنقد الجديد، في مقابل تحجيمه للتفكير، ما يفسر اعتماده على مقولات النقاد الجدد الذين قعدوا - فيما يرى - للممارسة التفكيرية، فالتفكير رافد من روافدهم و لا علاقة له بديدا، وهو " يدجج قراءته للتفكير بمرجعيات أنجلوفونية متعددة بداء من كلاسيكيات النقد الجديد الممثلة في كتابات لـ رتشاردز و كلينث بروكس، مروراً ببعض أعمال دريدا المترجمة إلى الانجليزية وصولاً إلى الدراسات المتعددة، التي قدمها نقاد مدرسة بيل، حاملة لواء التفكير في الولايات المتحدة، هذا فضلاً عن بعض أعمال الشراح الرائجة حول التفكير<sup>2</sup>.

لقد أسس حمودة أطروحته المضادة للتفكير ومن ورائه الحداثة الغربية في محاولة لرفض هذا الآخر/ الغريب عنا الذي لا يرى فيه سوى تهديماً للمسلمات واليقينيات بل مجرد فوضى أخذت نصيبها من الرواج و الشهرة، و وجدت نقادا عرب يستقطبون كل وافد غربي، غير أن أحمد محمد البنكي ينتقد مساره هذا، فرغم اعتراف البنكي بتدفق مقولات و

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 175.

<sup>2</sup> - محمد أحمد البنكي: دريدا عربياً: ص ص 266 - 267.

اختيارات واقتباسات حمودة التي شكلت خطابا سرديا تبسيطا سائغا "لكنك إن أعملت فكرك في البحث عن البحث عن بؤرة معرفية و نسق فلسفي متماسك و متوافر على معقوليته المؤسسة و أسانيده النظرية و فاعليته التطبيقية، لم تكد تخرج بطائل، وما ذاك إلا لأن حمودة قد أخذ على عاتقه مهمة انتقاد منظور نقدي لا تنفصم عراه عن إشكاليات الفلسفة منذ أفلاطون...<sup>1</sup> فحمودة قد اجتمع في رأيه مع المسيري لرفض التفكير بكل مبادئه ومقولاته وتطبيقاته في الساحة النقدية العربية ذات الخصوصية الثقافية والفكرية المختلفة تماما عن الفكر والنقد الغربي، ليؤكد كل منهما على خطورته وخلفياته التخريبية ونواياه الهدمية حتى وإن اختلف طرح كل منهما .

أما ( مطاع صفدي) فعمل على نقد الطرح التفكيكي الذي لا هم له إلا اللعب بمبدأ الذات والهوية تحت ستار ثنائية الحاضر/ الغائب، ذلك أن سمة التفكير هي إنزال الأفكار المطلقة واليقينيات من عليائها والعبث بالعقلانيات والكليات، واغتصاب كل الأنظمة والأطر المنهجية، ويبحث دريدا-حسب صفدي- في المختلف ويعلم استراتيجيته للتصدي لبنية النظام محاولا تفكيك كل الطبقات الأيديولوجية، وقد بين صفدي أن التفكير حيلة ومراوغة ترمي على تهميش منطق الهوية وصياغة أوهام نقدية تتم عن طرح منحرف وممارسات لعبية وهي تريد منك ذلك دون أية منهجية تمت إلى قاموس العقل، أو انتقاده، ولهذا يشير التفكير إلى ثمة ما هو مختلف فيما هو ظاهر، والنص عندما يشرع بممارسة التفكير عليه أن يعكس شقوقه وفجواته<sup>2</sup>.

وبالموازاة مع هذه التعرية للطرح التفكيكي من طرف النقاد العرب، يستهدف التفكير مرة أخرى من قبل الناقد (سعد البازعي) الذي يربطه بالعدمية التي تعني - من جملة ما تعني -

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 277.

<sup>2</sup> - مطاع صفدي: نقد العقل الغربي، ص 196 .

فقدان أعلى القيم منزلتها ومكانتها، متبنياً مصطلح التقويضية بدلاً من التفكيرية في ترجمته للمصطلح<sup>1</sup>، ويرى البازعي أن التفكير تطور حتمي لجدل الميتافيزيقا والعدمية من جهة وللتطور الثقافي الغربي من الشفاهية إلى الكتابة، ويذهب البازعي إلى أن مشكلة التفكير أنه لا يمكن عزله عن سياقه الفلسفي الذي أنتجه ولا يمكن تطبيقه على النصوص العربية بعيداً عن مضامينه الفلسفية الميتافيزيقية و العدمية .

منتهى القول، إن التفكير كغيره من المناهج والمسارات النقدية المعاصرة عرف ضجة نقدية كبيرة بين مؤيد/ منبهر ورافض/ ناقم، وبعيداً عن كل المقاييس الأيديولوجية والأفكار الجاهزية وجب التعامل معه بحذر بوصفه إستراتيجية نقدية لا أكثر ولا أقل شرط أن يكون هذا التعامل مسبقاً بوعي ودراسة حفرية- لكل ما يتعلق بالتفكير - بعيدة عما قال ويقال تبدأ من منطلق سليم بحثاً عن حقيقة التفكير كقراءة وممارسة للنصوص.

1- ينظر : سعد البازعي وميجان الرويلي : دليل الناقد الأدبي ، ص13.

## خاتمة:

يعد النص رحلة إلى عوالم الفن، أين يعتنق اللذة دينا ينزاح عن كل الأنظمة اللغوية ويختار الولوج إلى عالم المجهول بديلا، ذلك أن تلك اللذة النصية كما يقول بارت " تأتي هكذا إنها حضور من غير سؤال، ووجود يعم كل شيء دون أن يتموضع في شيء... وليس شيء للذة أقتل من سؤال يستفسر عن موضوعها، اللذة ليست موضوعا، إنها هي، وإنها لتتكشف دائما من غير سؤال، وسعادة الملتذ كالنور تأتي بقدح زناد الروح، فلا يدركها إلا من تحرر من نفسه جسداً ودخل في نفسه نصاً".

ذاك النص من يستعصي على كل الحدود النقدية، من أجل ترسيخ مبدأ الاختلاف فهو لا دين ولا وطن يحتويه، ولا نظام يحكمه، نص مهاجر/ فلوت تصنعه الأفكار المتضخمة والأحداث المتوالدة....

هو نص الاختلاف/ التأويل من يمارس طقوس الإقبال والإدبار أمام قارئ يعيث في النص تأويلا وتفكيكا .

قارئ أخذ تأشير الولوج إلى مجاهيل النص، من أجل خلخلة الأنظمة الداخلية وكسر مفاهيمها الخارجية من أجل الوصول إلى المضمور/ المحجوب/ المسكوت عنه ليجد نفسه بعد مشوار طويل من الغواية والإغراء النصي متورطا فيه محكوما بحدوده الزمانية المعلنة بموعد نهاية هذه الرحلة البحثية والمستوجبة لخاتمة لا أحسبها إلا بداية جديدة لبحث مستقبلي آخر وفتحا لآفاق معرفية أخرى. إذا كان ذلك كذلك فإن البحث يعلن عن خاتمة/ فاتحة لا تفر باللانهايات ولا الحدود وترتبط دوما بمسعى استشرافي منفتح/ متعدد/ الآفاق.

تكتسب الخاتمة أهمية كبيرة في تحديد النتائج، بعد مشروعية التساؤل التي خيمت على مسيرة البحث، انقسمت بين نتائج تخص التفكيك بشكل عام، نطلق عليها اسم "النتائج الكلية" ونتائج تخص "الاختلاف" بعلائقه ومفاهيمه الفلسفية/ النقدية وهي

النتائج الجزئية وإن كانت هذه الأخيرة تلخص أغلب وأهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال رحلة البحث.

### النتائج الكلية: حول استراتيجية التفكير

- إن التحول من البنيوية إلى ما بعد البنيوية هو تحول من مسار احتكار البنية (النسق) إلى مسار ترويضها بمعنى الانتقال من البنية المركزة (في ذاتها ولذاتها) إلى البنية المهمشة /المغيبة.
- الاختلاف بين التفكير وما بعد البنيوية هو اختلاف بيئي/ مكاني/سياسي/ لا اختلاف منهجي وظيفي، فمصطلح التفكير أستخدم في أمريكا بينما اشتهر مصطلح "ما بعد البنيوية" في فرنسا.
- التفكير (بوصفه إستراتيجية ما بعد حداثة وما بعد بنيوية) لا يؤمن بالحقيقة الفلسفية المطلقة، ويسعى دائما إلى تغييبها، كما لا يؤمن بالجاهزية والثبات. بل هو دعوة للتمرد/ الثورة/ التحرر، دعوة لإحلال الهامش مكان المركز، الغياب مكان الحضور، الكتابة مكان الكلام، اللاعقل مكان العقل...
- استثمر التفكير أغلب الطروحات الفلسفية واللغوية وحتى النفسية ( الممارسات التأويلية،ديالكتيك هيغل، الفلسفة الماركسية، الجينالوجيا النيتشوية، الطرح الهيدغري الهدمي، الظاهرانية الهوسرلية، التحليل النفسي، اللغوية السوسيرية...) بالرغم من أن منطلقه الأساسي رفض كل الفلسفات السابقة بحجة أنها تعكس النمط الميتافيزيقي للفكر الغربي.
- تقوم منظومة النقد التفكيكي على جملة من المقولات (الاختلاف،نقد التمركز العقلي والميتافيزيقا،علم الكتابة،الحضور والغياب...) وهناك من يضيف للعب الحر - فيما يضمنه بعض النقاد داخل مقولة الكتابة-حيث يخضع التحول الدلالي في مشروع التفكير إلى التغيرات المستمر، والإرجاء المتواصل.

- التفكير إستراتيجية مهمة في قراءة النصوص الفلسفية والنقدية والمعرفية والثقافية حيث تخضع لعمليات معقدة تحكمها علاقات المحاوره. كما أن التفكير يهدف إلى فك الدلالات وعدم الاقتناع بنهاية الجماليات النصية.
- يرمي التفكير إلى هدم المركزية الغربية متمثلة في فلسفة الحضور بهدف تفكيك الإنسان، وتفتيت البنية العقلانية، وتمزيق الشعور، وضياع الدلالة، ونفي القيم العليا والسعي نحو تجاوز الأعراف والتقاليد، والكليات والثوابت، التي تخيم على المسيرة المعرفية والنقدية والثقافية.
- تبنى النقاد العرب مصطلح التفكير بوصفه المقابل المنهجي المحدد لمصطلح ما بعد البنيوية، إلا أننا لا نلمس منهجية عربية معاصرة في التعامل معه، ذلك أن الترجمات في معظمها بعيدة عن الوعي الدقيق لمصطلح، ناهيك عن اختلاف الثقافتين الغربية والعربية، واختلاف منطلقات وأهداف كل منهما، مع وجوب الإقرار بطابع التسليم والجاهزية الذي عرفته النسخة العربية.
- استقبل النقد العربي المعاصر الطروحات التفكيكية وفق منظورين: الأول القبول والثاني النقد، حيث اعتبرها الاتجاه الأول ممارسة نقدية تتعلق بجميع النصوص، في حين اتهمها الاتجاه الثاني بالفوضى و العدمية وكذا بعدم مناسبة التفكير لتحليل النص العربي عموما لاسيما التراثي والديني.

### **النتائج الجزئية : حول الاختلاف عند دريدا**

- ويمكن أن نلخص أهم النتائج المرتبطة بالاختلاف الدريدي فيما يلي:
- يرى دريدا أن الاختلاف التفكيكي عصي على كل مفهومة أو ترجمة، ذلك أنه منفرد بقيمته الخاصة التي تبعده عن كل مركز أو أصل، فلا وجود لمعنى الأصل عند دريدا، واختلافه هو تتابع للآثار التي تعمل على تعديل أصليته.

- \_ يختار دريدا لمقولة الاختلاف، الكتابة بحرف (a) بدل (e) ، différence ،  
 بدل différence وذلك ليسقط على اللفظ " مفهوم الاختلاف " فيختلف معنى  
 وكتابة وصوتاً، حيث تختلف (a) صوتياً عن (e).
- الاختلاف إلغاء لفلسفة الهوية والحضور وتجسيد لفلسفة المغايرة والغياب ولا  
 وجود لأصل محض هناك فقط الاختلافات التي تحيل إلى غيرها، فالاختلاف  
 تجسيد لثنائية ( الحضور / الغياب).
- الاختلاف تغيب متعمد للمدلول ، تعدد لانتهائي للقراءات، تشظي للدلالات  
 وتشنت للمعاني ، وهو يخضع للعبة حضور الدوال وتغيب المداليل.
- أسس دريدا للاختلاف من خلال نقضه فكرة اللوغوس والثورة على ميتافيزيقا  
 الحضور وتدمير كل ما ارتبط بها من أفكار/ أصنام.
- مبدأ الاختلاف لا يرمي إلى تثبيت الحقائق بل الانفتاح على المزيد من  
 الاحتمالات والتفسيرات، والتأسيس لنص التعدد والتأويل، عن طريق تذويب  
 الدلالة المركزية، ومنح الغياب سلطة متعالية.
- الاختلاف دعوة لتقويض مركزية الصوت وإحلال الكتابة الخالدة - مكانه-  
 حتى في غياب صاحبها .
- الاختلاف الدريدي ثورة على كل النظم الفكرية الفلسفية السابقة التي رسخت  
 فكرة:الأصل، الهوية، المعنى الواحد، الكلام الحضور، الميتافيزيقا، اللوغوس  
 المركز ...
- الاختلاف يؤسس لنص جديد، هو نص التعددية القرائية، نص التأويل  
 والانفتاح، نص اللاتمركز واللاتحديد الذي يفلت من قبضة المعنى الواحدي،  
 نص التشظي والتكثيف والتناسل الذي يؤسس لمبدأ تداخل النصوص ويشكل  
 السلاسل النصية.

- الاختلاف انعكاس لثورة التفكيك على النسق/ البنية/ السجـن النصي،  
وتأسيس للنص المابعد بنيوي المنفتح على قارئ مفكك/متمرس.  
وفي الأخير يمكن القول أن دريدا شكل مدارا اختلافيا جذريا في مسار النقد  
الغربي والعربي ( مصطلحا وترجمة وفهما وفكرا)، مع ضرورة الحذر المعرفي  
اتجاه مقولاته التي تحتفظ بجاذبية لا نظير لها قد تخرج الباحث من الاختلاف  
إلى الخلاف، لا سيما مع الاختلاف البيئي والثقافي والفكري بين الثقافتين  
العربية والغربية. لذا كان حقيقا بأهل الفكر والبحث التسلح أولا وقبل كل شيء  
بالوعي الدقيق والدائم وعدم التسليم الجاهزي بالوافد أيا كان مصدره.

## قائمة المصادر والمراجع

### **I- المصادر:**

1. القرآن الكريم
2. دريدا (جاك): الكتابة والاختلاف، ترجمة كاظم جهاد، دار توبوقال، الدار البيضاء، ط1، 1998 .
3. دريدا (جاك): الصوت والظاهرة- مدخل إلى مسألة العلامة في فينومينولوجيا هوسرل، ترجمة فتحي إنقزو، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء، ط1، 2005.
4. دريدا (جاك): مواقع -حوارات، ترجمة فريد الزاهي، دار توبوقال، الدار البيضاء، ط1، 1991.
5. دريدا (جاك): صيدلية أفلاطون، ترجمة كاظم جهاد، دار الجنوب، تونس، 1998.
6. دريدا(جاك): علم الكتابة، ترجمة أنور مغيث ومنى طلبة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط2، 2008.
7. دريدا(جاك): أحادية الآخر اللغوية، ترجمة، عمر مهيل، الدار عربية للعلوم، ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت/الجزائر، ط1، 2008.
8. دريدا (جاك) دريدا و دي مان (بول): استراتيجيات التفكيك، ترجمة حسام نايل، أزمنة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2009 .

### **II- المراجع بالعربية:**

9. إبراهيم (عبد الله) وآخرون: معرفة الآخر، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990.
10. إبراهيم (عبد الله): المركزية الغربية إشكالية التكون والتمركز حول الذات، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2005.

11. إبراهيم(عبد الله):المركزية الإسلامية، صورة الآخر في المخيال الإسلامي خلال القرون الوسطى ، المركز الثقافي العربي، بيروت /الدار البيضاء،ط1 ، 2001.
12. إبراهيم(عبد الله):الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة(تداخل في الأنساق و المفاهيم ورهانات العولمة )، المركز الثقافي العربي ، بيروت/الدار البيضاء،1990.
13. أدونيس: الثابت والمتحول، بحث في الإبداع والإبداع عند العرب، الجزء1،الأصول، دار الفكر ،لبنان،ط8، 2002.
14. أوكان عمر: لذة النص (أو مغامرة الكتابة عند بارت)، إفريقيا الشرق، ط1، 1996 .
15. بارة (عبد الغني): الهرمينوطيقا والفلسفة ( نحو مشروع عقل تأويلي) الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت /الجزائر، ط1، 2008.
16. البازعي(سعد) ،الرويلي(ميجان ): دليل الناقد الأدبي (إضاءة لأكثر من خمسين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا)، المركز الثقافي العربي، الدارالبيضاء/بيروت، ط2 ، 2000.
17. البازعي(سعد): استقبال الآخر ( الغرب في النقد العربي الحديث)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء بيروت، ط1، 2004.
18. بقشي عبد القادر :التناس في الخطاب النقدي و البلاغي(دراسة نظرية و تطبيقية)، إفريقيا الشرق، ط1، 2007 .
19. بنعبد العالي (عبد السلام): لعقلانية ساخرة، دار توبوقال، الدار البيضاء، ط1، 2004.
20. البنكي(محمد أحمد ) :دريدا عربيا، قراءة التفكيك في الفكر النقدي العربي، المؤسسة العربية للدراسات، البحرين/بيروت، ط1، 2005.

21. بن مالك (رشيد): قاموس (مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص) عربي-انجليزي- فرنسي، دار الحكمة، الجزائر، 2000.
22. بنيس (محمد): حادثة السؤال (بخصوص الحادثة العربية في الشعر والثقافة)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 1988.
23. بودومة (عبد القادر): الحادثة وفكر الاختلاف، منشورات الاختلاف، ط1، 2003.
24. بونفقة (نادية): فلسفة إدموند هوسرل (نظرية الرد الفينومينولوجي)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 2005.
25. توفيق (سعيد): ماهية اللغة وفلسفة التأويل، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط1، 2002.
26. حرب (علي): التأويل والحقيقة (قراءة تأويلية في الثقافة العربية)، شركة دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1995.
27. حرب (علي): نقد الحقيقة (النص والحقيقة 2)، المركز الثقافي العربي بيروت/الدار البيضاء، ط1، 1995.
28. حرب (علي): أسئلة الحقيقة ورهانات الفكر، مقاربات نقدية وسجالية، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1994.
29. حرب (علي): الممنوع و الممتنع: نقد الذات المفكرة، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء، ط1، 2000.
30. حرب (علي): هكذا أقرأ ما بعد التفكيك، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ط1، 2005.
31. حمودة (عبد العزيز): المرايا المقعرة - نحو نظرية نقدية عربية، عالم المعرفة، الكويت، 2001.
32. حمودة (عبد العزيز): المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك، عالم المعرفة، الكويت، 1998.

33. حنفي(حسن): الفكر الغربي المعاصر، المؤسسة الجامعية للدراسات، لبنان، ط4، 1990.
34. خليل (إبراهيم محمود): النقد الأدبي الحديث (من المحاكاة إلى التفكيك) دار المسيرة،الأردن، ط1، 2003.
35. زراقت(عبد المجيد):الحداثة في النقد الأدبي المعاصر ، دار الحرف العربي ، بيروت ، ط1 ، 1991 .
36. زيادة( رضوان جودت):صدى الحداثة( مابعد الحداثة في زمنها القادم)، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، 2003 .
37. الزين (محمد شوقي): تأويلات وتفكيكات (فصول في الفكر الغربي المعاصر) ،المركز الثقافي العربي ،بيروت/الدار البيضاء ، ط1 ، 2000.
38. صفدي (مطاع): نقد العقل الغربي (الحداثة وما بعد الحداثة)، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط1، 1990.
39. عابد الجابري(محمد): التراث والحداثة (دراسات ومناقشات)، بيروت، ط1، 1991.
40. عادل (مصطفى):فهم الفهم ، مدخل إلى الهرمينوطيقا (نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر )، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2003.
41. العجيمي(محمد الناصر) :النقد العربي الحديث و مدارس النقد الغربية، أطروحة دكتوراه، دار محمد على الحامي، تونس، ط1، 1998.
42. العشييري (محمود أحمد):الاتجاهات الأدبية والنقدية الحديثة(دليل القارئ العام)، مريث للنشر والمعلومات ، ط2 ، 2003.
- 43.
44. العلواني(طه جابر فياض) ، أدب الاختلاف في الاسلام، دار الشهاب،الجزائر ، ط1، دت.
45. عوض(يوسف أنور): نظرية النقد الأدبي ، دار الأمير، ط1، 1994

46. عياشي(منذر):الكتابة الثانية وفاتحة المتعة، المركز الثقافي العربي،  
الدار البيضاء/بيروت، ط1 ، 1998.
47. الغذامي(عبد الله):الخطيئة والتكفير، النادي الأدبي  
الثقافي، جدة، دط، 1985.
48. قارة (نبيهة): الفلسفة والتأويل، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1998 .
49. قطوس (بسام):استراتيجيات القراءة :التأصيل و الإجراء النقدي، دار  
الكندي، إربد، الأردن، دط، 1998 .
50. الكردي(محمد علي ) دراسات في الفكر الفلسفي المعاصر، من  
الوجودية إلى التفكيكية دراسات في الفكر الفلسفي المعاصر، دار المعرفة  
الجامعية، مصر، دط، 1998 .
51. مبروك (أمل):الفلسفة الحديثة، الدار المصرية السعودية ، مصر  
، ط1، 2006 .
52. مسرحي(فارج): الحداثة في فكر محمد أركون (مقاربة أولية)، الدار  
العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط1، دت .
53. مهيبيل (عمر): من النسق إلى الذات (قراءة في الفكر الغربي  
المعاصر)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1 ، 2001 .
54. موسى(صالح بشرى ):نظرية التقى ( أصول وتطبيقات) ، المركز  
الثقافي العربي ، بيروت/الدار البيضاء ، 2001.
55. وغليسي يوسف:النقد الجزائري المعاصر - من اللانسونية إلى  
الألسنية، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، المؤسسة الوطنية للفنون  
المطبعة، الجزائر، 2002.
56. وغليسي(يوسف): إشكالية المصطلح في خطاب النقد الجديد، دار  
العلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت/الجزائر، ط1 2008 .

### III - المراجع المترجمة:

57. بشبندر (ديفيد): نظرية الأدب المعاصر وقراءة الشعر، ترجمة عبد الكريم المقصود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1996 .
58. بوثيلو إيفانكوس (خوسيه ماريا): نظرية اللغة الأدبية، ترجمة حامد أبو حامد، مكتبة غريب، الفجالة، دط، 1992.
59. تودوروف ' (تزفيتان): ميخائيل باختين المبدأ الحوارى، ترجمة فخري صالح ، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت، ط2، 1996.
60. راي (وليام): المعنى الأدبي من الظاهراتية إلى التفكيكية، ترجمة يوثيل يوسف عزيز، دار المأمون، بغداد، دط، 1985.
61. رولان (بارت): درس في السيميولوجيا، ترجمة عبد السلام بن عبد العالي، دار توبوقال للنشر، الدار البيضاء، ط3 1993.
62. ريكور (بول): نظرية التأويل (الخطاب وفائض المعنى)، ترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي ، بيروت/الدار البيضاء ، ط1، 2003 .
63. زيماق (بيار): التفكيكية (دراسة نقدية)، تعريب أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط1، 1966.
64. ساروب (مادان): دليل تمهيدي إلى ما بعد البنيوية وما بعد الحداثة، ترجمة خميسي بوغرارة، منشورات مخبر الترجمة في الأدب واللسانيات، قسنطينة/الجزائر، دط، 2003 .
65. ستروك (جون): البنيوية وما بعدها من ليفي شتراوس إلى دريدا ، ترجمة محمد عصفور، عالم المعرفة، دط، الكويت، 1996 .
66. سلدان (رامان): النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة جابر عصفور، دار قباء، القاهرة، دط، 1998.

67. سلقرمان هيو، ج: نصيات (بين الهرمينوطيقا والتفكيكية)، ترجمة علي حاكم صالح ، حسن ناظم، المركز الثقافي العربي . 2000ري، بيروت /الدار البيضاء، ط1 ، 2002.

68. سوسير (فردينان دي ) : محاضرات في اللسانيات العامة: ، ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1986 .

69. فوكو(ميشال): الكلمات والأشياء، ترجمة مطاع صفدي وآخرون، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1989.

70. فوكو ميشال: حفريات المعرفة، ترجمة: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء، ط1 ، دت .

71. كوفمان (سارة )، لابورت (روجي): مدخل إلى فلسفة جاك دريدا (تفكيك الميتافيزيقا واستحضار الأثر)، ترجمة إدريس كثير وعز الدين الخطابي، إفريقيا الشرق، ط2، 1994.

72. الكومي (محمد الشبل) :المذاهب النقدية الحديثة (مدخل فلسفي) ،ترجمة،محمد عناني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2004.

73. نوريس (كريستوفر): التفكيكية النظرية والتطبيق، ترجمة رعد عبد الجليل جواد، دار الحوار، سوريا، ط1، 1992 .

74. هابرماس(يورغن): القول الفلسفي للحدث، ترجمة فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط1 .

75. هيدغر(مارتن): التقنية - الحقيقة الوجود-، ترجمة : محمد سبيلا وعبد الهادي مفتاح، بيروت، المركز الثقافي ، 1995.

#### **IV- الدوريات:**

82. بارة(عبد الغني) :المسارات المعرفية للنبوية، مجلة فصول، مصر، العدد64، 2004.

83 . بن عودة (بختي): موقع لمقاربة اختلاف جاك دريدا ، مجلة كتابات  
معاصرة ، لبنان ، مج4، ع15 ، سبتمبر 1992 .

84. الكيلاني(مصطفى) : وعي اللحظة الراهنة في منظور "النحن"، مجلة  
الفكر العربي المعاصر، العدد 90، 1991 .

85 .المسدي(عبد السلام): التراث والمعاصرة،مجلة أقلام، وزارة الثقافة،  
بغداد، العدد4، السنة14.

## V - الموسوعات:

86.راغب (نبيل):موسوعة النظريات الأدبية،الشركة المصرية العربية  
ناشرون، مصر/لبنان، نط1، 2003 .

87 .سلدان رمان: موسوعة كومبريدج في النقد الأدبي (من الشكلانية إلى  
ما بعد البنيوية)، مراجعة ماري تيز عبد المسيح، إشراف جابر عصفور،  
المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2006.

## VI - المخطوطات:

89. بن عودة (بختي): ظاهرة الكتابة في النقد الجديد مقاربة تأويلية  
(الخطيبي نموذجاً)، رسالة ماجستير،جامعة وهران ، 1994.

الملاحق :

ملحق الجداول:

المصطلح: الاختلاف (Différance):<sup>1</sup>

الكتاب	الكاتب	الترجمة
حضور الكتابة، جريدة الحياة، 21 نوفمبر 1993، ع 11239.	جابر عصفور	الإرجاء / الاختلاف
مجلة الحكمة، ع 1، خريف 1992، المغرب.	الحسين سحبان	ال (إ) (ت) خ (ت) ل (أ) ف
دريدا، مواقع، حوارات، دار توبوقال، 1992.	فريد الزاهي	المغايرة
وليام راي ، المعنى الأدبي ، 1987.	يونييل يوسف عزيز	فرق التأجيل
سارة كوفمان، روجي لابورت، مدخل على فلسفة جاك دريدا، 1991.	إدريس كثير، عز الدين الخطابي	الاختلاف (أ) ف
آن حيفرسون + ديفيد روبي النظرية الأدبية الحديثة، 1992.	سمير مسعود	الديفيرانس
كتابات معاصرة ، ع 51، 1992.	بختي بن عودة	الاختلاف (a)
اليهودية وما بعد الحداثة ، مجلة اسلامية المعرفة، 1997.	عبد الوهاب المسيري	الاختلاف
ديفيد بشبندر ، نظرية الأدب المعاصر ، وزارة الثقافة ، سوريا 1992.	عبد الكريم مقصود	الاختلاف
ترجمة كتاب : الكتابة والاختلاف" جاك دريدا.	كاظم جهاد	
عبد الكبير الخطيبي، الاسم العربي الجريح.	محمد بنيس	الفرق
أسس الفكر المعاصر . معجم المصطلحات الأدبية.	عبد السلام بن عبد العالى سعيد علوش	المباينة

<sup>1</sup> - ينظر: أحمد محمد البنكي : دريدا عربيا ، ص 176.

مصطلح: مركزية العقل (Logocentrisme)<sup>2</sup>

الكتاب	الكاتب	الترجمة
في نظرية النقد ، ص ص84 - 89.	عبد المالك مرتاض	مركزية العقل
معرفة الآخر ، ص 123. استراتيجيات القراءة ، ص ص17- 26.	عبد الله إبراهيم بسام قطوس	التمركز حول العقل
تجليات الحداثة، ع 2، يونيو، 1993، ص 101. المرجع نفسه، 106.	سليمان عشارتي	العقلنة المعرفية المركزية اللوغوستريزم
ترجمة كتاب (مواقع) ، ص 21.	فريد الزاهي	العقل مركزية
الخطيئة والتكفير ، ص52. اللغة الثانية ، ص 47. قضايا نقدية مابعد بنبوية ، ص 45.	عبد الله الغلامي فاضل ثامر ميجان الرويلي	التمركز المنطقي
مجلة الفكر العربي المعاصر ، ع 54-55، ص 109.	هاشم صالح	المنطقية المركزية العقلانية المركزية
ترجمة ( البنيوية وما بعدها) ، ص 220/207. ترجمة ( دليل تمهيدي)، ص 47.	محمد عصفور خميسي بوغرارة	مركزية الكلمة الكلمركزية
ترجمة التفكيكية، بيير زيمبا ، ص 20.	أسامة الحاج	مركزية الكلام اللوغومركزية
معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ص115.	سعيد علوش	اللوغوس مركزية
ترجمة ( عصر البنيوية) ، ص 274. ترجمة (النظرية الأدبية المعاصرة)، ص 135.	جابر عصفور	مركزية اللوجوس

<sup>2</sup> - ينظر: يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح، 357، 358.

المصطلح: علم الكتابة (Grammatologie) <sup>3</sup>

الترجمة	الكاتب	الكتاب
النحوية	عبد الله الغدامي ميجان الرويلي وسعد البازعي	الخطيئة والتكفير، ص 52. دليل الناقد الأدبي، ص 157.
علم النحو	خميصي بوغرارة	دليل تمهيدي، ص 47-53.
علمانية النحو علم النحو علم الكتابة	عبد المالك مرتاض	دراسة سيمائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي، ص 22-25.
دراسة الخطوط	بسام بركة	معجم اللسانية، ص 94.
القلمية	التوهامي الراجي البشير	معجم الدلائلية، ص 1-170.
النحو - لوجيا	سعيد علوش	معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ص 120.
الغراماتولوجيا	هاشم صالح كاظم جهاد سليمان عشراي بسام قطوس عبد الله إبراهيم	الكتابة والاختلاف، ص 34. تجليات الحداثة، ع 2، يونيو 1993، ص 108. إستراتيجيات القراءة، ص 28. معرفة الآخر، ص 131.
الكتابة	فاضل ثامر	اللغة الثانية، ص 47.
دراسة الكتابة الغراماتولوجيا	جابر عصفور	عصر البنيوية، ص 273 النظرية الأدبية المعاصرة ص 135/مجلة العربي، ع 448 1996، ص 79.
الكتابية	عبد الغني بارة	الهيرمينوطيقا والفلسفة (نحو مشروع عقل تأويلي) ص 59.

<sup>3</sup> - ينظر: المرجع السابق، 357، 358.

أما علم الكتابة فنجدّه عند مجموعة من النقاد أمثال يوسف و غليسي، عبد المالك مرتاض، حسين خمري، محمد عصفور..  
 مصطلح : التناص (Intertextualité) : 4

الكتاب	الكاتب	الترجمة
نظرية النص في النقد المعاصر ، ص41. عصر البنيوية، ص277. انفتاح النص الروائي، ص92-95. تحليل الخطاب الشعري، ص119. المرايا المحدبة، ص361. قضايا نقدية، ص119. قاموس اللسانيات، ص212. المصطلح النقدي، ص119.	حسين خمري جابر عصفور سعيد يقطين محمد مفتاح عبد العزيز حمودة ميجان الرويلي عبد السلام المسدي	التناص
علامات، ج21، م6، سبتمبر96، ص235.	وائل بركات	التناصية
الشعر العربي الحديث (3)، ص181. ظاهرة الشعر المعاصر، ص517.	محمد بنيس	التداخل النصي
قوافل، س05، م05، العدد 09، 1997 ص58.	يوسف و غليسي	تناسخ النصوص التناسخ النصي
معجم اللسانية، ص114. المرايا المحدبة، ص362.	بسام بركة عبد العزيز حمودة	بينصوصية بين - نص

4 - المرجع السابق ، ص ص ، 401،402.

## معجم المصطلحات:

تمت صياغة هذه المصطلحات من جملة الكتب التي توصلنا بها في إنجاز هذا البحث .

1- **الاختلاف:** الاختلاف والمخالفة أن ينهج كل شخص طريقا مغاير للآخر في حاله أو في قوله. والخلاف أعم من الضد لأن كل ضدين مختلفان، وليس كل مختلفين ضدين، ولما كان الاختلاف بين الناس في القول قد يفضي إلى التنازع أستعير ذلك للمنازعة والمجادلة.

2- قال تعالى: **"فاختلف الأحزاب من بينهم..مريم37 .**

**"ولا يزالون مختلفين..هود118 .**

**"إنكم لفي قول مختلف..الذاريات8 .**

**"إن ربك يقضي بينهم فيما كانوا فيه يختلفون"يونس93.**

3- **الحدائثة:** تحول جذري على جميع المستويات :المعرفة، في فهم الإنسان، في

تصور الطبيعة، وفي معنى التاريخ، إنها بنية فكرية كلية. وهذه البنية عندما تلامس بنية اجتماعية وثقافية تقليدية فإنها تصدمها وتكتسحها بالتدرج ممارسة عليها ضربا من التفكيك ورفع القدسية مستخدمة أساليب الانتشار والاكتماس. فهي تنتقل كالجائحة في الفضاءات الثقافية الأخرى إما بالإغراء و الإغواء عبر النماذج، والموضحة والإعلام، أو عبر الانتقال المباشر من خلال التوسع الاقتصادي أو الاحتلال الاستعماري أو الغزو الإعلامي بمختلف أشكاله إلى غير ذلك من القنوات والوسائل.

4- **ما بعد الحدائثة:** هي أسلوب في الفكر يبدي ارتياحا بالأفكار والتصورات

الكلاسيكية كفكرة الحقيقة، والعقل، والهوية والموضوعية، والتقدم والانعقاد الكوني والأطر الأحادية، والسرديات الكبرى أو الأسس النهائية للتفسير، وهي ترى العالم بخلاف معايير التنوير هذه، بوصفه طارئا عرضيا، بلا أساس، متباينا، بعيدا عن

الثبات، وبعيدا عن الحتمية و القطعية، وبوصفه مجموعة الثقافات والتأويلات الخلاقية التي تولد قدرا من الارتياح حيال موضوعية الحقيقة والتاريخ، والمعايير، والطبائع المتعينة والهويات المتماسكة.

5- **الميتافيزيقا** : هي دراسة طبيعة العالم العامة والمبادئ الأولى في الفلسفة. وهي تتفحص الإفتراضات الأساسية التي تقف خلف رؤية العالم القائمة على الحس المشترك أو الفهم الشائع، كما تتفحص تلك التي تقف خلف أشكال الاستقصاء التجريبية النظامية، كالعلوم الطبيعية والاجتماعية وهي غالبا ما تقوم بذلك عن طريق تفحص المقولات العامة التي نحاول أن نصف بها العالم.

6- **مدرسة فرانكفورت** : هي المدرسة التي عرفت باسم "النظرية النقدية"، وارتبطت أوثق ارتباطا بمعهد فرانكفورت للبحث الاجتماعي، الذي أسسه سنة 1923، نخبة من الفلاسفة وعلماء الاجتماع و الإقتصاد، و النفس و النقد الأدبي و الجمالي المنحدرين من أصول يهودية.. ومن أبرز أعضاء هذه المدرسة: إريك فروم، والتير بنيامين، تيودور فيزنغرود أدورنو، هريرت ماركوز، مكس هوركهايمر.. إضافة لممثل الجيل الثاني: يورغن هابرماس.

7- **الفيينومينولوجيا ( الظاهرية ) phénoménologie** : تستخدم لتعيين حركة فلسفية كبرى في القرن 20 يعود جذر الكلمة ذاتها إلى الفعل الإغريقي فاينو phaino الذي يعني " أن يجلب الضوء " أو " أن يجعله يظهر " وهي في معناها الحرفي " علم المظاهر " أول من استعملها هو الفيلسوف الألماني يوهان هاينريش لامبرت ( 1728-1777 ) في كتابه الأداة الجديدة 1764 News Organon على أنه اعتبرها ( الفيينومينا ) أوهاماً ، وبالتالي تصور الفيينومينولوجيا بوصفها علم الأوهام ، فيما تمثل عند إيمانويل كانط دراسة مجال

الماهيات والأشياء كما هي في ذاتها أما هيغل فتشير عنده إلى مظاهر مختلفة للوعي ، أما في القرن 19 مع ( إدوارد فون هارتمان و تشارلز ساندرز بيرس ) مرتبطة بدراسة الوقائع أو الأشياء كما هي في الواقع .وهي منهج فلسفي نقدي معرفي ، يقوم على أساس دراسة معطيات الوعي بالاعتماد على تحليل الظاهرة ، والمفهوم الرئيس له هو مفهوم قصدية الوعي ، أي كونه موجهاً نحو الموضوع ، بمعنى التأكيد على المبدأ المثالي الذاتي ، فليس هناك موضوع بدون ذات ، وقد انبثق هذا المنهج من فلسفة هوسرل ، وتتنظر هذه الفلسفة إلى العالم بوصفه ظاهرة متداخلة مع الوعي الإنساني وليس مستقلة عنه ، وتبغى الوصول إلى الواقع الدلالي المتجسد في داخل الوعي الفردي عن طريق تفسير الظواهر الملحقة به ، ويحدد هوسرل الوعي بوصفه أداة منهجية شاملة لإعادة بناء كل العلوم ، أو فلسفة متعالية تكشف عن الأبنية الأساس للمعرفة الإنسانية التي تُبنى من خلال علاقة الذات مع الموضوع ومن خلال علاقة وعي بشيء ما مع الظاهرة المصاحبة له ، ويمكن القول أنّ الفلسفة الظاهرية تُعدّ فلسفة اكتساب المعرفة بالعلم ، دون الاعتماد على المُدركات الحسية.

#### 8- الأنا المتعالية :

تتبع هذه الأنا فلسفة كانط وهي محددة بها ، وتتجه نحو وجود عناصر فطرية في الذهن سابقة على التجارب والخبرات ، ومن ثم فهي تتعالى على الخبرة الحسية لا على المعرفة ، وهي محاولة للكشف عن الحقيقة من خلال عمليات فكرية عقلانية ، وليست من خلال عمليات حسية مباشرة .

#### 9- القصدية :

مصطلح نقدي انبثق من الفلسفة الظاهرية ، يميل إلى الذات المبدعة بوصفها صاحبة النتائج الإبداعي ، ويوصفها مركزاً وسبباً لتولّد المعنى ، وتوجّه القصدية

القارئ إلى إمكانيات تحصيل الدلالة ، وتعارض توجهات طروحات ما بعد  
النبوية في إلغاء وجود قصدية للنص ، في مقابل تواجد حشد دلالي في داخل  
البنية النصية

#### 10- الهرمينوطيقا: يقع اسم الإله " هرمس " Hermes، الذي يعزى إليه اختراع

كل من اللغة والكتابة موقعا ما في أصل كلمة " هرمينوطيقا " Hermeneutics  
وبوصفه رسول الآلهة فقد كانت مهمته أن ينقل الكلمة الإلهية إلى بني البشر،  
فيكون من ثم وسيطاً بين مملكة الأولمب وبين عالم الكدح البشري، إن الفعل  
اليوناني hermeneuein يعني " يقول" ، " يفسر" ، " يترجم" ، والاسم  
hermeneia ( تفسير ، تأويل) ، ليرسمان منذ البداية نطاق المعنى الذي سنتخذه  
الهرمينوطيقا فيما بعد . وقد ترجمت إلى التأويلية فكانت تعني أسلوباً نقدياً بدأ  
مع تفسير النصوص المقدسة وبيان منزلتها وأهميتها ، وارتبط بعلوم الدلالة  
واللاهوت ، واتسعت مباحثه واتجاهاته لتدخل ميادين المناهج النقدية الحديثة ،  
وقد سلكت التأويلية مسارين في تحديد أسلوبها النقدي التحليلي ، الأول :  
التأويلية بوصفها منهجاً نقدياً مع الظاهرية ، والثاني : بوصفها آلية نقدية مع  
المناهج النقدية الحديثة كالسيمائية ، والنبوية ، والإسلوبية ، والتفكيكية ، فضلاً  
عن دخولها مجالات معرفية وثقافية متنوعة في إطار تحديد العلاقة بين النص ،  
والمفسر ، والمفسر له .

#### 11- الشك الديكارتي: منهج فلسفي اشتق من فلسفة ديكارت ، وينطلق من مبدأ أن

الإنسان لكي يحقق غاية كشف العلل والمعلولات وتحسين ماهيته الذاتية ، لا بد  
أن يرفض الإيمان بكل شيء ، ويبدأ مع التفكير والتدبر للوصول إلى حقائق  
الأشياء والموجودات ، وبذلك استتبط ديكارت قاعدته التي أطلق عليها الكوحييتو

( Cogito ) : ( أنا أفكر إذن أنا موجود ) ، لتكون انطلاقة معرفية للوصول

إلى استنباط واقعية العالم الخارجي ، عن طريق تقديم الماهية على الوجود .

## 12- العدمية :

اتجاه فلسفي يُنكر الأخلاق ، والقيم الإنسانية ، وبعدها وهماً وخيالاً ، ولا ينتمي إلى الحقيقة أو إلى العالم المعيش ، فضلاً عن دعوة هذا المذهب إلى تحرر الفرد من سطوة الميتافيزيقا ، ومنح نفسه سلطة مطلقة في الإيمان بما يراه مناسباً لمصلحته ومنفعته ، وقد تطورت العدمية وبلغت ذروتها على يد الفيلسوف الألماني نيتشه ، الذي حارب الأخلاق ، ونقد الأديان ، وحكم على الإله بالموت .

## 13- العقل الأداة :

مصطلح معرفي حديث يُصوّر جنوح الاتجاهات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية نحو تبني التقنية في كافة الأصعدة ، وأطلق هذا المصطلح يورجن هابرماس للإشارة إلى غياب البعد الإنساني في التعامل العالمي الجديد ، وإحلال التكنولوجيا محل القيم والأخلاق .

## 14- القراءة المغلقة ( المسيئة ) :

مصطلح نقدي استخدمه رواد مدرسة بيل الأمريكية ، ويميل إلى التلاعب بالدلالة المتحصلة من النص ، والتركيز على الجانب المعتم والشاذ منها ، ويقابل مصطلح ( القراءة الجيدة ) التي تستخدم التأويل في تفسير الدلالات ، ويقابل هاتين القراءتين عند الناقد هارولد بلوم قراءتان أخريان هما ( القراءة القوية ) و ( القراءة الضعيفة )

## 15- اللوغوس :

لفظة يونانية تعني . من جملة ما تعني . ( العقل ، القول ، الخطاب ، الكلام ، الأصل ، الشيء ، القانون الكلي ، أساس العالم ، الأبدى ، المطلق ، الجوهرى ..) ولا يمكن إطلاق اللوغوس على العقل . بشكل حصريّ . لأنّ المدلول الأول لا يتفق والتخصيص الموجود في المعنى الثاني ، ويمكن القول أنّ اللوغوس هو جماع الأفكار الأفلاطونية ، وهو قوة اصطلاحية حيوية تعمل بوصفها وسيطاً بين الإله والعالم المخلوق ، ويجمع هذا المصطلح حسب ( ريتشارد هارلاند ) المبدأ العقلاني الداخلي للنصوص اللغوية ، والمبدأ العقلاني الداخلي للبشر ، والمبدأ العقلاني الداخلي للمكون الطبيعي ، وينكر دريدا ذلك كلّهُ ، ويميل مفهوم اللوغوس عنده إلى محض توجه عقلائي مُركّز لا يستند إلى أرضية معرفية صلبة .

## 16- موت المؤلف :

مصطلح نقدي حديث انبثق مع البنيوية ، وتطور مع ما بعد البنيوية ، وينطلق من أساس فلسفي يرجع إلى فلسفة موت الإله ، ويقضي عزل النص عن ناصه ، والتركيز على المنتج الإبداعي لا على المنتج ، والاهتمام بالإبداعات الإنسانية ، وإهمال الإنسان نفسه ، ولهذا المصطلح تمثلات أخرى في السعي نحو تفكيك منظومة الإنسان من خلال هيمنة البنية عليه .

## 17- ميتافيزيقيا الحضور:

مصطلح نقدي أطلقه دريدا عام (1966) في مقالته ( البنية ، العلامة واللعب في خطاب العلوم الإنسانية ) ، ويعني به الإيمان بقدرة اللغة على الإحالة على مجموعة من المراكز منها ( الجوهر ، الوجود ، المادة ، الطاقة ، الموضوع ، التعالي ، القدرة ، ... ) أو الإحالة على النقاط المرجعية خارج النظام اللغوي ،

وتُعدّ هذه المراكز عينات خارجة عن النظام اللغوي ، ونقاطاً مرجعية ، ومراكز للسلطة لا تخضع لتأثير الاختلاف الدريري الذي يعدّه المصدر الأوحد للمعنى.

### 18- الدوغمانية :

نظام من المبادئ المتشددة فكرياً وعقائدياً ، تتسم بالتسلط ، أُطلقت في البدء على الطائفة الكاثوليكية في بريطانيا بوصفها حقيقة لا جدال فيها ، من دون الحوار مع المختلفين عنها ، والدوغمانية لا تؤمن بالأعمال التحليلية والتجريبية ، وتدعي امتلاك الحقيقة الكاملة ، لأنها تحوي تعاليم جوهر الرسالة المسيحية .

### 19- الديالكتيك :

مصطلح فلسفي يميل إلى عدّ العالم في حالة صيرورة دائمة ، وعدّ الوجود في حالة تحول مستمر ، وفقاً لقوانين تحكم تطور الطبيعة والمجتمع والفكر ، ويشير المصطلح إلى فن الحوار ، وتصنيف المفاهيم ، وتقسيم الأشياء ، وتحليل الجوانب المتصارعة فكرياً ومفاهيمياً ، وقد طوّر هذا المصطلح هيغل (-1831) حتى عُرف باسمه ، وأصبح الجدل الهيجلي هو المنهج الفلسفي للبحث في الطبيعة والمجتمع ، وقد مثّل نقطة انطلاق لفلسفة كارل ماركس (-1883) في الحديث عن المادة الجدلية ، وجدلية صراع الطبقات.

### معجم الأعلام:

### 1- دريدا ، جاك ( 1930+ ، -2004 ) : *Jack Derrida* مفكر وناقد

فرنسي اسمه الحقيقي هو جاك دريدا ، ولد في 15 جويلية بالأبيار قرب مدينة الجزائر، نقد الفلسفة الغربية التي تحيط بميادين الأدب واللغويات والتحليل النفسي ، استند منهجه التفكيكي على رفض البحث عن الحقيقة ، أو رفض البحث عن المصدر الغيبي النهائي للمعنى الذي ميّز مسيرة الفلسفة الغربية ، من كتبه: (الصوت والظاهرة) (علم الكتابة ، 1972 ) ، ( هوامش الفلسفة ،

( 1972 ) ( مواقع ، 1972 ) ، ( جلاس ، 1974 ) ، ( حقيقة في صورة ،  
( 1978 ) ، ( اختراعات الروح ، 1982 ) ، ( اختراعات أخرى ، 1987 ) ،  
أطيف ماركس : دولة الدين . رفع الحداد . والدولة الجديدة ، 1990 ) ،  
الكتابة والاختلاف ، 1967 ) ، ( صيدلية أفلاطون ، 1968 ) . توفي دريدا  
عام 2004 .

## 2- نيتشه ، فريديك : *Friedrich Nietzsche*

فيلسوف ألماني ، وناقد أخلاقي ، ولاهوتي ثوري ، أثرت فلسفته على مجمل  
الطرح النقدي والثقافي والفكري العالمي الحديث ، وكشفت فلسفته سلبيات التدين  
الغربي ، ووقفت ضد التقليد والأخلاق ، وانتقدت رجال الدين ، والفلاسفة  
التقليديين ، وقدم نيتشه نظريته عن موت الإله ، بحيث أصبحت دستوراً لجميع  
التيارات والمذاهب العالمية المختلفة في شتى الميادين ، وإليه تُنسب جذور  
العلمانية العالمية ، واحتقر الفاشية ، وكانت لديه مواقف متباينة تجاه اليهود ،  
من كتبه ( هكذا تكلم زرادشت ، ما وراء الخير والشر ، العلم المرح ، أقول  
الأصنام ، أصل الأخلاق ، العصر الإغريقي المأساوي ، ولادة المأساة ، عدو  
المسيح ، ... ) .

## 3- هوسرل ، ادموند : *Edmund Husserl*

فيلسوف ألماني يهودي ، مؤسس الظاهراتية بوصفها طريقة لوصف الظواهر  
وتحليلها ، حاول الجمع بين التجريبية التي تعتمد على الملاحظة ، وبين العقلانية  
التي تعتمد على إدراك السبب والنظرية ، انتقد نظريات القياس المعرفية ، ودعا  
إلى الظاهرة بوصفها طريقاً مباشراً للوصول إلى المعرفة .

#### 4- هيدجر ، مارتن : *Marten Heidagger*

مفكر ألماني ، اشتغل بميادين الظاهراتية والتأويلية واللاهوتية ، دَرَسَ على يد هوسرل وتأثر بنيتشه ، وعُرف بوجوديته الملحدة البارزة ، أثر في منهجيات النقد الحديثة لاسيما في ميدان النقد التفكيكي ، من كتبه ( ما هي الميتافيزيقا ، ( مقدمة في الميتافيزيقا ، 1929 ) ، ( مشكلة الميتافيزيقا ، 1962 ) ، ( الفلسفة في القرن العشرين ، 1962 ) ، ( فلسفة الفن والجمال ، 1964 ) ، ( جوهر الأسباب ، 1969 ) ، ( الطريق إلى اللغة ، 1971 ) .

#### 5- بارت ، رولان : *Roland Barthes*

كاتب وناقد ومفكر فرنسي ، اشتغل بميادين علم الاجتماع والأدب ، وكان له منهجه الخاص في دراسة علم العلامات ، أُطلق عليه سيميائ الدلالة ، معتمداً بشكل كلي على معطيات سوسير في علم اللغة واللسانيات ، وعُدَّت كتاباته بمثابة فتح نقدي وثقافي على صعيد الساحة الفرنسية والعالمية ، وكان ينظر إليه بشكل دائم على أنه شخص شاذ وغامض ، وقد دخل في صراع مع الأكاديمية التقليدية ، وقد أثر في العديد من النقاد من بينهم ( لاكان ، وفوكو ، ودريدا ) ، نُشِرت كتبه عن طريق صديقه ( سوزان سونتاج ) في مجلدات ضخمة حملت عنوان ( قارئ بارت ، 1982 ) ، و ( الحوادث ، 1987 ) .

#### 6- فوكو ، ميشيل : *Michel Foucault*

مفكر وناقد اجتماعي فرنسي ، حلَّ الخطاب الثقافي والمعرفي ، وتتبع أصول الظواهر الاجتماعية والثقافية ، وتوصل إلى مهيمناتها ، من خلال منهجه في الحفريات ، فضلاً عن دراسته الوثائق التاريخية وبيان منزلة الخطاب الثقافي في تطوير الظاهرة المعرفية المعاصرة عن طريق منهجه في الأنساب ، يُعدّ مؤسساً للحزب الجنسي للشاذين في فرنسا ( G I P ) عام ( 1972 ) ، وانضم إلى الحزب

الشيوعي الفرنسي عام (1950) ، وساند الثورة الإسلامية في إيران عام (1978) ، كان كارهاً للنساء ، محباً للغلمان ، من كتبه ( الكلمات والأشياء ، المراقبة والمعاقبة، تاريخ الجنسانية..).

#### 7- كريستيفا ، جوليا : *Julia Kristeva*

ناقدة أدبية ومحللة نفسية ، وروائية بلغارية الأصل ، فرنسية الجنسية ، كتبت في البنيوية واللسنية ، وعلم التحليل النفسي ، والسيميائية ، والنقد النسوي ، عملت مع لوسيان جودمان في البنيوية التركيبية ، ثم أصبحت أحد أعضاء جماعة تيل كيل الفرنسية ، مُنحت الدكتوراه من مدرسة التعليم العالي في علوم الاجتماع في باريس عن أطروحتها ( شعرية اللغة : الترجمة بوصفها ثورة في اللغة الشعرية ، 1974 ) . تُعدّ دراساتها تركيبياً منهجياً معرفياً من معطيات لاكان وفوكو وباختين ، حصرت دراساتها في الفترة الأخيرة في السيميائيات والنقد النسوي ، تُعدّ مؤسّسة لمصطلح التناص ( Intertextuality ) ، من كتبها ( شعرية التحليل ، 1977 ) ، ( السيميائيات ، 1969 ) ( سيميائية الأدب والفن ، 1980 ) ، ( نساء صينيات ، 1974 ) ، ( علم التحليل النفسي بوصفه حياً وإيماناً ، 1985 ) ، ( الحزن والمانخوليا ، 1987 ) ، ( الغراء ، 1988 ) ( ثورة اللغة الشعرية ، 1984 ) ، ( اللغة المجهولة ، 1991 ) ، ( أمم بدون قومية ، 1993 ) ، ( أمراض الروح ، 1997 ) ، ( خبرة الأدب ، 1998 ) ، ( أزمة الدراسات الثقافية الأوروبية ، 2000 ) ، ( القداسة والأنوثة ، 2001 ) ، ( علم التحليل النفسي ، 2001 ) ، ( الإحساس وعدمه : ثورة القوة وحدود علم التحليل النفسي ، 2001 ) ، ( وجهات نظر أدبية : سلسلة في الفكر الاجتماعي والثقافي ، 2002 ) .  
( الجنون ، مولد العيادة ، تاريخ الجنسانية ، ... ) .

## 8- دي مان ، بول : *Paul De Man*

ناقد أدبي بلجيكي الأصل ، أمريكي الجنسية ، يُعدّ من المنظرين الكبار للمنهج التفكيكي ، من كتبه ( العمى والبصيرة ، 1971 ) ، ( القصيدة الجمالية ، 1988 ) ، أسهم في ترسيخ الفكر النقدي التفكيكي في الجامعات الأمريكية

## 9- سوسير ، فردينان

فيلسوف لغوي سويسري ، وعالم في علم الاجتماع ، وضع نظريات عدة تتعلق بالدراسات الاجتماعية واللسانيات ، وبشّر بولادة علم العلامات ( Semiotic ) ، وأوضح بعض الصلات اللغوية بين عوائل اللغات المختلفة كاللغات ( الهندو - أوربية ) ، أثر بشكل واسع على جميع المدارس اللغوية التي نشأت في أوروبا وأمريكا ، فضلاً عن تأثر الميدان العربي بطروحاته ، لم يؤلف كتاباً في حياته ، وجمعت محاضراته بعد وفاته عن طريق طلابه ، ووُضعت تحت عنوان ( محاضرات في علم اللغة العام )

## 10- هارتمان ، جيفري : *Geoffrey Hartman*

القراءة ، 1987 ) . ناقد ومنظر أدبي أمريكي ، ألماني المولد ، عارض الشكلائية ، ونقد البنيوية ، والكتابة عنده لا تخضع لأي تفسير نهائي ، طالب بتوحيد دراسات الأدب مع التاريخ مع الفلسفة ، وعارض الفصل بينهم ، لأنهم يُشكّلون . حسب توجهاته . وحدة معرفية واحدة ، من كتبه ( الأجزاء السطحية ، 1985 ) ، ( التنبؤات الصغيرة ، 1991 ) ، ( الظل الأطول ، 1996 ) ، ( سؤال التراث ، 1997 ) .

### **11- بلوم ، هارولد : Harold Bloom**

ناقد أمريكي يهودي ، اخص بتفسير النصوص التاريخية الأدبية ، وكانت كتاباته المبكرة حول الشعر الرومانسي ، وتحليل النبوءات الواردة فيه ، واهتم بتوضيح أثر القبلانية على الفكر النقدي الغربي عبر مراحل تطوره المختلفة ، من كتبه ( الشعر الرومانسي ، 1961 ) ، ( دراسات في الرومانسية ، 1971 ) ، ( قلق التأثير ، 1973 ) ، ( إساءة القراءة ، 1975 ) ، ( القبلانية والنقد ، 1986 )

### **12- ميللر ، هيلس : Hillis Miller**

ناقد أمريكي ، وأحد منظري التفكيك ، وأحد اتباع مدرسة بيل الأمريكية التفكيكية ، درس في جامعات بيل وجونس هوبكنز وكاليفورنيا ، ركّز على جانب الدراسات اللاهوتية ، وكانت لغته حافلة بالغموض ، من كتبه ( القصة والتكرار ، 1982 ) ، ( اللحظة الإنسانية ، 1985 ) ، ( أخلاق... )

### **13- هابرماس ، يورجن : Juigen Habermas**

مفكر اجتماعي ألماني ، من أسرة يهودية ، قاد أفكار مدرسة فرانكفورت للنقد الاجتماعي ، وطوّر الدراسات الماركسية ، وكانت لديه ملاحظات خاصة حول نظرية الاتصال الاجتماعي ، نقد العقل الاداتي والتقني ، وانتقد تحول الإنسان إلى شيء من الأشياء في ظل عصر التكنولوجيا ، وقدم بديلاً عن ذلك تمثل في العقل التواصلي ، عرفت نظريته بـ( النظرية النقدية ) ، من كتبه ( الحداثة والخطاب السياسي ، القول الفلسفي للحداثة ، التقنية والعلم والايديولوجيا ) .

### **14- هوركهايمر ، ماكس : Max Horkheimer**

مفكر وعالم اجتماعي ألماني من أسرة يهودية ، أحد مؤسسي مدرسة فرانكفورت الألمانية ، من كتبه ( جدل التنوير ، 1947 ) ، ( النظرية النقدية ، 1968 ) .

## **15- هيغل ، ويلهلم فريدريك : Georg Willelm Fridrich Hegel**

فيلسوف ألماني ، حاول وصف الميادين التي تسهم في تقدم الفكر الجدلي ( الديالكتيكي ) الذي أسس ماركس عليه قاعدة المادية الجدلية ، آمن هيغل بالتاريخ وتطور الأفكار ، والإنسان الواعي الذي يطوّر جميع أفكاره من خلال عمليات جدلية بوصفها أجزاء مطلقة ، وبوصفها هبة ربانية مثالية لمعرفة الإنسان نفسه ، اعتنى بالدراسات اللاهوتية ، والعالم بنظره هو روح وجسد ، كنسية ودولة ، عبادة وحياة ، قوى وفضلية ، فعل دنيوي وفعل آخروي ، من كتبه ( علم المنطق ، 1818 ) ، ( علم العقل ، 1813 ) .

## **16- فرويد ، سيجموند : Sigmund Freud**

طبيب أعصاب نمساوي ، ومؤسس علم التحليل النفسي ، من عائلة يهودية ، اهتم بدراسة الأحلام والجنس واللاوعي ، وأسهم في بيان آليات اشتغالها في تحديد سلوكيات الفرد ، وتنظيم خبرته الآنية والاستقبالية ، لديه مكتبة نفسية كبيرة من المؤلفات والمقالات منها ( ثلاث مقالات في نظرية الجنس ، ما وراء علم النفس التحليلي ، الفلق ، نظرية الأحلام ) .

## فهرس الموضوعات

مقدمة

8..... مدخل

الفصل الأول: المرجعيات الفلسفية و الأصول التاريخية

المبحث الأول: الجذور الفلسفية للتفكيك

16..... أولاً: ماهية التفكيك

22..... ثانياً: فاعلية القراءة

28..... ثالثاً: المرجعيات الفلسفية

المبحث الثاني: من فينومينولوجيا هوسرل إلى هرمنيوطيقا هيدغر

42..... أولاً: التفكيك و فينومينولوجيا هوسرل

47..... ثانياً: التفكيك و هرمنيوطيقا هيدغر

52..... المبحث الثالث: من ميتافيزيقا الحضور إلى الاختلاف الميتافيزيقي

الفصل الثاني: التمثل النقدي للاختلاف عند دريدا

المبحث الأول: التفكيك/نحو التأسيس للمختلف

63..... أولاً: التفكيك اختلافاً

69..... ثانياً: النص اختلاف

المبحث الثاني: الاختلاف وعلاقته بمقولات التفكيك

73..... أولاً: الاختلاف تفكيكاً

77..... ثانياً: مقولات التفكيك

## المبحث الثالث: الاختلاف و مبدأ الحوارية

- أولاً: التناسل اختلافاً.....90
- ثانياً: التفكيك وعلاقته بالتناسل.....92

## الفصل الثالث: أثر التفكيك في النقد الحديث

### المبحث الأول: ثقافة الاختلاف

- أولاً: جدل الأنا و الآخر.....99
- ثانياً: نحو الاختلاف مع الآخر (التراث/الغرب).....102

### المبحث الثاني: التفكيك في النقد الغربي

- أولاً: التفكيك في الولايات المتحدة الأمريكية (جماعة بيل).....106
- ثانياً: آراء الاختلاف والمعارضة.....112

### المبحث الثالث: التفكيك في النقد العربي

- أولاً: ترجمة المصطلح اختلافاً.....118
- ثانياً: الاسهامات النقدية العربية (بين التأييد و المعارضة).....121
- خاتمة.....134